عدن

تذرف الدموع

رواية

عبدالله الشعيبي



المركز العربى للصحافة
والنشر " مجد "

Arab Center Press and
Publishing (Mgd)

القاهرة: ١٩٢ ش الملك فيصل - الطوابق
ت: ٣٨٢٥٠١١ - ٣٨٢٥٠١٢

البريد الألكترونى:
alghadalarabi@hotmail.com

تصميم الغلاف: الفنان سيد هويدى
تنفيـــــذ : علا خطيب
جمــــــع : أحمد فتحى
عزة عادل
تصحـــــيح : محسن حسين

الكتاب : عدن تذرف الدموع
المؤلف : عبدالله مسعد الشعيبي
رقم الإيـــداع: ٢١٥٦٤ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي:
I.S.B.N. 987-19-0752-3

الإهداء

إلى روح عاشق عدن الأول . . . أبي

إلى أمي التي أعطت عدن الرياحين والسنابل والرجال

إلى زوجتي المسكونة بحب عدن

إلى كل من عشق عدن، وعشقته عدن، وسكنت عدن فيه

إلى بحرها وبرها وجوها

إلى صديقي العزيز الفنان أبو بكر سالم بلفقيه الذي غنى لعدن:

يـا طائرة طيــري على بنــدر عــدن
زاد الهوى زاد النوى زاد الشجــن

بــالله يا طيـــار عجـل بالمسيـــــر
شمسان ذا بعدك على قلبي عسير

الفصل الأول

فى اليوم الاول من بدء الدراسة الجامعية كانت الفوضى طبيعية فى كلية الادارة وذلك بسبب بحث الطلبة عن فـصولهم من جهة أو لأن الطلاب عادوا إلى الجامعة بعد اجازة الصيف وقد طال الاشتياق ومن ثم الثرثرة من جهة أخرى تسيـدت الفوضى لمدة ٤٥ دقيقة حتى أنتظم الطلبـة إلى فصـولهم ودخول مـدرسـيهم فى تمام السـاعة التـاسعـة والنصف صباحاً . . . كان المحاضرون والأساتذة حينها متسامحون مع الطلبة المتأخـرين عن الحضور وهذا الاسلوب كان يستمـر لاسبوع أو أسبوعين كأقصى حد مراعاة لطلبة الارياف . . . فى مرحلة الماجيستير كان عدد الطلاب فى كل تخصص لا يزيد عن ١٥طالباً بإستثناء قسم إدارة الأعمال الذى يزداد الإقبال عليـه ولكن عمادة الكلية قررت فى ذلك العـام أن لا يزيد عـدد الطلبـة فى ذلك القـسم عن ٢٠ طالبـاً بالرغم من وصول عدد الطلبات المقـدمة إلى ٨٠ طلباً . . . وبلغ عدد الإناث فى ذلك القـسم أكثر من الـنصف أى ١٢ طالبة مـقابل ٨ من الذكور .

مع السـاعة ٩,٤٠ من صـباح اليـوم الأول كان أمـين «٢٨سنة» والمنتسب لمرحلة الماجـيستـير قسم إدارة الاعمـال قد عاد للكليـة بعد ثلاث سنوات من تخـرجـه من نفس الكليـة ونفس القـسم «مـرحلة بكالوريوس وبدرجة جيد جداً» ولأنه كان مهموماً فقد فتح باب غرفة المحـاضرة من دون أن يطرق علـى الباب ثم اعـتذر وعـاد بجـسمـه

للخلف محاولاً إغلاق الباب ومن ثم طرقه ولكن الاستاذ تدارك خجله فقال له مبتسماً:

لا يهمك تفضل..

أمين: أنا آسف وشكراًعلى لطفك.. أنا أسمى أمين عزالدين ورقمى... لم يكمل حتى سادت القاعة ضحكات جانبية من بعض الطلبة لم يعرها أمين أهتمامه على عكس الأستاذ/ عُمر الذى تغيرت ملامح وجهه وبدا غاضباً من كلامه لتلاميذه:

لو تكررت هذه العملية وتحت أى ظرف كان فلن أتسامح معكم... وزميلكم لم يرتكب أى خطأ حينما عرفكم بنفسه ثم وجه كلامه لأمين يطلب منه المواصلة.

وبعد أن ذكر أمين رقمه الجامعى واصل حديثه بكل ثقة:

وأنا تخرجت من هذه الكلية ومن هذه الغرفة، بالذات قبل ثلاث سنوات، وبدرجة جيد جداً أشتغلت بعدها فى أحدى شركات مجموعة والدى التجارية والإقتصادية وأشعر بسعادة غامرة اليوم وأنا أعود لمواصلة دراستى وحياة الشباب.

الأستاذ عمر: شكراً لك يا أمين على روحك العالية والمرحة... والان لنبدأ التعارف من اليمين..

بدأ الطلبة يقدمون أنفسهم لأستاذهم ولبعضهم بينما كان أمين يسجل فى مذكراته حتى تذكر ستة من زملائه السابقيين منهم أربع

فتيات ومثلهم من الشباب وحينما كان يتابع حديثهم أندهش من شكل أثنتين من زميلاته اللواتى كانتا «منقبات» بالكامل بأستثناء العيون وزاد إندهاشه عندما وجد أن كل واحدة منهما تجلس بجانب زميلها الذى غطت لحيته مع شعر رأسه معظم ملامح وجهه، وحينما كان أمين يحاول لفت انتباههم لعلهم يتذكرونه لكنه تنبه لنظرات إحداهن واسمها فيفى وكأنها تقول إن زملائها لا يودون التعرف عليه، وبعد انتهاء الطلبة من تقديم أنفسهم قدم الأستاذ عمر نفسه لتلاميذه:

- عمر على، دكتوراه إدارة الأعمال من المانيا وأيضا الماجيستير.. وبكالوريوس من هذه الكلية... وأقدم أستشارات للمؤسسات والمصالح الحكومية والوزارات والشركات الخاصة وعضو فى المجلس الاعلى الإستشارى للشؤون الإدارية، وعضو منتسب فى نقابة الصحافيين.

بعدها يبدأ الأستاذ عمر بفتح حوار عام عن مادته التى سيدرسها والمراجع المطلوب اقتنائها أو الأستعانة بها. ثم وضع خطوط عامة للمادة وكيفية التعامل معها وقبل أن يختم حديثه أو وقت الحصة سأل تلاميذه عن هواياتهم وكيف يقضون فراغهم... بعضهم تحفظ وبعضهم لم يتحفظ وبالذات أمين وزميلتيه القديمتين غير المنقبات وهما: أسماء وهند إضافة إلى فتاتين وشابين آخرين وعلى الرغم من

إنتهاء وقت الدرس حينما دق الجرس كالمعتاد، فقد طلب الأستاذ عمر من تلاميذه مواصلة الحوار والسماح بالخروج لمن يريد، ولكن لم يخرج أحد احتراماً وتقديراً له... وبعد ١٥دقيقة وهى وقت الأستراحة أبلغ الأستاذ عمر تلاميذه عن غياب زميله المكلف بمادة أخرى فأقترح عليهم إما مغادرة الكلية أو المشاركة مع أى صف أو حضور محاضرته المقبلة مع طلاب مرحلة البكالوريوس فأتفق معظم الحاضرين حضور المحاضرة.. وما أن غادر د.عمر قاعة الدرس حتى نهض أمين من مكانه بأتجاه أسماء وهند ليسلم عليهما ثم اتجه نحو فيفى وسحر وسعيد وسمير ليسلم عليهم وفجأة ترفع فيفى النقاب عن وجهها ثم مدت يدها قبل أن يمد أمين يده فى حركة أثارت استغراب سعيد وسمير وسحر، لم تأبه لها فيفى لأحساسها أن أمين كان لها أكثر من زميل وصديق وكانت تعتبره عضوا أساسياً وفاعلا فى المجموعة التى كانت تضمهم أيام الدراسة الجامعية الأولى وبحركة عفوية غلبتها براءة العلاقة أحتضنت أمين على طريقة الأصدقاء ثم أكملتها بأحتضان أسماء وهند... ثار سعيد وسمير ثورة هادئة وحاولا إثارة غضب أمين الذى تعامل معهم بهدوء وتمكن من تهدئتهم باستمرار حديثه معهم عن أخبارهم وأحوالهم وأصدقائهم وكيف أنه مسرور جداً من رؤيتهم كما أنه يتفهم لوضعهم الراهن والذى لا يمكن أن يكون سبباً فى التنكر لعلاقاتهم الأخوية التى

ترسخت بالعيش والملح والظروف المشتركة التى عانوها وقاوموها معاً. . . سحر وحدها ظلت متوترة ومتشددةعلى الرغم من محاولات سمير فى تهدئتها وإقناعها بأن أمين لم يكن سيئاً معهم وهم يحملون ذكريات مشتركة وجميلة. . ولتهدئة توتر سحر طلب أمين من زملائه قبول دعوته على الفطور أو الشاى لكن سحر ترفض الدعوة فإذا سمير يرمقها بنظرات حادة وكلمات حادة كشفت أن سحر هى زوجة سمير، بدليل أنه احتد قائلاً:

أسمعى، ياتيجى معنا ياتروحى بيتكم، ومافيش داعى للعنطزة الفاضية ولم تجد سحر مفراً غير الانصياع لرغبة سمير والإكتفاء بالانزواء فى مقعد جانبى فى كافتيريا الكلية التى رحب أصحابها بأمين وزملائه الذين كانوا يعرفونهم من السابق. . . وقبل إعداد الطعام إفتتح أمين الحوار بالتعبيرعن سعادته فى لقائهم من جديد وكيف أنه ومنذ تخرجهم قبل ثلاث سنوات أنقطعت أخبارهم ولم يلتق خلال السنوات الثلاث إلا بزميلين وزميلة «ماجد، كريم، سلمى» وأخبرهم بأن سلمى تعمل مديرة مكتب والده وبراتب أكبر من راتبه وقد تزوجها بعد ستة أشهر من التخرج وتعيينها مديرة مكتب والده. . وأخبرهم بأنها «سلمى» أنجبت له ولدين وهى تتمنى أن تكون أماً لثلاثة أولاد وبنتين. . . وأفادهم بأنه سعى قدر ما يستطيع فى مساعدة أى زميل كان يلجأ إليه. . فماجد مدير عام لأكبر مصانع

الشـركة وكـريم أيضـاً مـدير عام لأحـد فـروع الشـركة فى إحـدى المحافظات، وأطلعـهم بأنه قرر مواصلة الدراسة رغم إعـتراض والده وكيف أنه قدم إستقالته توفق في اخـتياره لاحدى خريجات الكلية من الدفعـات السابقة قبلهم بعـامين لتحل مكانة أثناء الدراسـة وكيف أن والده قرر تعينيها قائمة بالأعمال فقط ثم تراجع ورفض.

وما أن يكمل أمين حديثه حتى يلمح مـجموعة من الشباب تحاول البـحث عن طاولة فأشـار أمين إلى سـعيـد وسأله إن كـان أثنان من مجموعة الشباب يشبهون جابر وممدوح فيرافقه سعيد وأذا بأمين ينادى باسم ممدوح الذى التفت ناحـية المنادى حتى قـفز مسرعـاً نحوه وهو فاتحاً ذراعية ويردد:

أمين... أمين... ياه ياأمين.!!

ثم يلحـقـه جـابر وهو غـيـر مـصـدق... فتـبـدأ السـلامـات والاحتضانات والقبلات وبينما كان جابر ممسكاً بيد أمين قال:

مـا أجمل هذه اللحظات، والله العـظيم والذى خلقك وخلق كل البشر كنا قبل قليل نتحدث عنك وعن الشلة وعلاقة زمان واليوم... طول عـمـرك وأنـت تحب اللمـة والجـمع... يـاه يا أيام زمـان.. وفينك.. ما أجملها وأروعها..

أمين: ونحن الأسعـد ويالله تعالوا وكملوا الشلة.. أنا مـشتاق لكم، ينضم ممدوح وجابر وزملائه إلى طاولة أمين، كانت فيفى على

الجانب الأيمن لأمين بينمـا جلس جابرعلى الجانب الأيسـر . . كانت سعادة أمين لا توصف وهو يحدق فى وجوه زملائه التى بدت عليهم ملامح الفـرح والسرور . . . ولأن أيمن كـان يعرف بحقـيقة العـلاقة القديمة بين جـابر وسحـر فقد همس فى أذن جـابر وأخبره أن سـحر زوجة سمير وعليه نسيان ذلك . . . ويقطع السكون سعيد قائلاً :

أود أبلاغكم يا أعز الاصـدقاء بأننى وفيفى أتممنا خطبـتنا قبل أيام وأود مرةَ أخرى أن أقيم حفلة خطوبة أخرى على شرفكم .

جابر يرد :

مبروك لكم والحفلة الأخرى على حساب الشلة وأعتقد

يقاطعه أمين :

عفـواً ياجابر . . أنا وسلمى من سـيقيم هـذه الحفلة وفى دارى . . وخلال الأسـبوع القادم أى يوم الخـميس القادم . . . سـتمر سـيارات الشركـة لإحضاركم ومن دون مماطلة . . . وأحب أن أقـول شئ بهذه المناسبة . . . أنت ياسعـيد شاب طيب وطموح وتستحـقك فيفى وأما فيفى ياسعيد فأننا نوصيك بها وعليـها فهى فتاة طيبة وخلوقة وأصيلة وهى أيضاً لا تعرف الكذب أو المراوغة والغـدر ، أنا منذ عرفتها كنت ولازلت أشعر بأنها أكثـر من أخت وصديقة ولكن على أن أقول شئ عن الحـفلة وهو أن أي منكم لم يرتبط «يتـزوج أو خاطب أو عـاقد» فيستحسن أن يحضر مع شقيقته وإلا أقمنا فصل بين النساء والرجال .

ترد هند: إذا الاحتفال سيقتصرعلى الشلة فقط فلماذا عملية الفصل، أما أذا كانت تلك رغبة فيفى وسعيد فهذا شئ آخر.

فيفى: ليس لدى أى تحفظات، وما دامت الشلة ستلتقى فهذا هو الذى يسعدنا أكثر... ونحن كشلة نعرف بعضنا البعض ويجب أن تستمر علاقتنا بل ونورثها لأولادنا

ممدوح: أذن دعوا أمور الاحتفال للمنظمين قبل الأكل ما يبرد.

وبينما المجموعة تتناول الإفطار كان أمين يتهامس مع فيفى وسعيد فيسألهم عن حياتهم الخاصة ومتى تزوجا وظروفهم المادية، فاطلعته فيفى بصوت هادئ قائلة:

هذا الموضوع طويل ومتشابك والوقت غير مناسب... وأنا متشوقه كثيراً للحديث معك عن كل شئ هذا طبعاً بعد إذن سعيد... وعلى فكرة سحر ياأمين تحتاج إلى حناننا وعطفنا.

يعقب سعيد: أنا نفسى مشتاق لشخص مثلك أفضفض معه من دون قيود أو حساسية.

أمين: ليس أكثر منى ياسعيد فانا محتاج لاصدقاء أعزاء أفضفض معهم بكل حرية وأسمع نصائحهم.. ياه لو تعرفوا كم هى سعادتى اليوم برؤياكم بعد ثلاث سنوات عجاف لا شفقتم على حالى... ألهم الايام أمامنا... وأما الأخت سحر فأنا مقدر حالها وموقفها وأعدكم بأن نعمل سويا وبقدر الإمكان لمساعدتها.

بعد ساعة كاملة من تناول الإفطار تفرقت مجموعة أمين إلى ثلاث فرق.. إحـدى هذه الفرق برئاسـة أمين وتضم أسـماء وهند وممدوح وجابر قـررت الحضور لمحـاضرة الاستـاذ/عمـر. والبقيـة ذهبوا إلى أتجاهات مـتفرقة، بـعد انتهاء الدوام للـيوم الاول كان أمين قـد سأل أصـحابه عن أى منهم يرغب مـرافقـتـه بسيـارته ذات الدفع الرباعى ورافقته أسـماء وهند بينما ممدوح وجابر غادرا سيـارة ممدوح الصغيرة وفى الطريق لمح أمين سـعيد وسـمير وفيـفى وسحر ثم أدار سـيارته نحوهم ودعاهم للركوب فلبوا دعـوته وركبوا... ويقوم بتوصيل كل واحد إلى منزله وبقى سعيـد كآخر راكب يوصله أمين الذى أدرك أن سعيد وفيفى لا يعيشان معاً ولكنه لم يرغب فى السؤال حتى لا يعكر صفو اللقاء.

كـانت سلمى بـانتظار أمـين على الغـداء وهـى المرة الأولى التى يحضر للغداء متأخراً ولم يقم بابلاغـها عن سبب التأخير... وما أن فتح الباب حتى استلمته بالاسئلة فأجابها بهدوء ولطف بأن السبب هو حـضوره لمحـاضرة ثم أزدحـام المرور مع انتـهاء الوقت الرسمى فى المؤسسات الحكومـية، وحاولت سلمى تصديقـه رغم أنها المرة الأولى التى يكذب فيـها أمين وأبلغـها وهم على الغداء بأنه يفكر فى إقـامة حفلة لصديقه وخطيبته بمناسبة خطبتهما ووافقته سلمى على الفكرة.

بعد صـلاة المغرب من ذلك اليوم التـقى سعيـد وسميـر فى أحد

المنتزهات الساحلية فجلسا يتبادلان اطراف الحديث عن ما حصل معهم ذلك اليوم، يقول سمير: شخصياً لست غاضبناً مما حدث معنا اليوم وخصوصاً اللقاء مع الأخ أمين الذى تربطنا به علاقة شفافة وخاصة... ولكن تصرفات سحر هى التى أقلقتنى ووترتنى ومع ذلك تعامل معنا أمين تعامل أنسانى وراقى... ومع عودتنا سألت سحر عن سبب تصرفاتها فآخبرتنى بأن السبب يعود إلى تصرفات فيفى غير المتوقعة رغم احترامها لأمين ولكن وللأمانه لم أصدقها ياصديقى العزيز والسبب أن تصرفات سحر بدأت تتغير نحو التشدد وبالذات بعد شهرين من زواجنا ولعلك ياصديقى لم تلحظ ذلك على عكس فيفى التى كانت متنبهة لذلك وقد فاتحتها أمامى عن ذلك وحاولت نصحها ولكن من دون جدوى.

لحظة صمت تخللتها دقائق من السكون قطعها سعيد قائلاً:

حينما رأيت أسماء وهند محجبات حجاب طبيعى حتى راودتنى الكثير من الأسئلة عن الحالة التى وصلنا إليها فقلت لنفسى ملعونة تلك الأوضاع التى لا ترحم وملعون من كان وراءها وسبباً فى تعقيدها.. ملعونة الأوضاع التى تحدد خياراتنا وتتحكم بمصائرنا ومستقبلنا...!!!.

يقاطعه سمير بالقول:

أنت ياصديقى العزيز يختلف وضعك مع فيفى عن وضعى مع

سحر . . . فأنا دخلت على سحر ونتوقع أن يحل علينا ضيفاً جديداً فى الأيام القادمة وهذا سيعقد الاوضاع ويعرقل من تحركاتنا. والجماعة ياالله يصدقوا أى واحد يقع فى المشاكل حتى يفرحوا ويحكموا طوقهم حوله لتسهيل توجيهه وقيادته وغسل دماغه قبل كل شئ.

يرد سعيد بسؤال صديقه:

وهل تعتقد ياصديقى أن الجماعة سيغفروا للخارجين عن نهجهم حتى ولو لم يشكلوا أى خطر أو تهديد على كيانهم؟ لقد سبق وأن حذرتك منهم وأنت أعتقدت إن العملية لاتخلو من مجرد رحلة سياحية . . . وعلى أية حال ينبغى علينا من الآن التحوط من الآتى المجهول وعدم التسرع فى ردود أفعالنا.

يقاطعه سمير متسائلاً:

وهل تعتقد أنه بإمكاننا مواجهتم أو تجنبهم؟

يجيبه سعيد:

لا أعتقد ذلك ولكنى أميل إلى المهادنه والمراهنةعلى أن وجودنا معهم قصير وقد لا يثير إهتمامهم نحونا وأتمنى حدوث ذلك؟

يعلق سمير:

أذن ما علينا إلا أن نحاول التزام الصمت ونترك الأمر للأيام مع أنى سأظل قلقاً مع تشدد سحر

وفى الطرف الاخر كان ممدوح على موعد مع هارون وفضل وسيف بينما تخلف عنهم جابر لاسباب عائلية ومع بداية اللقاء كان ممدوح يفتتح اللقاء بالحديث عن دعوة أمين لكل أفراد الشلة لحضور حفل فى منزله بمناسبة عقد قران فيفى وسعيد ولهذا فهو يتمنى من الجميع الحضور وإبلاغ بقية أفراد الشلة، فعقب فضل:

دائماً أمين سباق فى المجاملات والواجب، ولأنى أقدره كثيراً وأعتز بعلاقتى معه فأنا أشعر بالخجل عندما نلتقى بين الحين والحين لشعورى أن مكانته الاجتماعية والاقتصادية لا تسمح له باقامة علاقات صداقة بين أمثالى وأمثاله

يقاطعه سيف:

لا أعتقد أن أمين يفكر بذلك وكم من مرة رحب بنا ويدعونا لزيارته ويترك أعماله لمرافقتنا والتفرغ لنا وكذا مشاركاته الواسعة بمختلف المناسبات الخاصة التى توجه له، وياليتك قابلت صلاح ابن معالى المناضل والقائد لتمنيت لو أن الأرض بلعتك أو قذفتك لارض ثانية ليس فيها صلاح وأشباه صلاح!

يعلق هارون:

هناك فرق شاسع بين أمين وصلاح كالفرق بين السماء والأرض... أمين رجل من أصل وحسب ونسب ولأن والدى مرتبط ببعض الأعمال مع مجموعة والده وسيكون لنا لقاء معهم بعد يومين

فسوف أفاتح أمين بإمكانية مشاركتنا بدعم زملائنا سعيد وفيفى وأعتقد أن هذا سيكون أحسن لإعادة لم شمل المجموعة من جديد.

وبدأ السؤال مـن قبل فضل وهارون وسـيف عن بقيـة المجمـوعة ومتابعة أخبارهم، فتدخل هارون قائلاً:

لعلكم تعرفـون أن سلمى تزوجت من أمين وبعد زواجهـا تحملت الإشراف على مكتب والد أمـين فى إدارة المجموعة وأصـبحت خلال سنة واحدة بمثابة ديـنامو المجموعة ومع ذلك تجـد أمين سعيداً مـعها ويتعامل معها فى العمل بشكل طبيـعى وقد قُدمت لها عروض كثيرة من قبل شركات ومؤسسات أخرى لإدارتها مقابل مبالغ مغرية ولكنها رفضتها لقناعـتها أن موقعها الاصلى هى مجـموعة والد زوجها الذى رفع راتبها متجاوزاً لرواتب كل مدراء ومستشارى المجموعة.

سيف يعلق:

كلنا يعرف سلمى وأخـلاقها وذكـاءها وخفة دمـها ولكننا لم نكن نعرف بحقيـقة علاقتها بأمين إلا بعد التـخرج وإعلانهم الزواج بعد حب عميق وعاصف... إنها تستحق أكثر من ذلك وأيضاً أمين.

كثـير من الـشباب خـريجي الجامـعات والمعـاهد المتـخصصـة لم يحـصلواعلى وظائف وشكلوا ٩٠٪ من البطالة العـامـة التى تشكل ٤٥٪من إجمالى عدد السكان القادريـن على العمل... فسوق العمل أصبح محـدوداً نتيجة لعدم وضـوح السياسات العامـة للنظام القائمة



على الارتباك والتـخبط بين توجهـاته والسياسـات اليمينيـة والوسطية واليسارية ففى مرة يتم الأخذ بسياسـات اليمين ومرة أخرى بسياسات الوسط ومرة ثـالثة بسيـاسات اليـسار ومرة أخـيرة بسـياسـات شاملة للكل..!! وهى طريقـة المزج بين مختلف السـياسات ولـكن بطريقة غير مخططة أو منظـمة... ثم إن الفساد أصبح مستـشرياً فى جميع مفاصل النظام حتى بات يشكل نظامـاً موازياً للنظام القائم وله أهدافه وبرامجه ونظامه الداخلى وهيئاته الـقيادية، من هنا تشكلت جماعات الفساد فى مـختلف أقاليم البلد التى تعمل علـى نهب خيرات الناس وتحول حياتهم إلى جحيم لا يطاق.

يستمر لقاء أمين وصحبـة فى الجامعة ويؤكد لهم أمين على موعد اللقاء وذات يوم يتفق مع فيفى لكى ينفرد للقاء بسحر ليتبادلا الحديث معاً، ولم يعـترض سميرعلى ذلك وفى اليوم الثـالث من أول أسبوع جامعى أخبر سمير سحر بأنه على موعد هو وسعيد مع بعض الأخوة من الأصدقـاء خارج الجامعـة، وتمكن أمين بصعوبة من إقناع سـحر باللقاء والحـوار التى تفتحت أمامـه مواضيع معـقدة لم يتوقعـها ولم يسمع بها من قبل وتحكى سحر قصتهاعلى لسانها وبحضور فيفى:

حكايتى يا أخى بدأت من خمس سنوات حـينما تزوجت أمى من شخص حقير بعد عشـر سنوات من الترمل فقد عانيت وأختى وأخى الكثير من الالام بسببـه ولم ينزاح كاهله عنا إلا قبل ١٥شهراً، زواج

أمى بالطبع أثرعلى حياتى النفسية بدرجة أساسية وكنت أتوقع من الشخص الذى أحببته وكان أول حب حقيقى فى حياتى أن يقف معى ولا يتجاهلنى ويتهرب منى وأحياناً تمر أيام من دون حتى ما يسلم علىَّ... والشلة كلها كانت تعرف حكايتنا وحاولت جاهدة مساعدتنا وأنت أولهم.. لكن حبيب الغفلة طلع بلا أصل ولو كان قال لى إن عائلته أجبرته على الزواج من بنت عمه لما زعلت وربما باركت له وأنهينا الامر بكل هدوء وسلاسة.. حبيب الغفلة جابر لم أكن أعرف أنه جباناً.. فزادت معاناتى النفسية وبالكاد تخرجت من الجامعة دون رسوب، وأثناء فترة الامتحانات ومع المذاكرة أستعداداً لها توثقت علاقتى بسمير الذى غمرنى بحنانه وعطفه فأشعرنى بالطمأنينة والاستقرار وما أن أكملنا الامتحانات تكلمنا معاً عن ضرورة ان نحتفل معاً واحتفلنا فعلاًعلى العشاء فى أحد المطاعم حينها تكلمنا عن الحب وأفصح لى عن حبه لى واستعداده للتقدم لى والزواج منى ولأنى أعرف ظروفه فقد طلبت منه أن يمهلنى أيام للتفكير بطلبه والرد عليه، بعد ثلاثة أيام اتصل بى وطلبنى للقاء دون أن يفاتحنى بالرد... وفى الحقيقة وقبل اللقاء كنت أشعر بالشوق إلى لقائه وما أن تقابلنا حتى أحسست أن قلبى يخفق له ثم أخبرته عن ذلك الاحساس ففرح وبعدها ناقشنا طبيعة أوضاعنا المادية والعائلية وتوصلنا إلى خيارين لا ثالث لهما:

الخيار الأول: الانتظار حتى تتحسن أوضاعنا المادية.

الخيار الثانى: إعلان الخطبة بعد الحصول على وظائف لنا.

ودارت الأيام... ستة أشهر فشلت فيها في الحصول على وظيفة بينما سمير وفق فى مؤسسة حكومية بوظيفة مؤقتة، ولقاءاتنا كانت مستمرة وذات يوم كئيب أعدت مناقشة تلك الخيارات ووضعت خياراً جديداً وهو أن نتزوج عرفى، وقد يسألونى لماذا إخترنا هذا النوع من الزواج؟ فجوابى لكم هو أنه كان هناك إحساس يراودنى بأن الإنتظار سيطول والعُمر سيمر بنا وأى محاولة منا للصبر فإن النتيجة لن تكون مجدية لنا... صحيح أن سمير أعترض فى البداية ولكن فى الآخر اقتنع بمبرراتى... وقبل أسبوع من الإتفاق على الفكرة - الزواج العرفى - كنت قد تعرفت على جارة لى تدير جمعية خيرية إسلامية وقد عرضت علىَّ العمل معها فى الجمعية كمديرة إدارية ومالية وبراتب يفوق راتب مدير إدارة فى مؤسسة حكومية وعندما وافقتها أخبرتنى أن الوظيفة تشترط ارتدائى النقاب فقبلت شرطها دون نقاش رغم عدم اقتناعى بالفكرة من الأساس حتى سمير لم يقتنع بها حتى اللحظة ولكن يحاول مجاراتى... وفى أول يوم عمل لى أخبرتنى رئيسة الجمعية عن مساهمة الجمعية فى مشاريع سكنية خدمة للأخت المسلمة ثم سألتنى إن كنت متزوجة أوعلى الطريق؟ فأجبتها بأننى على الطريق للتأهيل ولكن ما ينقصنا هو السكن، فبادرتنى بأنها تستطيع

الحصول لى على شقة بعد شهر واحد لو أنى قبلت أن يتم دفع أول قسط من قيمتها من راتبى كما أن الجمعية تستطيع مساعدتها فى توفير بعض قطع الأثاث الأولية، ومن دون تحفظ قبلت بالفكرة فأرسلت إحدى مساعداتها لاحضار وثائق العقد الخاصة بالسكن من جمعية أخرى يرأسها أحد الشيوخ المعروفين بإنتمائه للتيار المتشدد لجماعة الإخوان المحظورة... ومع أنى كنت سعيدةبالشقة فقد دفعتنى حالة السعادة تلك إلى توقيع الإتفاقية من دون قراءتها ومناقشتها، ثم أبلغت سمير بذلك وكان مسروراً... وفى اليوم الثانى وحينما وصلت مكتبى وجدت نسخة من عقد الشقة فقررت قراءتها وإذا بجسمى يرتعش رهبةً وخوفاً من محتويات العقد التى تكبلنى بقيود ثقيلة وطويلة ومعقدة مثل: -

(١) مدة العقد ٢٥سنة.

(٢) أشتراط النقاب وإلتحاء زوجى - أى أن يكون ملتحياً - وفى حالة تخلفنا عن ذلك تضيع حقوقنا من الشقة وقيمتها وأحقية مقاضات الملاك قانونياً بما فيها سحب الشقة من حوزتنا.

(٣) فى حالة عدم تمكنى من تسديد الاقساط الشهرية أو القسط الشهرى فإننى ملزمة بدفع ١٠٪ من قيمة القسط مع فترة سماح شهر واحد فى حالة التخلف عن التسديد.

(٤) التزامى وزوجى على دفع نسبة ٢,٥٪ من إجمالى دخلنا السنوى

كزكاة إلى الجمعية التى أعمل بها حتى لو تركت العمل فيها.

تتوقف سحر عن الحديث نتيجة لمقاطعة أمين المصحوبة بنهدة طويلة يـ... يـ... للهول... هذا جرم وأستغلال بربرى ولا علاقة له بالاديان وخصوصاً ديننا الإسلامى الحنيف!!

تواصل سحر سرد حكايتها قائلة:

المهم اتصلت بسمير وطلبت لقاءه وشرحت له الورطة التى وقعت فيها وللأمانة كان رجلاً، حاول تهدئتى من خلال تأكيده الوقوف معى فى كل الظروف فكان سريعاً فى التحرك حيث قام فى الإتصال بأحد أشقائه الذى يعرف أحد المحامين الجهابذة وشرح له الأمر وبعد ساعة جاءنا الرد بأن العقد هو شريعة المتعاقدين ولا أمل لنا إلا بشراء الشقة كاملاً ونقداً وهذا يعنى أن لا مناص من تنفيذ العقد... يومها قرر سمير التقدم لخطبتى والإسراع للزواج والسعى لتأثيث الشقة بالامكانيات المتوفرة، فأخبرت عائلتى التى قبلت الأمرعلى عكس عائلة سمير التى رفضت رغم زواجنا العرفى... فتزوجت سمير من دون موافقة أسرته وتحمل غضبهم لأجلى وهذا موقف أعتز به وقيدعلى عنقى ما حييت...

تتوقف لحظة عن الحديث تتناول خلالها جرعات من الليمون ثم تواصل حديثها:.

تزوجنا بعد شهر من إستلام الشقة ومن دون احتفال لقناعتنا

بالظروف المادية التى نعيشها وقد أستمريت فى عملى حتى حصلت على موافقة من الإدارة العليا للجمعية التى أعمل فيهاعلى مواصلة دراستى التى توافقت مع موافقة عمل سميرعلى مواصلة الدراسة، وقبل ذلك كادت فيفى أن تنزلق إلى الهاوية التى إنزلقت اليها ولكنها تراجعت بعد محاولات إقناع طويلة منى ومن سعيد ولأنى أخاف على نفسى وزوجى وفيفى وسعيد فلا يعنى أنى مقتنعة بالوضع الذى نحن فيه والسبب يا أختى عايشت قضايا ناس كثيرة وقعوا فى الهاوية وسمعت روايات تشيب له رأس الرضيع... استمع لهذه الرواية التى حصلت مع أحد شباب الجماعة الذى تزوج من فتاة قريبة له تتمتع بجمال صارخ، حضر حفل الزواج كبار المشايخ فى الجمعية التى يعمل فيها وكثير من زملائه ومرؤوسيه وسار معه الأمر لمدة عام كانوا - كبارالمشايخ - يغرقونهم بالهدايا والعطايا المادية والاجتماعية، بعد عام تم أبتعاث ذلك الشاب إلى دولة عربية للدراسة الجامعية لمدة أربع سنوات، طبعا فرح هذا الشاب ودفعته الفرصة ليطلب من رؤسائه السماح له فى مرافقة زوجته له ولكنهم حاولوا إقناعه بمبررات رفضهم ثم أسكتوه بقرار دفع مصاريفه الشهرية وكيف سيكون دوره هناك، وسافر الشاب المخدوع وأنتظم فى الدراسة وظل على تواصل مع زوجته ومرؤوسية وعندما طلب أن يعود إلى الوطن بعد إنتهاء الفصل الاول كلفوه بالسفر إلى دولة إسلامية لحضور مؤتمر ثم حاولوا بعد

أنتهاء العام الأول حتى وصله تكليف بالسفر إلى ثلاث دول للمشاركة فى اجتـماعات وندوات وغيـرها حتى إنتهت الإجازة وعـاد للدراسة وكانت وسيلة الاتصال الوحيـدة بينه وبين زوجته هى المراسلات التى كـانت تصل ما بين رسـالة ورسالتـين كل ثلاثة أشـهر وبلغت عـدد الرسائل التى أستلمتها زوجـة الشاب رسالتين فقط، وهذه المسكينة تم أستدعاؤها من قبل مؤسسة عمل زوجها فالتقت بأحد الآشخاص وهو كبيرهم ويلقبوه بالشيخ أنور والمعروف عنه بالمغامر العاطفى أو شهريار عصره ويمتلك محلات تجارية كبيرة وواسعة ومنتشرة بالاضافة إلى أنه أكثر شخص يحب أن تحيطه الفتـيات وقد تزوج لأكثر من أربعين مرة بمختلف أنواع الزواج ولعلك تابعت حكايتـه مع وسائل الاعلام وفى كل عام.. فمرة يحكم عليه بالسجن ومرة يتم الافراج عنه...، وفى ذلك اللقاء بدأ الشيخ حديثه بكلام إطرائى عن جمالها الفتان وقوامها الممشـوق وأفصح لهـا بأنه كان يحمل هذه الفكـرة عنها من أول يوم رآها فى يوم زفافها...شكرته الفتاة بأدب وحياء ثم سألت عن سبب أستـدعائهـا... يضغط الشـيخ أنورعلى الأزرار وفجـأة يدخل أحد الشبـاب ذات اللحى الطويلة حـاملاً شنطة جـميلة عليـها أسم أكـبر المحلات وأشـهرها لبيع الذهب والماس فنـاولها للفتـاة وهى فى حالة اندهاش فقطع تلك الحالة تدخل الشيخ أنور قائلاً:

هذه هدية شـخـصيـة منى ومن المؤسـسة لـك وإكرامـاً لزوجك

الطيب . . . وتعلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبل الهدية .

تتلجلج الكلمات فى فم الفتاة ولم تستطع حتى قول كلمة شكراً. ثم باغتـها الشـيخ بسؤال إن كـانت تود العمل لتـخرج من وحـدتها وتستفيد من وقتها؟ فردت بالايجاب بايماءة من رأسها فضغط على زر آخر وفـجأة تدخل فـتاة شـابة يتجـاوز عمـرها ٢٢سنة على الأكـثر وقالت :

نعم سيدى .

يرد الشيخ بالقول :

أسمـعى يابنتى أصـدرى أمراً بتعـيين زمـيلتك وأختك سكـرتيرة شخصية لنا وليتم إعداد مكتب لها بما يناسب ذوقها وأذكرى فى الأمر أن راتبـها الشـهرى ٤٥٠دولار فى المـرحلة الأولى ومن أول الشهـر القادم . . أى بعد يومين .

الفتاة بلعت الطعم وخرجت فرحة نحـو شقتها بعدأن أغلقت بابها فتحت شنطة الهدية فوجدت مجموعة من العطور الغالية وخاتم ذهب من عيار ٢١ قـيراط وعطر من بخور العود مع كريمـات من ماركات مشهـورة وفى شنطة أخرى ملفوفـة بعناية وجدت ملابس نوم شـفافة ومن ماركات عالمية بلغ عددها سبـعة مع لوازمها . . . لم تحاول الفتاة التفكيـر فى أمر ملابس النوم على إعـتبار أن الأمـر هدية . . . ولأنها ساذجـة وعلى نياتها لم تتكلم مـع أحد عن تلك الهدية حـتى عندما

قامت بزيارة أسرتها فى نفس يوم لقائها بالشيخ أنور وتصادف أن التقيت بها هناك عندما كنت وسمير فى زيارة شقيقها وهو صديقه، تعرفنا على بعض وأعطيتها عنوانى لزيارتى فردت علىَّ والفرحة تسيطرعلى وجهها:

أنا فى نفس العمارة وبالدور الخامس... لا تتصورى مدى سعادتى بمعرفتك، على الأقل تونسوا لى وحدتى..

بعد الكلام وقبل أن نغادر منزلهم عرف شقيقها صديق زوجى بأمر تعارفنا وبادر شقيقها لتعريف زوجى على شقيقته والعكس وهو يقول:

هذه أختكم والله اللّه بها، وأنت ياحنان هؤلاء أخوتك فلا تخجلى منهم فأنا أعرفهم وأثق بهم...

وفى اليوم التالى زارتنا حنان وكنت فى الشقة مع سمير بإنتظار فيفى وسعيد ثم أخبرتنا عن العمل التى حصلت عليه وراتبه وبعد المناقشة الطويلة عرفنا أن الشيخ منحها هدية جميلة فطلب منها سمير أن تريهم الهدية وقد رحبت بطلبنا وعندما ذهبت لاحضارها سألت سمير عن الهدف من طلبه؟ وكلكم تعرفون أهتمامات سمير بالتحرى والبحث، فأجابنى: إنه يريد معرفة الغرض من تقديم الهدية والوظيفة وعدم السماح لزوجها بالعودة خلال الإجازة السنوية... حينها كانت فيفى وسعيد قد حضرا إلينا بلحظات قبل عودة حنان التى شعرت

بالاحراج ولكننا أزحنا الاحراج بعد تعريفهم وتطمينها لهم. . .

فتح سمير شنطة الهدية وتعالت الدهشة ملامح وجهه حينما وجد ملابس النوم وهو يعدها. . . فراح يتأملها ويتكلم مع نفسه. . . سبعة!! سبعة!! لماذا بالذات سبعة؟! ولماذا لم تكن عشرة أو إثنين أو خمسة؟!. . بعدها يعيدها إلى الشنطة ويعود ليشرح لسعيد وفيفى بحكاية الشنطة والوظيفة وراتبها. . . ثم يسأل سمير حنان:

هل وقعتِ على عقد العمل؟

حنان:

لا: ولم يخبرونى عن ذلك. . ولماذا تسألنى؟

سمير: أنا أنصحك كأخ يخاف عليك لا تذهبى إلى العمل ولا تقابلى ذلك الشيخ مرة أخرى، فهذا الشيخ له نوايا خبيثة. . !

حنان: لا استطيع أن أرفض كى لا أوثرعلى حياة ومستقبل زوجى. .

سمير: أرجوك أسمعى الكلام ولا تعاندي.



حنان: دعنى أفكر بالامر وسأرد عليك غداً. . . وإكراماً لضيوفكم وأصدقاءكم فأنا أدعوكم لتناول العشاء فى شقتى الليلة. .

تحاول فيفى أن تثنيها حتى تم الإتفاق على أن تقوم حنان بالطبخ وإحضاره إلى شقة سحر وبالوقت الذى يحضر اليك أخوك الصغير. . . ترضخ للمقترح وتعود لشقتها لإعداد العشاء. . . بعد كل المحاولات لم تستطع حنان الهروب من ضغوط الشيخ أنور التى بلغت إلى حد

تهـديدها بطردها من الشـقـة ووقف مخـصـصات زوجـهـا الشهـرية والتعليـمية... وبعـد شهر من عملهـا كانت حنان تعانى من ضـغوط نفسية وعاطفية قاسيـة طوقها بها الشيخ أنور قادتها إلى الانهيار ومن ثم الاستسـلام لإرادته التى تمثلت فى الزواج منه عُرفيا بعـد أن أخبرها أن زوجها قد بعث إليهم بورقة طلاقها لاسباب أنه سخّر حياته للجهاد...

تزوجت حنان عرفياً من الشيخ أنور وقد أستمر هذا الزواج لمدة عام من دون أن يبلغوا زوجها بالأمر وبعد عام طلقـها الشيخ ومنحها مهراً نقدياً يساوى ٥٠٠٠دولار مع تعـهد منها بـالصمت وعدم مـقاضاته مـقابل سحب الشـقة منهـا وطردها هى وزوجها من العـمل... بعد طلاقـها تحررت حنان من الضغـوط الشيخية لكنهـا ظلت ذابلة وحزينة ومرتبكة حاولنا الوقوف معـها حتى عودة زوجها بعد سنـتين ونصف من الغياب فوجد زوجته شـاردة وغير سعيدة أو مباليـة لعودته وقد ظلت نافرة منه لعدة أيام كلما دان منها يجد صداً حتى تشجعت فيفى وقررت التحدث معه عن ما حصل فشعرت أنا وسمـير بالشجاعة ثم دعيناه لتناول القهوة معنا وبعـد تردد طويل وصعب تكلمت فـيفى بعد أن طلبنا منه العـهد بالامان والعقلانية فى الحوار معـهم وأيضاً التحكم بردود أفعاله، وما أن أعلن عهده حتى سـردت له فيفى الحكاية وما أن سمعـها حتى أنهارت قـواه وغاب عن الوعى لدقـائق بعـد أن ساعـدناه على إيقـاظه بالطرق الطبيعية المعروفة...

تتوقف سحر عن الكلام معلنة أنها تشعر بالإرهاق ولا تستطيع المواصلة فشكرها أمين قائلاً:

معاناتكم مؤلمة وصمودكم بطولى ولا أدرى كيف لى أن أستوعب الأمر ولكنى على ثقة بأننا نستطيع فعل شئ.

ترد سحر عليه: أعتقد أن فيفى قادرةعلى المواصلة فى سرد الحكاية لو رغبت بذلك.

أمين: لو ما فى مانع من قبل فيفى فأنا لا أمانع وسأكون مسروراً وبعد عدة رشفات من عصير الليمون تكلمت فيفى قائلة:

كان الموقف حينها سيئاً ومؤلماً وموحشاً وكان لابد من قيامنا ببعض التصرفات فقررت أنا وسحر المبيت مع حنان بينما زوجها ينام مع أزواجنا بعد أن يأخذوا أنفسهم لفسحة وسهرة قد تساعد زوج حنان «قاسم»على التخفيف من بعض آلامه وتوتراته وبعد جلوسنا مع حنان تداولنا الحديث لمدة خمس ساعات توصلنا فيها إلى أن حنان تحتاج إلى طبيب نفسى أولاً وتغيير موقع السكن باسرع ما يمكن، وأدركنا أن حنان كانت مجبرة وهى لازالت تحب قاسم ولكنها لا تستطيع رؤيته بعد ما حصل لها... وفى الجانب الآخر حاول سعيد وسمير بذل أقصى جهودهما مع قاسم الذى استمر متوتراً حتى هدأ قليلاً عندما تعهدوا له بالوقوف معه ومساندته فى كل خطواته وأولها التسترعلى الموضوع وأستمرار علاقته مع الجماعة وشيوخها وخصوصاً الشيخ أنور من دون انفعال كى لا ينقلبوا عليه

والانتقام منه والهدف جمع أكبر قدر من المعلومات عن أنشطتهم وعلاقاتهم وخفاياها ومن ثم فضحها للرأى العام.

وبعد مرور ٤٥ يوماً تم تغيير سكن حنان وقاسم وعودة الروح إلى حياتهما ولو بنسبة ٣٠٪ إلا أنهما تجاوزا الأزمة مع الأيام وقام قاسم بنشر أخبار الفضائح إلى بعض الصحف وتخطيطه لاغتيال الشيخ أنور الذى نجى منها حياً وبأعجوبة ولكنه أصبح مقعداً حتى اللحظة من دون معرفة من يقف وراء محاولة الإغتيال.

يقاطعها أمين غاضباً:

إلى هنا وكفى... أرجوكم أنسوا ما فات... وأود أن أقول لكم بأنى متفهم لاوضاعكم وعلى إستعداد للتعاون والعمل معاً. ولا تنسى ياسحر أن تحضرى حفلة الخميس وهى بالمناسبة تشوفى سلمى وتعيدى ذكرياتك معها، وصدقينى لن تندمى، سأكون أكثر سروراً بحضورك وحضور قاسم وحنان إن أمكن.

فيفى نيابة عن سحر وبلهجة مؤكدة تقول:

أنا واثقة من أنها لن تخذلنا ولا تخاف!

أمين وبصوت أجش: وماذا عنك يافيفى؟

فيفى ترد بعد نهدة عميقة معبرة عن الحزن والألم:

حكايتى يا أخى طويلة وليس وقتها الان ولكنها أخف من حكاية سحر وأعدك بأن أحكيها لك بعد الاحتفال.



تقاطعها سحر وهى تناول أمين مظروف فقالت له:

هذه ثلاث كراسات حجم ٢٠٠ ورقة كتبتها بقلمى منذ تخرجت من الجامعة حتى عودة قاسم، أريدك أن تقرأها أنت وسلمى.

علامات الدهشة علت وجه أمين وهو ينظر إلى فيفى وبعد أن أخذ المظروف يقول: لا أستطيع التعبير عن حقيقة مشاعرى تجاة ثقتك بى التى لم أتوقعها بعد لقائنا مؤخراً فى الجامعةعلى الرغم من أنك وفيفى وسلمى وأسماء كنتن الأقرب لى وللجماعة، وأتمنى لو نستطيع إعادة بعض ذكريات زمان وتجديدها.

بعد لقاء سحر وفيفى مع أمين، واصلت فيفى وسحر الحوار وهما يسيران على الأقدام والحديث عن أخلاقيات أمين وكذا دوافع سحر فى الانفتاح والإنطلاق السريع بالحوار مع أمين فتعقب سحر قائلة:

تعرفين علاقتى بأمين ودورى فى تقاربه مع سلمى، وعندما رأيته بعد غياب ثلاث سنوات أصابتنى الدهشة والإضطراب لأنى لم أكن أصدق أو أتوقع بأنى سأراه وألتقيه بعد هذه السنوات وعندما طلبت منى التحاور معه سررت وعرفت أنه الوحيد لقادرعلى أستيعاب أوضاعى وهمومى ثم قررت أن أتحدث معه بدون تحفظ وأسلمه مذكراتى لمعرفتى أنه شغوفاً بحب الاطلاع والقراءة والكتابة وأيضاً سعة صدره وعقله.

يطلب أمين من سلمى أن تتركه وحيداً ليطالع مذكرات سحر بعدأن أبلغها برغبة سحر حيث سيقوم بعدها بأعطائها ملخص للمذكرات.

الفصل الثانى

وفى الكراسة الأولى من المذكرات أثارت أنتباهه الحكاية التالية كما كتبتها سحر :

بعد شـهر من زواجى العـرفى بسمـير وتوسع عـلاقتى بزمـيلات العـمل والزبائن من السـيـدات وتوثق تلك العـلاقات سـمـعت من القصص المحزنه والمضحكة، فمثلاً إحدى موظفات الدائرة التى أتحمل مسؤوليتها حدثتنى عن رئيسة الجمعية قائلة:

كانت- تقصد رئـيسة الجمعية - نادلة فى أحـد الفنادق ثم راقصة درجة ثانية وتعرفت على أحد رجال الأعـمال الذى دعاها إلى ضيافته فى جناحه الفخم بالفندق مقابل أمتناعها عن الرقص فى فترة الضيافة مع مبلغ مالى مغرى ومحترم، استمرت معه أسبوع ثم عادت للرقص وتعرفت على آخر ظل يلاحقها طويلاً حتى تزوجها عُرفياً ثم طلقها، بعدها تزوجت عُرفى من شخص آخر وأستمرت معه مدة شهر وبينما كانت فى رحلة عـمرة قـابلت زوجها الثـانى وطلبهـا للزواج بعد أن عرفت بتـحسن أوضاعـه المادية والوظيفيـة حيث أصبح رجل أعـمال ومتدين فـقبلت طلبه واتصلت بزوجها الثـالث وطلبت منه أن يطلقها وبعـد حوار طويل على الهـاتف وتبـادل الاتهامـات والشتـائم أدت بزوجها إلى تطليقها وبنفس الليلة عـقدت زواجها العرفى من العريس الجـديد من دون مـراعاة لشـروط وقـواعد الزواج مـثل: أيام العـدة وغيـرها. . . زواجها الاخـير أستمـر أكثر من ١٨شـهر وهو الاطول

عمراً من الزيجات السابقة، خلال هذه المدة كان زوجها يعمل كشريك صغير فى الجمعية التى تعمل بها ولها مشاريع تجارية وسكنية وإجتماعية فى عدة مدن فى البلاد، بعدها تعرف عليها أحد الشيوخ الكبار المالكين للجمعية ومشاريعها فاعجب بها وفاتحها بالامر وطلب منها أن تطلب الطلاق من زوجها مع وعد منه لها بزواجه منها، وبعد ضغوط وإغراءات مختلفة تطلب الطلاق من زوجها ولكنه يرفض تطليقها وما أن علم ذلك الشيخ بأمر الرفض حتى بادر لعقد لقاء فى مكتب رئيسة الجمعية ومعشوقته وأستدعى إليه العديد من الشخصيات الكبيرة ومنها زوج الرئيسة وفى أول اللقاء طرح ذلك الشيخ موضوع عشيقته مع زوجها وطلبها الطلاق منه وعلى الرغم من غرابة موضوع اللقاء فقد توسع النقاش فى الموضوع بحضور العشيقة وأختتم اللقاء بإجبار الزوج على تطليق زوجته، وأشيع بعدها بأسبوع بأنها تزوجت من الشيخ أيضاً بعقد زواج عُرفى وأنجبت له ولداً وبنت وعاشت فى فيلا مع أولادها وأشيع بأنها كانت على علاقة مع أحد أصدقاء زوجها الشاب ويقال إن إبنها الأصغر هو إبن صديقها وعشيقها الشاب، وحتى الآن فأولادها لا يحملون شهادات ميلاد كغيرهم من الأولاد.

وسمعت أيضاً من زميلة أخرى عن دور رئيسة الجمعية فى تنظيم علاقات زواج عرفى ومتعة ومسيار بين فتيات ورجال من الأثرياء

والشخصيات العامة مقابل منافع ومصالح مادية متبادلة. وكانت تقوم بذلك فى مكتبهـا أو منزلهـا وقد جنـت من وراء ذلك ثروة طائلة ولكنها غير محسوسة وربما تكون مودعة فى بنوك محلية وخارجية.

وحكت لى تلك الزميلة قصتهـا مع الزواج العرفى والمسيار والمتعة التى كانت رئيسة الجمعية طرفاً محورياً فيها... قصتها كما روتها لى بلسانهـا بدأت يوم أستدعتـها رئيسة الجمعية - زينب - إلى مكتبها وطلبت منها تنفيـذ بعض الاعمال السريعة وعرفـتها إلى شخص من الخليج العربى كرجل أعمال له مصـالح مع الجمعية، وفى نفس اليوم تداولت معها زينب الحوار عن أوضاعها المادية والخاصة وكيف أنها لن تخسر شيئاً بل ستربح مادياً وإجتماعياً فهى ستتزوج عُرفى وهو زواج رسمـى معـترف به وحـينما حـددت لها المقـابل المادى المغرى حـتى وسوس لها الشيطان بالموافقة خصوصـاً أن هناك شقة بسيطة ستسجل بأسمها كهدية من العريس... بعدها بيومين تزوجت عُرفى من ذلك الرجل وبعد شهر تركها ولم يخبـرها بأنه لم يعُد بحاجة إليها وعندما أبلغت زينب بقرارها ردت عليها زينب بأنه قـد طلقها وترك لها شيكاً بـ ٥ آلاف دولار فـحاولت البكاء لكن زيـنب أقنعتـها بأن الأمـر لا يستـحق ذلك وخلال أسبـوع زارتها زينب وعـرضت عليها مـوضوع جديد وأخبرتها بأنها تحمل لها فرصة لا تعوض وعندما سألتها الزميلة عن جرهر الموضوع قالت لهـا زينب: هناك شخص يريد أن يتزوجك

لمدة أسبوعين أى زواج متعة مقابل ستة آلاف دولار. . .

حاولت الزميلة الرفض لكنها لم تقوى على الصـمود برفضها أمام جبروت زينب التى لم تقـبل بمبرارات الرفض ومن أهمها أن عـائلتها تخلت عنهـا، وحصل أن تزوجت لمدة ١١يومـاً. . . وأستـمرت هذه الزمـيلةعلى تلك الحالـة من زواج عرفى إلى زواج مـتعـة إلى زواج مسيار أى بمـعدل خمس زيجات عُرفى و٨متـعة و٦مسيار. . ختـمتها بالمسيار التى قادتهـا فيما بعد إلى زيارة الديار المقدسة حـيث اعتمرت ثم قررت التـوبة النصوح والحج لبـيت الله الحرام ثم باعت شـقتـها للإنتقال للعيش فى أطراف العاصـمة. . . وحدثتنى تلك الزميلة كيف أنها سـاعدت على إغواء العديد من الفـتيات فى السلوك بسلوكـها، وكيف أنها سـاعدت زينب على اللقاء بعشـيقها وممارسـة الرذيلة معه وهذا العشـيق كان خـاطباً حينهـا إحدى بنات زوجتـه الشرعـية التى علمت بأمر العلاقـة المحرمة بين خطيبها وزوجـة أبيها فطالبت والدها بإنهاء الخطبة ولكنه رفض كمـا رفض أن يصدق الشائعات التى كانت تتحدث عن علاقـة زوجته بسكرتيره الخاص وأمين سـره حتى أجبرته زينب على إنهـاء الخطبة كى لا يخـسر الإثنان «ابنته وسكـرتيره» مع تعيين سكرتيره فى وظيفة نائب مدير أحـد فروع الجمعية باحدى المدن النائيـة وكانت زينب تهـدف من ذلك الانتقام من عـشيـقهـا بعد أن وجـدته يضاجـع أحدى زبوناتهـا وعلى فـراشـها - فـراش زينب -

فخافت من الفضيحة ثم أقدمت على للمـاتها بتلك الطريقة. . . الغريب أنها ظلت محتفظة بتلك الزبونه رغم عدم تمتعها بأى من مقاييس الجمال اللهم شعرها الطويل وعيناها الطويلة والسوداء وحركاتها المثيرة وعرفت فيما بعد أن تلك الزبونة هى مديرة مكتب زينب الشخصية.

وتضيف سحر فى مذكراتها:

عندما أخترت الإستعجال بالزواج من سمير ولو عرفياً فقد شعرت أن هذا الزواج قد حمانى من جبروت زينب ورفاقها رغم محاولات زينب أكثر من مرة معى فى دعوتى لحضور سهراتها الإسبوعية وبعض الحفلات مع ربط دعوتها بالتأكيدعلى عدم حضور زوجى الذى كنت لا أخرج للسهر والحفلات إلا بصحبته، فكيف؟! لقد خسرنا عائلته «عائلة زوجها سمير» التى لم ترض عنا حتى اللحظة نتيجة زواجه منى. . . وذات يوم أستنجدت بى فتاة عاملة فى ورشة الخياطة التابعة للجمعية. . . أعتقد أن عمرها ١٩عاماً. . . هى جميلة جداً لم تسعفها ظروف عائلتها المادية بإكمال دراستها فاكتفت بالثانوية العامة وكانت غاية فى الأدب والسذاجة. . .ولأنها كانت تحتاج للمال فقد كانت تعتبر صيداً ثميناً وسهلاً لزينب التى قدمت لها العطايا المالية حتى أوقعتها ذات يوم فى شرك من سهراتها وعندما أدركت الفتاة بحقيقة نوايا رئيستها زينب حتى أستخدمت جمالها فى التدلل على

الرجل الذى قدمته زينب لها... أعتذرت منه فى الذهاب إلى الحمام لأن الدورة الشهرية عليها وهى تعده بلقاء آخر وقريب ولوحدهم... فهربت من دون عودة فغضبت زينب وتوعدتها بالإنتقام منها... وفى اليوم الثانى كالعادة حضرت الفتاة للعمل وكأن شيئاً لم يكن حتى فوجئت بموظفة من الدائرة المالية تستدعيها إلى مكتبها وتطالبها بدفع الديون التى عليها، فأخبرتها الفتاة أنها لم تقترض أو تستلف قرشاً واحداً من الجمعية أو الورشة ،لكن الموظفة أظهرت لها أوامر إدارية من رئيسة الجمعية «زينب» خاصة بمنحها نقودعلى فترات زمنية كديون عليها... فإنهارت الفتاة من هول وحجم المفاجأة... وبعد أن أفاقت من الصدمة بمساعدة الموظفة وبعض زميلاتها حتى خرجت مباشرة تصيح وتسب «تشتم» وتهدد وتتوعد رئيسة الجمعية... فى تلك اللحظة كنت فى إجتماع المدراء بمكتب زينب التى رفعت الاجتماع مباشرةً ومن دون سبب مقنع ودعت مديرة مكتبها وسمعتها تقول لها: حاولى إسكاتها وأحضارها ولو بالقوة... كانت الفتاة قد خرجت من ساحة الجمعية والورشة أى خرجت من دائرة سلطة الجمعية وظلت تشتم فتقدمت ناحية رئيسة الجمعية التى كانت واقفة أمام النافذة والتوتر مسيطراً عليها وطلبت منها أن تسمح لى بالتصرف مع تلك الفتاة ومن دون بلبلة فأنفرجت أساريرها ولكنها لم تستطع التغلب على توترها فقالت لى:



سـأكون شـاكـرة لك وهذا سـيكون ديناً لك وعلى ذمـتى حـتى مماتى.. «مـا قـالته لى لم أصـدقـه»... بقلم رصـاص أنظر خلف الصفـحة.. «منحتنى الجمـعية هذا الدين الذى سددته لى» بـعد عام ونصف من الحادثة.

أخذت أوراقى ودسـسـتـها فى حـقيبـتى ثم قمت بارتداء الـنقاب والبالطو والخروج كأنى مغادرة لعـمل... وما أن تركت باب الجمعية حتى تقـدمت نحو الفتـاة وهى غاضبـة وحاملة فردة من حـذائها ثم أسرعت ورفعت النقاب لاعرفهاعلى شـخصيتى وناديتها بسرعة: أنى معك وعاوزة أساعدك... صدقينى يا...

وبعد أن عرفتنى قـفزت إلى حضنى ودفعتهـا نحو السور حتى لا ترانا زينب من جهة وتعـتقد أنى تشاجرت معهـا وسيطرت عليها من جهة أخـرى... همست بإذنها بأن تتماسك وتظل تشـتم حتى نهاية الشارع، رن هاتفى المحمول وكـانت زينب على الطرف الأخر تسألنى عن ما حدث معى ومع الفتاة فأخبرتها إنى فى الطريق الصح وأحاول السيطرة على تصرفاتهـا عاودت زينب الاتصال بي وهي في حالة قلق وأرتباك وقد عرفت ذلك من صوتها المتحشرج وغير المفهوم ولكني لم أرد على كل مكالماتها وبعد نصف ساعة وصلت إلى شقتى مع زميلتى كـانت زينب تحاول الاتصـال بي وقد قـررت الرد عليـها وطمـأنتهـا وطلبت منهـا بعض الوقت على أن تعـاود الاتصال بي بعـد ساعـة،

ولكنها لم ترد عليّ وقد أحسست حينها مدى طول مدة الساعة بالنسبة لزينب وكيف ستكون حالتها حينها؟... وصلت إلى شقتى معى الفتاة بعد محاولة إقناعى لها بأنى لن أسلمها لأى مخلوق ولم تقتنع إلا بعد أن إتصلت بزوجى وشرحت له الأمر وطلبت منه أن يحضر بسرعة... أعددت كوبين من الليمون الطازج الذى أحبه ولا أستطيع الاستغناء عنه فى حياتى اليومية - منزل وعمل وغيره - ثم شربنا وفتحت معها الموضوع فحكت لى بالتفصيل عن ما حصل معها.. كانت تحكى والدموع تنساب على خدودها وأنا فى حالة ذهول شديد لم أفق منه إلا بسماعى رنة هاتفى المحمول.. لم أجب لأن الطالب كانت زينب: وقد تعمدت بأن لا أرد كى أحرق أعصابها وأشتت تفكيرها وأى مخطط تنوى له أو الإعداد لعمل وبالتالى اكسب بعض الوقت للتفكير فى كيفية الرد عليها ومساعدة الفتاة المسكينة بأقل قدر من الخسائر... سألتنى الفتاة عن سبب عدم ردى على الهاتف فسألتها إن كانت تقبل مساعدتى لها فأجابتنى بالايجاب فقلت لها ما يلى:

ما دمت قد وثقت بى فعليك أن تقبلى بكل ما سأقوله... أولاً وهذا هو المهم أن زينب الان على نار وفى حالة توتر خطير وأريد أن يستمر توترها حتى يفقدها القدرةعلى التفكير أو التخطيط لأى شئ... ثانياً سيكون بمقدورى وضع شروطى عليها وتهديدها بإفشاء أسرارها لوسائل الإعلام أن هي لم تقبل شرروطنا وثالثاً

سحب الأوامر الادارية الخاصة بـالاقتراض ومنحك مكافـأة عمل مـقابل تركك العمل فى الجمعية.

تجيبنى الفتاة بسرور:

ربنا ينصرك ويحـفظك ويلبى لك كل أحلامك.. و... الخ من الدعوات..!

وبعد خمسين دقيـقة من أخر اتصالاً لها بى أتصلت زينب وما أن رديت عليـها حـتى باشرتنى بتـوتر: أنت فين.. عـشرين مـرة وأنا أطلبك.. خير ياسحر حصل أية... هى فين وعملت أية معها..؟

رديت عليـها بهدوء - لم أصـدق نفسى بعـد المكالمة على هدوئى رزانتى فى الحديث مع زينب رغم شعورى بأن كل الشياطين قد ركبت رأسى وبدأت تعبث به - قائلة:

الامـور تحت السيطرة المـؤقتـةعلى البنت ولكنى لا أضـمن تلك السيطرة على أخويها فالشر فى عيونهم وأحاول اقناعهم بالهدوء وهى تهدد بـالذهاب إلى الصحـافة والأمن والتـحدث عن ما وقـع لها.. ولكى لا نصل إلى ذلك فـإنى أنقـل لك طلبـاتهـا - وهى تلك التى حددتها بالثلاثة - وقبل أن أكمل الشـرط الثالث حتى بادرتنى بقبولها دون مناقشة.. فطلبت مـنها أن تعاود الاتصال بى بعد دقـائق لمناقشة قبـولها مع الفتاة وأخـويها - (هم لم يحضـروا ولكنى أختلفت فكرة أخويها وأعـتقد أنها فكرة ناجحـة وأتت بثمارها) - فأخبـرت الفتاة

ضيفتى بموافقة زينب حتى رددت بعض الكلمات البذيئة بحق زينب... أتصلت زينب بعد دقائق وأخبرتها أننى حاولت إقناع الفتاة وأخويها بموافقتها وشرطها بكتابة تعهد من الفتاة بعدم إثارة ذلك من جديد إلا إذا تم الاخلال بالتعهد من قبلها أى زينب - فردت علىَّ زينب بفرح: أنى ممنونة لك فأنت وضعت عليها شرطاً بالنيابة عنى ولم أكن أفكر به... ولكى تطمئنى أنا مستعدة للتوقيع على أى تعهد مشترك مع وعد لك منى بأن أكرمها فى المكافآت ثم سألتنى عن مكاننا حينها ومتى سيتم حل الاشكالية؟ فأبلغتها بأننا فى أحد المطاعم وأن عليها إعداد التعهد من قبلها والالتقاء بعد صلاة العصر بنصف ساعة.

فحددت لها أحد المطاعم الهادئة التى تعودت على أرتيادها برفقة سمير وأحيانا برفقة سمير وسعيد وفيفى.... وتم تحقيق كل ذلك وللامانه كانت زينب كريمة فوق اللازم مع الفتاة فقد جلبت معها مبلغ المكافأة مع مبلغ مماثل كإكرامية منها ولم تأخذ منها أى إيصال، كما أبدت زينب إستعدادها لمساعدة الفتاة بأى وقت ومن دون مقابل... قدمت سعيد وأبن عمه كأخوة للفتاة... وقبل أن تغادر زينب المطعم قامت بدفع فاتورة المطعم دون إشعارنا كما تركت لى فى خلسةً مظروفاً كان يحتوى على مبلغ ٣٠٠دولار لم أكتشفه إلا فى البيت فقمت بالاتصال بها وعاتبتهاعلى ما عملته معى - أقصد

المظروف لانى لا أريد أن يكون تـدخلى بمقابـل مادى ولكنه مـقـابل ممارسة ضغوط عليها فى الأوقات المناسبة - فردت علىَّ:

لا واللّه ما قصدت ذلك ولو كنت زعلانه فأعيديها لى غداً. . . أنا قلت لك إن مـا فـعلتيـه مـعى سـيكون هدية من أخت لأخت. . . وأتوسل إليك - توسلـت إلىّ أكثـر من خـمس مـرات - أن تقـبلى هديتى. . . وبعد ٣٥دقيقة من الحوار قبلـت الهدية التى اعتبرتها جزء من حقى المسلوب عنوة منى ومن دون وجه حق:

بعد الحادثة بأسبوعين وأستمرار الفتاة لزيارتى بين الحين والاخر حتى حدثنى أبن عم سعيد أمام سمير وسعيد طالباً منى التدخل فى طلب يد الفتاة التى أعجبته ودخلت مـزاجه. . . سألت الفتاة وطلبت اللقاء به - حسان - فجمعناهما معـاً وتداولا الحديث معاً ومعنا ثم أنفردا فى أحد الأركان لتـداول الحديث الجـانبى والخاص. . . وبعـد ساعـة من الحوار الخاص انضموا إلينـا فأخبرتنى الفتاة - سناء - بأنها مـوافقة على طلب حسان الذى فرح بما أخبرته بموافقـة سناء وحددنا زيارة أهلها بعد أسبوع حيث تحاول سناء خـلاله إقناع أهلها بطلب حسان وكان لهـما ما أرادوا فقد تمت الخطبة وعقد القـران وحفل الزفاف خلال ثلاثة أشهر من ذلك اليوم وشعرت بسعادة لا توصف عندما نجحت فى جمع قلبين وروحين على الحلال وبشـرع اللّه وسنة رسوله المصطفى الأمـين. . . وتعاظمت سعادتى عندما عرفت أنهما سعداء. . !

أنظر خلف الصفحة «... بعد سنة من زواج سناء وحسان - «أشعر بسعادة لا توصف عندما أخبرانى - سناء وحسان - أنهما أسموا مولودتهما البكر بأسمى»

يتوقف أمين عن القراءة لاحتياجة إلى شاى أو قهوة فاتصل بالهاتف الداخلى وطلب من سلمى أن تعد له شاى أو قهوة فى ترموس أو ثلاجة صغيرة ثم سألته سلمى إن كان قد استكمل الكراسة الاولى وإلى ماذا توصل فأجابها ضاحكاً: لازلت فى الأولى... الجرأة فى سحر هى التى أبهرتنى، بعد دقائق كانت خادمة المنزل والمقربة إلى الأولاد تطرق باب أمين فينهض ليفتح لها ويشكرهاعلى ما قامت به ثم يطلب منها أن تعد له ساندوتش بعد ساعة ونصف..

يعود بعدها أمين لمواصلة القراءة فإذا به يتوقف أمام صفحة كانت سحر قد حاولت خربشت ثلثها وكتبت فى رأس الصفحة كلمتين فقط كتعبير عن ما قامت به من خربشة «مجرد طرطشة» وتحت الخربشة أيضاً كلمتين فقط «تخاريف طائشة» فقام أمين بالاستعانة بعدسة التكبير وتسليط أضواء قوية فحاول أن يقرأ ما يلى:

لاول مرة بعد سنة من زواجى بسمير أشعر أن غيابه الاجبارى عنى - (مهمة عمل) - لمدة أسبوعين وأكثر قد زادت من حرارة الشوق له... شوق عاطفى وجنسى وحسى - وكم كنت سعيدة عندما ظللت أنتظر وصوله فى ذلك اليوم وكأنى لازلت عروسة فكانت

أفكار كثيرة ترافق إنتظارى... كيف أستقبله؟ هل أقبله ولو كان برفقة سعيد؟ كيف أثيره وأرفع حرارة شوقه لى؟ هل ألبس ثوب النوم العارى والشفاف الذى أشتريته بعد سفره تمهيداً لاستقباله؟ هل يحق لى أن أخبره بأنى مشتاقة إليه وأريده أن يطفئ رغبتى الجنسية؟ هل ذلك سوف يستفزه ويوتر علاقتنا؟ وهل فعل ذلك حرام أم حلال؟ وهل يحق لى أن أكون المبادرة فى طلبه للمعاشرة الجنسية؟ وهل يحق لى أن أمارس معه كزوج كل أنواع المعاشرة الجنسية؟ وهل... وهل... وهل؟؟ وما أن فتحت الباب له لم أقوى على مقاومة شعورى وتجنب إحراج وجود فيفى التى أحضرها سعيد فى طريقه لاستقبال سمير... قفزت إلى حضنه وأحسست أن أضلاعى كادت تتكسر جراء يديه التى لفَّت على ظهرى ولكنها أكثر رقة وحنية كما أحسست أنها المرة الأولى التى نتعانق فيها عن حب حقيقى... وبعد عناق طويل وحاد أستمر لمدة دقائق حتى تنبهت لنحنحة أو همهمة فيفى وهى تقول:

اللهَّم جدد لهم حبهم وحياتهم... اللهَّم أسعدهم وخذ بيدهم..

حاولت بعدها التخلص من حضن سمير وقمت بمسح شفائفى فنظرت إلى فيفى بينما كان سعيد واقفاً أمام النافذة المطلةعلى الشارع فأعتذرت لهما ولكن فيفى بادرتنى مباشرة... تعتذرى عن ماذا؟ هذا حق من حقوقكما ولا عليكما ويبدوا أننا ضيوف ثقال عليكما لذا

أسمـحوا لنا بالانصراف والعـودة غداً. ولكنى إعـترضت على فكرة إنصرافهم وأقـسمت اليمين ثم لحقنى سـمير بالقاء قسم اليـمين بعدم إنصرافـهم إلا بعد العـشاء... وبينمـا كنا - أنا وفيفى - نـعد لمائدة العشاء كـان سمير يغـتسل ويغير ملابسـه وسعيد يشـاهد الاخبار من خلال القنوات الفضائية وخصوصاً: MBC، دبى، أبوظبى، Sky news, BBC, ..world ثم تناولنا العشاء وكان سمير أول من غادر المائـدة لأنه لا يحب الأكل الثقـيل فى الليل وإتجه إلى حـقيـبة خاصة وفتـحها وأحضر كيسـاً من الحجم الكبير مع كيسـين صغيرين فقدم الكبير لفـيفى وسعيد وواحد من الصغيرين سلمه لسـعيد كهدية لوالدته والاخر لوالدة فيفى التى تحب سمير مثل أحد أبنائها... بعد العشاء تناولنا الشاى ثم إنصرفوا وقمت بإغلاق الأنوار ويدى متشابكة مع يد سـمـيـر فى إتجاه غـرفـة نومنا... طلب الـسمـاح بدخـول الحمام... حينهـا كنت أشعر وكأنى فى ليلة دخلتى فاسرعت بتـغيير ملابـسى وارتداء ثوب النوم الجديد الشـفاف الذى إشـتريتـه مؤخـراً وقـمت بتهـذيب شـعرى ورش بعض العطورعـلى جسـمى الداخلى وشعرى والثوب وفتحت جهـاز التكييف وغادرت الغرفة بإتجاة المطبخ لإحضـار الحليب الساخن والماء البـارد مع طبق فواكه مـشكل وعدت إلى الغـرفة فوجـدت سمـير وهو يتـفحص الهـدايا التى جلبهـا لى ولوالدتى وشـاهدته أول ما دخـلت ينظر إلى فسـاتين نوم مـختلفـة

الالوان والاشكال وكـأنه يحـاول أن يخـتار إحـداها لاقـوم بارتدائه ففاجأته بقولي:

أختيار من صاحب ذوق رفيع وعاشق ولهان،

وما أن رآنى بهيئـتى الجديدة حتى أسقط ما بين يديه ولبـسته حالة إنبهار فقال بنبرة معبرة:

ماذا أرى يا ألهى... يـاأرض أحفظى ما عليك؟. وفـجأة يقـفز نحوى ويسـاعدنى على تفـريغ الحمـولة من بين يدى ووضعـها على الطاولة الجانبـية للسـرير ثم عاد وأمسك بيـدىَّ وهو ينظر إلى منظرى ويدور بى على نفـسه تارة وعلى نفـسى تارة أخرى ثم شـدنى نحوه وضمـنى بعنف ينم عن عاطفـة جيـاشة فى داخله مـعبـرة عن حب خالص تبادلنا القبلات الحـارة ودفعنا بعضنا إلى السرير وخلعنا كل ما كنا نرتديه وبقينا عراه كم ولدتنا أمـهاتنا ومارسنا الحب والجنس وكأننا نمارسه لأول مرة... كما أنها المرة الأولى التى كنت أركب فوقه... سألتـه بعد ذلك إن كـان مرتاحـاً وراضيـاً فقـال لى وعيناه تتـرقرق بالدموع:

لا أخفى عليك.. اليوم فقط أحسست أننى متزوج لانى أحسست بدفئ وصدق وحرارة مشـاعرك وأتمنى أن لا تعود الايام الخوالى... إنى أحبك وأموت فى حبك.

(يضحك أمين فى دواخله.. فهمهم بكلمات مع نفسه: اللّه معك

ياسحر ومعك ياسمير... كم هى قاسية الظروف التى مررتم بها وكافحتم من أجل استمرار حياتكم؟. لا عليك ياسحر أسرارك فى بئر عميق وآمن، وربنا يقدرنا على ذلك) - تدخل الخادمة وأسمها أم بدر على أمين وتناوله طبق الساندوتشات مع طبق سلاطات وقبل أن يتناول العشاء أتصل بممدوح وسأله عن الإخوة والأخوات الذين تمكن من دعوتهم ثم سأله عن هارون وجمال وصلاح وحمزة فأخبره ممدوح أن هاتف هارون مع فيفى أو سعيد أما جمال وحمزة فهى ليست معه ولكنه أبلغ فضل بالدعوة وطلب منه أن يدعوهم وقد قبلوا الدعوة وهم سيحضرون مع عائلاتهم... وكاد أمين ينهى المكالمة فتدارك أسم صلاح وعاد يسأل ممدوح عنه فأجابه ممدوح أنه لا يعرف له عنوان أو مكان منذ آخر يوم أنهوا فيه الجامعة ثم أنه - كما قال ممدوح - غير مرغوب به من معظم أفراد الشلة أو المجموعة...

يرد عليه أمين:

ولو ياعزيزى... بيننا عيش وملح... ومن واجبنا أن ندعوه فإن قبل أهلاً وسهلاً وأن رفض أو تحجج أيضاً أهلاً وسهلاً.. واللّه معه ومعنا.

ممدوح بصوت هادئ:

دعك من هذا وأنبهك إلى الحذر من صلاح!... وتصبح على خير... بعدها يطلب فيفى وترد عليه مسرعة: هلا بالطيب

الغـالى... أنت عمـرك طويل لاننا كنا فى سـيـرتك... طبعـاً أنا وسعيد وسمير...

يشكرها أمين ويبلغها السلام لسعيد وسمير ثم يسألها عن إن كانت تعرف رقم هارون ومن مِن الزميلات اللاتى تم إستدعائهن فأجابته:

كلهم من دون أسـتثناء دعـوتهم وقـبلوا دعوتك وأكـدوا لى على حضورهم.. وهاك رقم هارون.

يدون أمين الرقم على مذكرة مكتبـة ثم سألها عن إن كانت تعرف رقم صلاح فـسألت سميـر وسعيد وكـان سمير يحـتفظ بالرقم... بعدها يمسـى عليهم بالخير، ويقوم فى الإتصـال بهارون الذى لم يرد عليه مباشرة وقد ردت عليه أبنة هارون الكبرى وبعد حوار قصير معها سألها عن أبوها وطلب التكلم معه وعندما سألته عن إسمه رد عليها:

أنا صـاحب بـابا من زمـان... وعندمـا يريـد الله أن أراك فلن تندمى، كمـا أنى أريد التعريف بينك وبيـن أبنائى... وإذا به يسمع صوت رجل يسـأل عن الطالب وماذا يريد؟ فـعرف أمـين أنه صوت هارون... فأجابه:

هل لازالت منويا على تغيير السيارة؟

المهم يا عـزيزي أنا قررت أن نعيـد تفعـيل الشلة ولو بالنصف أو الثلث ومنتظر موافـقتك فالجمـيع مدعوون لحفل خـاص فى بيتى يوم الخميس.. أى بعد يومين فقط..

هارون:

وهل يمكن أن أتأخـر عن دعـوتك أو تنفـيـذ قـرارك؟ أنا مـعك بروحى وقلبى؟

أمين:

أذن الدعوة شاملة العائلة.. حتى الأولاد.. أنا مجهز كل شئ..

هارون:

تكرم: وربك يسهل.

أمين:

ألا تعرف هاتف صلاح؟

هارون: بلا.. أعرفه.. معك قلم وورقه؟

أمين: نعم.. يدون الرقم.. ثم يتبادلان كلمات الأماسى.

ثم يقوم أمين بالاتصال بصلاح ولم يجده ولكنه ترك له رسالةعلى الانسرماشين وترك له رقم هاتفـه... وقد أستلم الرد من صلاح فى اليوم التالى وشكره على دعوته ووعده بأنه سيحاول جاهداً الحضور.

بعدها يتـناول عشاءه ويعـود لمواصلة قراءة كـراسة سحـر ثم قرر تأجيل القراءة.

وفى صباح اليوم التالى وصلت سحر وسمير إلى الجامعة مبكرين ثم أنفردت بعـد دقائق بفيفى التى وصلت مـتأخرة عن سحـر بدقائق وأدركت فيفى أن سحر تنتظر وصول أمين لتـحاول معرفة إن كان قد



بدأ القراءة بمذكراتها أم لا . . . وما أن رأت سيارته تبحث عن موقف حتى هدأ توترها وقلقها فاستغربت فيفى من تصرفات سحر غير المتوقعة فكان لابد لفيفى أن تستفزهامن خلال توجية سؤال لها قائلة:

الا تشعرين أن تصرفاتك تثير الريبة والقلق لمن لا يعرف حقيقة وطبيعة علاقتك بأمين، ثم لماذا كل هذا التوتر؟

وجهت سحر نظراتها الشاحبة إلى فيفى فقالت لها:

لا تقلقى من توترى وستندهشين أكثر عندما ترينى بصورة جديدة حينما أقابله . . . أعرف أمين وأعرف كيف تكون الرسميات ومتى، وهو يعرفنا أكثر من أنفسنا وأكثر من غيرنا.

يلتقى أمين مع ممدوح فى موقف السيارات ويسيران معاً نحو الكلية وفى الساحة يلتقيان سعيد وسمير ثم توجهوا نحو مطعم الكلية وبينما هما يحاولان إعداد أو ترتيب الطاولة حتى لمح سعيد فيفى وسحر ودعاهما للانضمام اليهم فتوجه أمين نحوهن فسلم عليهن ورحب بهن وقال لهن:

سلمى مشتاقة اليكم كثير وهى سعيدة كونها ستراكم. . يوجه كلماته لسحر. . يا ترى سحر كويسة؟. . .

سحر بهدوء:

الحمد لله. . لقد شوقتنا لسلمى. . أنا نفسى أشوفها وهل تغيرت عن ما كانت عليه وهى طالبة؟

أمين ضاحكاً:

لم تتغير إلا نحو الحزم والجدية ولكن من دون التخلى عن صفاتها السابقة فأمومتها بدأت تطغى عليها حتى وهى تعمل وتقرر وتقود.

ويتوزع أعضاء الشلة على المقاعد حيث تواجه أمين وسحر وسمير. ولمح أمين نظرات سحر نحوه وكأنها تريد أن تسأله عن رأيه فى مذكراتها إن كان قد قرأها ومحاولة منه للاستفراد بها طلب من ممدوح وسعيد الاستعجال فى احضار الشاى وبعض المتطلبات ثم فاجئهم سمير بطلبه السماح له لخمس دقائق للالتقاء بأحد الاشخاص وما أن أصبح أمين لوحده مع سحر وفيفى فاجأها بالقول:

كم أنتِ عظيمة وشجاعة ومكافحة يا سحر.. أنا احسدك على ذلك وعلى حبك لتدوين المذكرات الشخصية.. على فكرة أنا قرأتها بإمعان وأعجبت بها كما اندهشت وصدمت من محتوياتها بنفس الوقت.. لقد وعدتك بأن تظل محتويات مذكراتك فى بئر محكمة الاغلاق...

تقاطعه سحر:

لم تسألنى لماذا أخترتك أنت بالذات؟

أجابها بسرعة:

لأنك تعرفين بأنى عاشق القراءة والاطلاع ثم وهو الأهم أنك تثقين بى أكثر من غيرى وربما أكثر من سمير وفيفى وهذا شىء أعتز



به وأقدره ويجعلنى أمام مسؤوليات كبيرة أمام تلك الثقة، ولعلنى يا أختى أتساءل إن كنت تقبلين تدخلى أو مساعدتى.

تجيبه سحر:

ألم أقل لك يا فيفى أنه الوحيد الذى يجيد قراءة أفكارى وتصرفاتى.. ولأنى أثق كثيرا بك فلا يمكننى أن ارفض تدخلك ومساعدتك لى وحالما أحتاجها فلن أتردد فى طلبها منك.

أمين وهو يوجه كلماته إلى فيفى وسحر:

بعد الحفلة.. أى يوم الجمعة سنذهب معاً - أنت وسعيد وسحر وسمير - فى رحلة بحرية أو جبلية وسيكون يوم خاص بالاستماع لك وبعدها سأحدثكم عن نفسى إن شئتم..

فيفى بابتسامة هادئة:

والله هذا كثير علينا.. فأنا وسحر قررنا دعوتك والعائلة للغداء يوم الجمعة..

أمين بعبارات ممزوجة بالرفض والقبول معا قال:

دعوكم من هذا الكلام.. وبعد الرحلة نقرر متى نلبى دعوتكم الكريمة..

سحر:

أذن يوم الاثنين وهو يوم إجازة بمناسبة يوم اغتصاب الحكم قبل ٢٦ سنة...

وتضيف سحر: وبدون مقدمات تستطرد سحر بل وتسترسل فى



حديثها عن الشؤون العامة مما فاجأ أمين وفيفي اللذان ظلا منصتين إليها بتركيز شديد، ، وتقول:

نصف قرن من قيام ما سميت بالثورة على النظام العائلى المتخلف والفاسد والمستبد التى أدت إلى قيام نظام جمهورى بمبادىء جديدة لم تتحقق منها إلا ٣٠٪ ان جاز لنا التعبير، فالصراع على السلطة ظل قائم بين الثوار وحلفائهم وأنصارهم، راح ملك وجاء ملك.. راح إمام وجاء إمام وعمليات المرواح والقدوم بعد الثورة كلها معمدة بالدم على عكس الحكم الملكى الأقل دموية وعنفاً.. فالتخلف لازال قائما وضارباً باطنابه فى كل نواحى وميادين الحياة العامة والخاصة للبلد والمواطن، ضف إلى ذلك تطور الفساد وتحوله الى نظام مرادف للنظام.. نظام له أحكامه وقواعده الخاصة.. بل إن الفساد فى العهد الثورى أتسع وتمدد وبلغت وسائله إلى كل مكان أمام مرأى الجميع من دون الشعور بالحياء أو الخجل حتى أصبح من الصعب الاقتراب إليه ولو لتلمس جزء من أطرافه أو شم آثار روائحه العفنة.. والغريب أن نظام أو تنظيم الفساد استفاد كثيراً من المتغيرات والتطورات التقنية والعلمية والاقتصادية والسياسية بينما كان فى عهد ما قبل الثورة والتنوير مختصرا فى الحاشية الخاصة بالملك أو الإمام أو الأمير، كما أن الفساد كنظام استطاع الوصول إلى الأفكار والاخلاق فأفسد منها قدر الامكان وجمد وعلق ما تبقى منها وكله بحسابه.



وتضيف: الوظيفة بالواسطة والجامعة بالواسطة أيضاً والتمتع بالحق والعدالة لا تتم أيضاً إلا بالواسطة وكان أيضا بحسابه.. وعلى الرغم من أن الفاسـدين حققوا الكثير من المكاسب الاجتماعية والسيـاسية والمادية إلا أنهم لم يقتنعـوا بما حققوه وباتوا ينظرون إلى تلـك اللقمة التى يكرم من أجلها المواطن البـسيط والغلبان وكأنها ليـست من حقه الإنسانى والطبيعى... وتمكن رجال الفساد الاشداء العظام من إفساد أخلاقـيات المجـتمع لأن ذلك يسـاعدهم على تحـقيق أطماعـهم فى السيطرة والإستمرار فى نهب خيرات البلد واسـتعباد العباد وحرمانهم من حقوقهم الطبيعية فى الحياة والعمل..

لقد كان صلاح - زمـيل أمين فى الجامعة - مـثلاً ابن أحد رموز الحكم وتمكن بواسطة والده أن يعين فى إحدى الوزارات بوظيفة مدير عام لإحدى الادارات رغم حـداثة تخرجه من الجامعة وأنعـدام خبرته وتجاوزه اللامشروع للموظفين البسـطاء الاقدم منه تأهيلاً وخبرة، كما سعى لاحـدى صديقـاته وزميلة دراسـتنا - هناء - فى تعينهـا بنفس الوزارة وبوظيـفة مدير إدارة، ويعـرف كل زملاء صـلاح وهناء أنهم كانوا ولازالوا أكثر من أصدقاء وربما كعـشاق أو أزواج... وقد ظل صلاح مشـاكساً عنيداً ومقـاوماً صلباً فى مواجهـة الطلاب المعارضين لسياسات النظام الذى والده أحد رموزه وأيضاً شقيق والده ومن خلال موقعه القيادى لاتحاد وطلاب الجامعـة الذى يسيطر على غالبية مقاعد

قيادته حكومة النظام الثورى، ورغم أن هناء لم تكن على توافق مع توجهات النظام الثورى إلا أنها كانت أكثر صلابة فى الدفاع عنه خصوصاً بعد تعرفهاعلى صلاح وتصبح أكثر تطرفاً حتى ضد إتحاد الطلبة أذا ما أختلف عناصره ويكون صلاح طرفاً أو مشاركاً فيه...

وتواصل سحر قائلة: لقد كانت تتفاخر فى علاقتها وقربها من صلاح الذى كان يركب سيارة من سيارات احدى المؤسسات الحكومية التى يسيطر عليها والده من دون وجه حق، وفى الوقت الذى لم يكن صلاح يتمتع بشخصية متميزة وجذابة أجتماعياً وعلمياً وفكرياً فقد كان يمثل أحد التيارات السياسية المتصارعةعلى النظام الثورى من واقع الانتماء للأب فقط، «ومع هذا ظل يحتفظ بعلاقة هادئة نوعاً ما عن معظم زملائه بما فيهم أمين الذى لم يكن منتمى سياسياً وفكرياً لأى حزب بما فيه الحزب الثورى أو الطليعى الحاكم وبفضل ذلك ظل ممسكاً بكل الخيوط والعلاقات التى تربط الشلة وحافظ قدر الإمكان على إحداث التقارب بين أعضاء الشلة المختلفين سياسياً أو قبلياً أو طائفياً أو حزبياً... تيار صلاح واجه تيار سيف وفضل وممدوح الأكثر تنظيماً وتوحداً ومع كل ذلك ظلت العلاقات بينهم قائمة حتى فى أشد مراحل التوتر بين التيارات المتصارعة والرئيسية فى رأس الحكم».

وكان أمين أكثر إصراراً على دعوة صلاح إلى الحفلة الخاصة بسعيد

وفيـفى التى أقامها تقـديراً منه لهم،حتى وإن كان يعـرف رأى معظم أعضاء الشلة تجاهه، ومما زاد من عناده هو ورود أسمه فى أحد فصول كراسة سـحر والتى تتحدث عن لجوئهـا مع سمير وسعيـد إليه عندما تعرضت لخديعة الشقة وطلبهم مـساعدته وكيف تهرب منهم وجعلهم يتعـذبون بين سكرتارية وأسـتعـلامات الوزارة وأوهام الصـداقة . . . وتضـيف سحـر فى حـوارها كيف أنهـا سـمعت عن فـساد صـلاح وصديقته التى فاحت رائحتها فى الوزارة وخارجها.

الفصل الثالث

في يوم الخميس وهو اليوم المحدد لحفلة فيفى وسعيد والتى أقامها أمين على شرفهم. غادر أمين الكلية مبكراً وذلك لتوفير بعض متطلبات الحفلة والاشراف على تجهيز الحديقة لوجبة العشاء واللقاء وأيضاً مساعدة سلمى فى بعض الأعمال... وفى الساعة الخامسة عصراً من يوم الخميس بدأ الضيوف بالتوافد إلى فيللا أمين وأولهم أسماء وهند وسحر وسمير وممد وح وجابر وسيف وفضل وجمال وحمزة... بعضهم حضروا مع عائلاتهم والبعض الآخر اختاروا الحضور بمفردهم إما لانهم غير مرتبطين أو لوجود عائلاتهم فى الريف... ثم توالى الحضور من صلاح وهارون إلى أصحاب الشأن «فيفى وسعيد» الذى كان من المقرر حضورهم فى الساعة السادسة والنصف مساء... وقبل ذلك الوقت بدقائق قليلة كانت سلمى زوجة أمين تتحرك بصورة طبيعية نحو ضيوفها وما أن رأتها سحر حتى تحركت برفقة هند نحوها قبل وصولها إلى حيث يجلس الضيوف... أقبلت سلمى نحو هند ورفيقتها المنقبة وهى فاتحة ذراعيها تتبادل القبلات والسلام مع هند وما أن رفعت المنقبة عن وجهها حتى قفزت سلمى نحوها، قالت سلمى لسحر:

لم أكن أتوقع مجيئك ياصديقتى!! ماذا حل بك وكيف وصلت إلى هذا الحال؟!

وفجأة تقوم هند بالتوسط بين سلمى وسحر ودفعهما نحو

الضيوف الذين كانوا مستعدين للسلام عليها والتعرف على عائلات بعضهم البعض حتى بادرتها أسماء قائلة:

مع كل يوم تزدادين جمالاً وشباباً وحيويةً... ما أجملك وربنا يحفظك ويصحك ويطول بعمرك ويسعدك..

كانت سلمى تبدوا أكثر أتزاناً فى حديثها وحركاتها... وأستقامةً فى لسانها ومنطقها... وذو وجه جميل وبرئ وعينان جميلتان رغم عدم أستخدامها للمكياج إلا فى حدود بسيطة بحيث لا يطغى على جمالها الطبيعى... وكان شعرها الاسود الناعم يتدلى خلف ظهرها إلى أطراف مؤخرتها كما كانت تتمتع بقوام ما بين المتوسط والرفيع رغم إنجابها لطفلين وحامل بالثالث كما تفكر فى الإنجاب لثلاثة أخرون... ويعرفها زملاؤها بالفتاة الهادئة والحنونة والذكية وتتمتع بسرعة البديهيه وعدم أهتمامها بالمظاهر ومتابعة صرعات هوجة الموضة فى أرتداء الملابس شبة الفاضحة أو الناضحة... ويعرف زملاؤها قصة حبها مع أمين وكيف تحملت تجاهل أمين وعدم اهتمامه بها وحبها له قبل الزواج حتى واجهته سحر وفيفى ودفعته للتقرب أليها وما أن ألتقوا وتقاربوا حتى أقروا تأجيل الافصاح عن حقيقة مشاعرهم وعلاقتهم لما بعد الامتحانات للسنة الثالثة وبعدها كانت الخطبة وعقد القران والزفاف.

تنشغل سلمى بالتعرف على عائلات زملائها وبالذات عائلة هارون

بعدها تصـل فيفى وسـعيد بـسيارة أمـين ذات الدفع الرباعى وتكون سلمى وسحر فى استقبالهما بحرارة وسرور.. يعقب سعيدعلى رؤية سلمى قائلاً:

كم أنت رائعة يا أختاه وكم نحن سعداء برؤيتك؟!

تجيبه سلمى بهدوء:

إنى سعيدة أكثر منكم يا سـعيد.. ملعون أبوها الأيام والحياة التى فرقت بيننا.. أهلاً وسهـلاً بكم فى داركم والله يكون معكم ويحقق لكم أحلامكم ويزيد من الألفة والمحبة فيما بينكم.

ثم يقوم أمـين بالترحيب بفـيفى وسعيـد ويقدمهـما لبقيـة زملائه الحاضرين ويقودهم إلى المقعدين المخصصين لهما وهو يتحدث عن أن الحفلة بمناسبة عقد زراجهمـا وكيف أن الفضل فى تجمعهم من جديد بعد فراق ثلاث سنوات يعود اليهما ثم يدعوا الضيوف للتقدم نحوهما والسلام عليهما ومباركتهما... بعد السلام يتجه المضيف نحو سلمى التى كانت تتبادل الحديث مع سحر وهند وزوجة هارون وينادى عليها ثم يغيبان عن الحضور لدقـائق.. ويجد أمين ان ممدوح قد اشتبك فى الحديث مع صلاح عن السياسة والحكم والفساد وكيف انحرفت الثورة عن مسارها.. ممدوح مهـاجماً وصلاح مدافعا رغم انتمـائهما لحزب واحد وهو الحزب الاشتـراكى اليمنى فتدخل لفض الاشتباك مـترجيا منهما تجنب الحديث فى السياسة وعدم أخذ أمور الاختلاف فى الرؤى

مآخذ الجد والتعصب ثم أخذ بيد صلاح وسحبه إلى طاولة تضم هارون وحمزة وجمال وفضل وجلسوا معا وبعد حوار قصير اقترح حمزة بأن يقوم ويقدم نفسه للحاضرين بمعنى أن يتحدث عن مشوار حياته منذ التخرج حتى اللحظة ورغم اعتراض امين فقد لقى المقترح القبول من هارون وصلاح وجمال، وينهض حمزة ويتقدم نحو الوسط وطلب من الحاضرين الانصات اليه ويبدأ كلامه قائلاً:

بداية اسمحوا لى ونيابة عنكم تقديم خالص شكرنا وتقديرنا وحبنا للزميلين والاخوين والصديقين العزيزين والوفيين/أمين وسلمى على هذه الدعوة الكريمة بمناسبة زواج الاخوين العزيزين/فيفى وسعيد.. وهى دعوة استطاعت أن تلمنا بعد فراق ثلاث سنوات.. وفى هذه الليلة الجميلة دعونى أقدم لكم مقترحى الخاص بأن نعطى لكل عضو من الشلة فرصة من الوقت للحديث عن مشوار حياته منذ التخرج حتى اللحظة.. وأنا بنفسى سأكون أول المتحدثين أو كبش فداء أو المضحى الأول.

لم يرد أى من الحاضرين إلا بالابتسام وتبادل الهمسات والنظرات المعبرة ثم يعلق حمزة على ذلك، اذن الجميع موافقون.. وعلى بركة الله.. وقبل البدء بحديثى أود أن أشكر زوجتى وأم الأولادعلى تحملها لى وتحليها بالصبر والحكمة كما أود أن اعتذر لها عن اخفائى عنها لبعض المعلومات لاسباب ذاتية تتعلق بكبرياء الرجل الشرقى



وحبه فى التفوق الدائم علـى المرأة وهى على كل حال من أحـدى سمات مجتمعنا الشرقى.

تقاطعه سـلمى قبل أن يبدأ الحديث عن نفـسه وهى متجـهة نحوه وقد أمسكت يده وظلت ممسكة لهـا حتى تركته يتحدث بعـد حديثها تقول سلمى:

قبل أن أتعرف على حمزة كنت أحاول تجنبه هو وجابر وناصر نتيجة فكرة عشـشت فى رأسى وهي أن أبناء الريف لا يجـيدون التـعامل مع المرأةوهم مـتخلفـون وهمجـيون.. وبعـد حوار مع هارون الذى كـان صديقا مقـربا لهم بدأت التعرف عليهم والتقـرب إلى أفكارهم فوجدت أن ابن الريف أكثر تقديرا واحتراما للمرأةكـما اكتشفت أن تعاملهم معها أفضل مـن ابن المدينة.. المهم تعرفت إلى حـمزة ثم إلى حـبيبـى أمين الذى أتعـبنى فى بداية المشوار والحـمـد لله أنه عوضنى عن ذلك بعـد الزواج، بعـدها عدلت عن الكثـير مـن الافكار التى كنت أحملهـا.. واكتشفت فى حـمزة الصدق والوفاء فى المعاملةوالحب العـميق لزوجته التى لم أعرفها إلا اليوم، ذو القلب الحنون والكبير واشترطت على أمين أن يكون حمزة شـاهداً على زواجنا وفعلا كان شـاهداً ومنذ ذلك اليوم غاب عنا حـتى لقاء اليوم.. وحـتى لا أطيل، أقول إن حمـزة تعرض لمواقف ظريفة لم تكن بحـساباته قط ولكنه تعامل مـعها ببراءة مـتناهية معبرة عن قمة فى سمو الاخلاق الانسانية التى يتمتع بها.

بابتسـامة هادئة ومـعبرة يودع حـمزة سلمى، بينمـا ظلت نظراته نحوها وهو يتحدث:

على فكرة الأخت العزيزة سلمـى بالغت فى وصفى وأشكرها من أعماق قلبى على صدق مشاعرها الطيـبة والرفيعة وأحب أن أقول لها بأن صداقتـها كنز غالى ولا يقدر بثمن.. كـانت أذكانا والأقرب إلى الجميع مع سحر وفيفى.. وهى بالمناسبة قـصتها بسيطة ببساطتها ولا تحتاج إلى أن تتحدث لنا عنها ولكنـنا لن نعفيها من الحديث ويواصل حمزة حديثه عن مشواره لمدة ١٧ دقيقـة ثم لحقته أسماء وهند وجمال وهارون ثم أمـين وسلمى ورفض صـلاح وجابر وهـناء التحـدث ثم سحر وسمير وتم أعفاء فيفى وسعيد إلى لقاء آخر.

بعد استكمـال الحاضرين لاحاديثهم تقـدمت سلمى لدعوتهم إلى مائدة العشاء على أنغام الموسيـقى الهادئة لأغنية سيدة الغناء العربى أم كلثـوم «الأطلال» وعلى الطاولة كـان ممدوح يطالع أحدى الصـحف الأهلية والاسبوعية ووجد فيهـا مقالاً لأحد الكتاب المعروفين يتحدث عن أنواع الزواج وظاهرة انتشارها بين أوساط الشباب العربى وبالذات فى الجامعات، ثم طلب من زملائه الاسـتماع إلى بعض العبارات من المقالة: سـحر لم تكن مـبالية بما كـان ممدوح يقرأه.. ومـا أن أكمل ممدوح القراءة حتى عقبت هناء بالحديث التالى:

الموضوع ليس بالجديد فهو مـوضوع قديم ومحل خلاف بين طوائف



المسلمين، وفى كل مرة يثار، يعنى أن هناك من يريد إثارة ذلك الموضوع لاهداف سياسية خاصـة.. وأنا شخصياً لا أرى أن انواع الزواج تشكل أى خطرعلى مـجتـمع الاسلام مـا دام الامر يفـضى إلى حل مشـاكل العنوسة والترمل وغلاء المهور وتجنب الانحلال الاخلاقى.

تصمت هناء لبرهة وهى لحظة تناول كوب من عـصير الليمون من دون أن تنتبه لنظرات صلاح المعبرة عن غضبه وعدم رضاه عن حديثها خوفا منه على استرسالها فى الحديث كعادة تميزت بها هناء خاصة اذا ما أثيـرت من خلال تدخل الآخرين فى الحديث مـعها أو محـاولتهم لاستفزازها ودفعها لكشف الكثير من الاسرار.. ولأنها كانت مشغولة فى الحديث همس صـلاح فى أذن أمين يرجوه أن يعمل على ايقـافها وقد حاول أمين تغيـير موضوع الحوار لكنها قاطعتـه بحدة وطالبته أن يحتـرم أصول الحوار ثم تنبهت لنظرات صـلاح وعرفت مضامـينها، فواصلت حديثها بالقول: أنا جربـت زواج المتعة عن قناعة وبعد فترة تحول ذلك الزواج إلى عرفى ولازلت مـتزوجة بالطريقة العـرفية وإنى سعـيدة بذلك الوضع ولا أخجل بـاعترافى بحـقيقـة وضعى، وهذه الطريقة أبعدتنى عن الخبائث والموبقات والمحرمات.

تقاطعها مريم بلهجة مستهجنة:

مـا تقـولينه يا هناء هراء فى هراء.. أى تضـليل للحـقيـقـة.. فزيجات المتعـة والعرفى والمسيار وغيرها حـرام فى حرام.. أنت فقط

تحاولين اقناع نفسك ولو كنت مقتنعة بأى من تلك الزيجات لما كنت تحولت من زيجة المتعة إلى زيجة العرفى.

تعقب هناء بصوت أجش وهادىء:

ولماذا نحاول مغالطة الحقائق والواقع.. صحيح أن هناك جدل بين طوائف المسلمين وعلمائهم حول زواج المتعة وغيرها رغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو من سمح بها ثم منعها ثم سمح بها مرة أخرى حتى منعها الخليفة عمر بن الخطاب يعنى أن المتعة كانت موجودة فى عهد ما بعد الرسول أى عهد الخليفة ابو بكر الصديق.. وأما مسألة تحولى من المتعة إلى العرفى ليس فيه خجل أو مانع.. ثم تقاطعها هند بحدة:

ما بلاش يا صديقتى نحاول تبرير أخطائنا.. ما دام الامر قد منع ولم يحلل من بعد الخلفاء عمر وعثمان وعلى فلماذا نتمسك بتقاليد وموروثات سيئة ومسيئة للمرأة المسلمة بدرجة أساسية.. وأعتقد أن الوقت غير مناسب فى فتح هذا الموضوع ومناقشته والأهم أن الموضوع ليس من اختصاصاتنا.

ويتدخل ممدوح:

يبدو لى أن الأخت هناء جادة فى تبريراتها اللا متوازنة واللا عقلانية وعلى اعتبار أننا ننتمى إلى مذهب السنة فالأمر لا يحتاج إلى تبرير وخصوصا فى زواج المتعة والمسيار وغيره، وأرى أن هناك

فئـة من المتفـقهـين يحاولون إلهـاء الشبـاب فى مثل تلـك الأمور لاغراض عدة وأهمهـا تحييدهم عن مجريـات الأحداث أو إضعاف هممهم وحماسهم و . .

لكن هناء لم تستسلم أمام هجوم زملائها، فقاطعت ممدوح قائلة:

لست وحدى المعنية بالأمر ولا أعتقد وأجزم باعتقادى أنه ربما بيننا من عاش مثل تلك التجارب إمـا سراً أو علناً . . ومن عاش ذلك فإنه نفذها باقتناع . . العالم يا أصدقائى تغير والبقاء للأقوى ونحن كشباب أول ضحايا هذا التغير، فأوضاع بلادنا سـيئة والاتجاه العام غير محدد الملامح وسيـأتى يوم نندم على الأيام الخوالى كمـا يترحم آباؤنا على الماضى وأيام الاستعمار.

وتواصل هناء حديثها:

هناك مئات الفتيات والفتـيان اتجهوا لتلك الزيجات بعد أن ضاقت بهم السبل ويئـسوا من مواجهـة واقعهم الذى تشـابكت الاحداث فى غير صالحهم . . وأعرف كثير منهم ويعيشون حياتهم طبيعى وباستمتاع كما أنه لا يوجد قانون يحرم أو يجرم ذلك وهناك شخصيات سياسية واجتماعية كبيرة إما متزوجة عرفى أو متعة . . فلماذا لا نحاول دراسة الأمر من كل الزوايا والاتجاهات ومـن دون تحسس أو تشدد أو مكابرة أو تخوين أو خوف، كـما يوجد متطفلون فى علم الفقـه يوجد أيضا متطفلون فى علم السـياسة وغيرها من العلوم، فـهذا يبرر ويحلل فى

مجـال، وذاك يحرم ويمنع ويـقطع ولهذا أصبـحنا نحن العـرب أمة مشتتة وتائهة.

وتضيف قـائلة: نحن هنا فى جنوب الجـزيرة العربيـة وتحديدا فى الجنوب اليمنى وبعد أن تحررنا من الاستعـمار واستقلينا وتوجهنا لبناء بلادنا تحت شعـارات تقدميـة وثورية وأهمهـا تحرير المرأة ومسـاواتها بالرجل، قـولوا لى بصـراحـة.. مـتى كـانت المرأة وزيرة أو مـديرة مؤسسة، على ما أذكر معنا امرأة بدرجة نائب وزير وهى الوحيدة التى تتباهى بها رغم أنها فى الحقـيقة مغلوبة على أمرها لا تهش ولا تنش كما يقـول إخوانا المصريون أو لا تجذم ولا تسـيل دم، أثنان وعشرون عـاما يا أصـدقائى وبـلادنا تتجـه نحو الأسـوأ، ولنا أن نفكر كـيف سيكون حالنا بعد مؤشرات انهيار الكتلة الاشتراكية؟.

وإذا افـتـرضت أننى أتفق مـعكم حـول مـوقف أهل السنة فـهل يمكنكم قول الصدق فى ما آلت إليه أوضاعنا من انهيار؟

وتضيف هناء:

جميـعنا يعلم إننا نحن جيل الاستـقلال قد أستفـدنا من منجزات الاستـقلال ولكننا غيـر راضين رضـاءً كاملاً عن ذلك ومع هذا فـقد أصبح جيلنا يخاف من الآتى المجهول وسوف نكون أول من يتضرر، وللنقـاش فى هذا الموضـوع لا يعنى أنى احاول تقـيـيم تلك المرحلة ولكنى أحاول فقط إبراز بعض سياسات تلك المرحلة التى ستؤثر على



مستقبلنا ومستقبل الجيل القادم.. فمثلاً الضعف الاقتصادى والمادى لبلدنا مع سياسة التشغيل اللا واقعية واحتكار السياسة الاقتصادية لصالح القطاع الحكومى ساعد على إضعاف حركة الابداع الفردى والجماعى مما قاد الكثير من الشباب للاعتماد على الحكومة وبالتالى ظهور تصرفات غريبة على مجتمعنا مثل زواج المتعة والعرفى وغيرها.

يحاول سيف مقاطعتها، ولكنها تترجاه أن يسمح لها بإكمال حديثها فواصلت قائلة:

لقد نسيت أن أشكر الأخ الودود وصاحب القلب الكبير/ أمين على دعوته هذه، كما أود القول وهو قول موجه للحقيقة لا غير.. الأخ أمين ربما يكون الوحيد بين مجموعتنا الصامد فى وجه تحديات الحياة.. كيف؟ بعد عام من التخرج وبينما كان الأخ أمين يتابع بعض الاجراءات المالية والقانونية فى أحد المؤسسات وكانت هناك فتاة مسؤولة عن معاملاته ووجدت فى تصرفات أمين ما لم تجده فى غيره وانتم تعرفون حلاوة لسانه ودماثة أخلاقه فهو يتعامل مع الأمور بتلقائية وعندما اكتشف أن الفتاة المغلوبة على أمرها بدأت ترسم عليه حتى فاجأته بمشاعرها نحوه - فى هذه اللحظة كان أمين صامتاً بينما عيناه باتجاه هناء، أما سلمى فكانت مبتسمة وهى توزع نظراتها بين ضيوفها كأنها تقول لها إنى أعرف كل شىء وأثق بشريك عمرى وأبو أولادى - وما كان من صاحبنا إلا تهدئتها وأخبرها بانه متزوج ويحب



زوجته ولا يستطيع تخيل نفسه من دونها كما أنه يحترم مشاعرها وهو في نفس الوقت مستعد لأن تكون له صديقة، وكانت المفاجأة الثانية حينما أخبرته بإنها تتفهم لوضعه وستقبل بأن تكون له زوجة ثانية ولو بالسر إلى «عرفي» وتقبل صاحبنا المفاجأة برحابة صدر وعقل مفتوح فتركها أن تفكر جيداً بما قاله لها وبما قالته وهو واثق من أنها ستراجع نفسها.. الولية كانت عنيدة ورفضت انجاز معاملته وظلت تناور وتماطل لاسبوعين حتى قادتها الأمور بعد صمود وصبر صاحبنا إلى القبول بالامر الواقع والتخلي عن عنادها بأن فرقعت على أوراق المعاملة والاعتراف لصاحبنا بفشلها في الضغط عليه وقبلت أن تكون صديقة عادية.

ولو أن الذي وقع لأمين وقع لغيره فانه لن يستطيع مقاومة إغراء تلك الفتاة وجمالها وشبابها وخفة دمها وأيضا وضعها المادي والوظيفي.

توقف لبرهه ترتشف خلالها قليل من العصير ثم واصلت:

أنا عرفت الحكاية من قريبة لي موظفة مع تلك الفتاة وهي تعرف أمين من خلال الصور الفوتغرافية التي احتفظ بها وبعد شهر من تلك الواقعة وقع أحد الزملاء من الدفعة السابقة لدفعتنا - في جمالها وجاذبيتها ولم يستطع المقاومة فأخبرها بأنه معجب بها ويودها ويتمنى رضاها، هي لم تقاومه بل زادت من دلالها عليه حتى استطاعت أن تطوي جناحاتها عليه بكل يسر فطلبت من عاشقها أن يتزوجها رسمياً

، قبل العـاشق طلبها من دون نقـاش أو تفكير وهو متـزوج وله خمس أولاد عمـر أكبـرهم ١٨ سنة.. وقبل المخـبول أن تكـون العصمـة فى يدها. واتفقوا على اتمام ذلك خلال شهـر.. يعود العاشق المخبول إلى أسرته ويفـتح الامر مع والديه واشقـائه الذين عارضوه بشـدة وتوعدوه بالويل لو أنه ركب رأسـه وتزوج على زوجـتـه التى عـرفت والتـزمت الصمت حـفاظا على حيـاة أولادها وبيتها وقـد كانت قمـة فى التوازن والعقـلانية وبعد أيام يعـود العاشق لزيارة حبـيبته الجـديدة وفوجىء أن عشيـقته تتهرب منه تحت مـبرر انشغالها بالوظيـفة وطلبت منه أن يعود لزيارتها بعد أيام قليلة حـتى تكمل ما عليها من مهـام.. صدق العاشق وهو بالمناسبة صديق لأخينا صلاح - كان صلاح حينها صامتا وكأن مساً غريبا قد سيطر عليه فهـو خائف من تشعب هناء فى حديثها وتصل إلى علاقته بها وهى علاقة زواج عرفى وبعد أيام قليلة عاد العاشق إلى لقاء عشيقـته التى قابلته ببرود ومبـاشرة القت بقنبلتها التدميـرية حينما قالت لعاشقهـا المخبول انها قد عدلت عن رأيهـا فى الارتباط به لأنها وجدت انه لا يناسبهـا كما أن هناك شخص آخر ذو مكانة مرمـوقة فى المجتمع طلبها للزواج وقد وافقت على طلبه. لم يصدق العاشق وأصيب بصدمة نفسية لم يعالج منها إلا بعد سنة، بينما الفتاة تزوجت عرفيا من شخص آخر ذات مسئولية سياسية كبيرة.

تقاطعها سحر بهدوء معبر عن الشماتة من هناء وحديثها فقالت لها:

كم كنت أتمنى لو أن الاخت هناء غيرت موضوع حديثها الاستعراضى الذى يكدر جو المناسبة.. والمناسبة لا تحتاج لاستعراض الافكار والمديح والشماتة.. تتدخل سلمى مقاطعة سحر- بينما كان أمين شاردا فى التفكير بمذكرات سحر فى محاولة لاسترجاع بعض وقائعها لعله يستنبط منها شيئا ومقارنته بالحديث الذى يدور بين زملائه ليتمكن فى النهاية من الوصول إلى خاتمة مقنعة للنقاش من دون أى خسائر تذكر- فتقول سلمى:

يبدو لى أنكم مخططين لفركشة حفلة الليلة وهذا يدعونى لاترجاكم فى تأخير الحوار بأية موضوع إلى لقاء آخر فى الاسبوع القادم بنفس المكان والزمان.

ينهض صلاح ويقف على قدميه ثم يتكلم بهدوء:

أتفق مع الأخت سلمى ولتأجيل استمرار الحوار إلى لقاء آخر فأنا أوجه لكم الدعوة إلى اللقاء فى بيتى.. أى أنتم ضيوفى ولا أقبل أى أعزار ولكن أمين يقاطعه بهدوء:

سلمى قالت قبلك ان اللقاء القادم بنفس المكان أى هنا ودعوتك سنلبيها مع الأيام ولابد من احترام مشاعر المرأة.

يرد صلاح: ومن أجل دعوة سلمى أوافق.

واستطاعت سلمى بابتسامتها الرقيقة التى وزعتها بين ضيوفها ان ترسم الطمأنينة والفرح بينهم.. فسلمى ابنة وكيل وزارة - متقاعد -



وتربوى قديم كما أن والدتها كانت مديرة ثانوية سابقة، وهى أكبر أخواتها وأخوانها الخمسة ثلاث بنات وولدين أصغرهم يبلغ ١٩ سنة وهى رحومة بعلاقتها بأهلها وأصحابها وأقاربها وتتمتع بقابلية الحضور والقبول من أول لقاء بها وتعتبر أقرب انسان إلى قلب عمها والد زوجها وأولاده، وكانت سحر وفيفى أفضل صديقاتها فى فريق الدراسة الجامعية والثانوية ورغم افتراقهم بعد الجامعة فقد كانت سلمى تجهل ما حدث لصديقاتها اللواتى لم يحاولن فتح الحديث معها، ولكنها طلبت منهن تأجيل أى حديث إلى يوم آخر، ومناسبة أخرى وحينما يكن معاً ولوحدهن. وتميزت علاقة سلمى بزوجها أمين بالشفافية والاخلاص والثقة لقواسم مشتركة اعتبروها أساس حياتهما وحياة أولادهما.

هناك فترات فاصلة في حياة المجتمعات فإما أن تكون محفزة للأمام أو محبطة للآمال... تلك الفترات الفاصلة دائما ما تكون أكثر تأثيرا في حياة الشباب كونهم الأكثر تميزا في الحيوية والفاعلية بالنسبة لأي مجتمع، وتتمثل تلك الفترات بعمليا ت التحول التي شهدها المجتمع اليمني منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م في شمال اليمن وثورة ٤ أكتوبر ١٩٦٣م والاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ بالجنوب اليمني وما تلاها من أحداث سياسية دموية ومتقلبة مما أثر على عدم تحقيق الاستقرار للمجتمع وبين مكوناته وطريقة توجهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. فتاريخ اليمن يتحدث



عن أن أهله اعتنقوا الديانة اليهودية ثم المسيحية وأخيرا الإسلامية كما أنهم انتهجوا الأفكار اليمينية والوسطية واليسارية والقومية وهذه دلالة على طيبة أهل اليمن وسرعة تقبلهم لأي متغيرات والتوافق معها. . .

هذه الفترات الفاصلة فعلت فعلها على الشباب اليمنى بصورة سلبية مما أثرت على إضعاف دورهم فى عملية التواكب مع المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية رغم كونها الطاقة الوحيدة الكامنة التى بيدها التأثير على المجريات العامة للبلد، فالأحداث التي شهدتها اليمن من بعد تسعينيات القرن العشرين كانت مربكة ومدمرة لطاقة الشباب وبلغ تأثير تلك الأحداث إلى الحد وقوع انقسام فكرى ونفسى عند الشباب. . . انقسام بين الواقع والطموح فكان لابد أن تسود السلبية حياة وتوجهات الشباب.

فيفى وسحر من أسر طيبة ومحافظة ومتواضعة الحال، فيفى بزواجها السرى كانت أمام امتحان صعب فى مواجهة عائلتها التى قبلت الامر على مضض وتنازلت لرغبة أبنتها ومبرراتها واستطاع سعيد أن يكتسب حب واحترام عائلة زوجته وقدم لعائلتها وعدا بعدم الدخول عليها الا بعد استقرار أوضاعه المادية، أما سحر فقد كانت بعيدة عن عائلة زوجها سمير رغم أن عائلتها أرتضت به وأحبته اعتبرته واحدا من أفرادها.

في اليــوم التــالى للاحتـفــال تحرك أمــين بســيــارته وسلمى مع أولادهما بسـيارتهم الخـاصة فى اتجاه منزل سـميـر وسحر وفـيفى وسعيد ثم سـيف وتوجهوا خارج المدينة فى رحلة جمـاعية بعد أن تبعهم هارون وعائلتـه وبعد ساعتين من وصولهم واخـتيارهم أحد المواقع توجه أمين مع سـيف إلى مدينة قريبة للمـوقع وتعاقدوا مع أحد المطاعم لتوفير طعام الغـداء لهم ثم عادوا إلى أسرهم فانفصل الذكور عن الاناث اللواتى توجهن للحديث ومراقبة الاطفال.

وحينما حانت لسحر فرصة الانفـراد بسلمى فتحت معها الحوار عن حياتها مما أثر حديث سحـر على سلمى وكادت تدفع بدموعها للخروج من مآقيها كتعبـير عن حزنها مما سمعت فتماسكت سلمى مع نفسها وقامت باحتضـان سحر التى خلعت نقابها فى ذلك اليوم ورددت على مسامعها بالكلمات الحانية التالية:

لا تقلقى وباذن الله الواحـد الأحـد تنزاح هذه الغمـة أو الكربة ويعوضك ربى عن كل ما حدث ويجعل كل أيامك سعيدة.

ولكى لا يتشـعب ويطول حوارهما اتجهت سلمى مع سـحر إلى رفيقاتهن واخذت سلمى مقعدهـا بجانب فيفى وفاطمة زوجة سيف وبدأت تهمس فى اذن فيفى من أنها تحتاج لأن تنفرد بها لدقائق وقد فهمت فيفى القصد من وراء همسات سلمى وتمكنت بعد دقائق من الانفراد بها ولم تدعها لتسألها حيث باشرتها بالحديث عن نفسها ثم

رمت بنفسها فى حضن سلمى باكية وقالت:

هذه إرادة الله وقسمتى ونصيبى والحمد لله على كل شىء.

تربت سلمى عليها ثم تقول لها:

لا عليك كل شىء انشاء الله سيكون على ما يرام.

وامسكت بيدها وهى تنادى أحد أبنائهـا ليبحث عن أبوه ورفاقه ويبلغه عن وصـول الطعام الذى وصل برفقـة عاملين من المطعم ثم وضعـوا الطعام وقدمـوا الفاتورة لسلمى التى قـامت بدفعـها وسط اعتراض زوجة هارون «سمية» وغادة وسحر.. وبينما كانت سلمى تتصل بأمـين حتى شـاهدت سيارة غـريبة متـجهة نوحـهم وما أن اقتربت السيارة حتى صاحت بأعلى صوتها:

لا.. لا.. هذه مفاجأة سعيدة والأسعد أن أختى وحبيبتى أفكار حضرت لـزيارتى!! ثم قدمت الضيفـة الجديدة لصديقاتهـا وكانت صديقـة الطفولة لسلمى التى حـضرت مع زوجـها وأولادها وعلى مائدة واحدة اشترك الجميع فى تناول ما عليها بفرح وسرور، بعدها تناولوا الشاى والقهوة مع القفشات والنكات المضحكة.

مع الغروب تودع أفكار وعـائلتها صديقـتها سلمى ورفيـقاتها. تعود المجـموعة إلى ديارها بعد أن اتفـقت سلمى مع سحر وفـيفى على زيارتهم لها فى اليـوم التالى.. وبعد وصولهم للبيت وتغـيير ملابسهم طلبت سلمى من أمين أن تنفرد به فى المكتب لموضوع هام

ومستعجل وفى المكتب تحدثت سلمى عن رغبتها فى مساعدة سحر وفيفى بتوظيفهما معها فى الشركة وأنها تطلب رأيه وتدخله بجانبها أمام والده ويبتسم لها أمين قائلاً:

كنت أعرف انك أصيلة ووفية.. ثم يا حبيبتى أنت لا تحتاجى لوساطتى ومن دون الأخذ بمشورة أبى فانت تستطعين اتخاذ القرارات بكل حرية هذا من جهة ومن جهة أخرى أود أن أبلغك بأنى قد اتخذت بعض القرارات والاجراءات مثل: تعيين فيفى وسعيد معى بالشركة وكنت ناوى أفاتحك بموضوع سحر وسمير وتعيينهم معك.. كما أننى عينت سيف معى بالشركة وتعهد هارون بتعيين بعض الزملاء مثل هند وحمزة وفضل فى شركته.

كانت الدهشة والفرحة بادية على وجه سلمى فردت:

تعرف أنا محظوظة لأن ربى جعلنى من نصيبك.. أنت عظيم وكل يوم تثبت لى إنك انسان فريد ونبيل.. وكل يوم حبى لك يزداد من دون حدود.

يرد أمين:

أنتِ كل حياتى وعمرى كله وأنا اسعد رجل لأنى استطعت السيطرة على روحك وقلبك وعقلك.

سلمى وهى تغادر المكتب تقول له:

لا تتأخر عن ترك المكتب فالسرير يسأل عنك.



يضحك أمين كتعبير عن فـهمه للرسالة ثم يعود لتناول مذكرات سحر وقـبل أن يفتح المذكرة الثانية قـام بالاطلاع السريع على خاتمة المذكرة الأولى التى أحتوت على أربع صفحات تضمنت الآتى:

كنت أحـاول - المقصـود هنا سحـر - أناقش موضـوع زواجى العرفى مع سمـير وهل يمكنه أشهاره وتسجـيله ولكنى ترددت أكثر من مرة لشـعورى أن فترة الوئـام الطبيعيـة التى تمر بها علاقـتنا قد تتعكر وتتعرض للاهتزاز وربما أن سمير كان يفكر مثلى ويعتقد بأنى قد أتغير.. مـرحلة ذلك بعد عودة سمير من مهـمة العمل وكانت أكثر ارتيـاحا واستقراراً من التـقارب الروحى والفكرى والجنسى لنا كزوجين حقيقيين.

ياه يا زمن الذى فرقت بين الاحباب والاصـدقاء.. كم أشتقت اليك يا أمـين وإليك يـا سلمى.. يا ترى مـا هى أخـبـاركم؟ هل تغيـرتم، هل غيـرتكم أوضاعكم الجـديدة؟ تذكرت سلمـى وأمين عندما كنت أطالع أحدى الصحف الاسبوعية وفيها خبر عن مشروع تنوى الشركة المملوكة لوالد أمين بتنفيذها وهو خاص بمجال صناعة الأسفنج والملابس.

بعد تسعة أشهر من زواجنا تزورنا إحدى شقيقات سمير وزوجها بصورة سرية وشعرت حينها أننى لازلت متفائلة بتغيير موقف عائلة زوجى.. والله المعين.

زينب رئيسة الجمعية التى أعمل فيها تزورنى من دون موعد سابق وأدركت أنها تريد مراضاتى والتقرب منى وكسبى إلى صفها رحبت بها وتناولت معها العشاء وظللنا أكثر من ثلاث ساعات متكاملة نتحدث عن الجمعية ورؤيتنا لتطوير أنشطتها وخلالها تحدثت معى عن أنها عند وعودها لى واستعدادها الصادق فى مساعدتى كما أنها لن تمسنى بسوء لا من قريب ولا من بعيد وأشارت فى حديثها معى إلى تفاصيل حكايتها ولم أكن أتوقع أن أسمع منها حكايتها بالتفصيل وبدت دهشتى بقولها بأنها بدأت تشعر بأنها عند مستوى ثقتها بى وحاجتها إلى صديقة تتكلم معها بكل حرية.. قالت لى زينب الآتى:

إنى خريجة أول دفعة من كلية العلوم الاقتصادية والادارية تخصص ادارة.. أثناء الجامعة تعرفت بشاب كان زميلى فى الكلية وكان متدين ومحافظ ويكره السياسة ومع أنه كان ينتمى لجماعة الاخوان المسلمين إلا أنه لم يكن أحد يعرف عنه ذلك حيث أنه محظور التحزب لغير الحزب الحاكم كما أن الجماعة محظورة بالاساس فى غالبية البلاد العربية ثم طلب أن يتقدم لخطبتى والزواج منى بعد التخرج شريطة أن أتحجب وقبلت طلبه بعد تردد طويل خصوصاً وأنه لا يوجد شىء معيب به.. أقنعت أهلى برغبتى فى الارتباط بالفتى - عبدالرحمن - وتمت الخطوبة قبل التخرج باشهر

وبعد شـهر من ذلك تم عقد القـران وبصراحة كانت تربطنا عـلاقة حب حقيقية وذات يوم وبينما كنا نراجع دروسنا فى بيتنا كالعادة.. توقفنا لدقائـق تبادلنا فيها النكات ثم أحـسست بيده الحانيـة حينما وضعها على كـتفى وفجأة عطفت رأسى فوقها فـشدنى نحو صدره وتبـادلنا القبـلات حتـى نسينا أنفـسنا ووقـعنا فى المحظور لأننا لم نستطـع التحكم بشهـواتنا وما أن انتـهينا وشـاهدنا دم بكارتى على الفـراش حتى أعـتـرتنا الدهشة والخـوف مما حـدث ومع أنى كنت أحاول ايجـاد تفسير لما حـدث فقد كـان عبدالرحمن أكـثر عصبـية وحدة فـقال لى أنه سـيعـمل على الاسراع فى يوم زفـافنا وهو لن يتخلـى عنى مهمـا يكن.. وبعد حـوارات قصيـرة قال لى عـبارة ليطمئنى نفسياً:

... «من عقد رقد».. وهى تعنى أن من عقد قرانه يحق له أن ينام مع زوجته ما دام العقد شرعى ورسمى وبحضور الشهود.

أقنعت أمى بسرعـة الزفاف بعـد الاعتراف لهـا بما حدث لى مع زوجى ورغم معاتبـتها لى إلا أنها هونت علىَّ الأمور كـونها كانت تحب عبدالرحمن كأبن لها حـتى أبى كان يحبه بل وكل أخواتى.. بعد شهر تم الزفاف ولكنى كنت غير مبالية كأى عروسة تفرح بيوم عرسهـا وليلة دخلتها.. ولم أكن أمنى نفسى بليـلة دخلة لأنها قد فاتت علىَّ بينمـا كان عبـدالرحمن يحاول جـاهداً بادخال البهـجة

والفرح إلى نفسى.. قضينا أسبوع فى أحد الفنادق المشهورة ثم عدنا إلى بيت أهله ومكثنا اسبوع واحد واسبوع آخر فى بيت أهلى وآخر أيام شهر العسل قضيناها فى منزل زوج أخت عبدالرحمن اللذان تركا المنزل من أجلنا.. تعودنا على بعضنا بعض.. وقبل الامتحانات عشت فى بيت أهلى وهو فى بيت أهله ولم نكن نلتقى إلا يومين بالاسبوع وما أن اكملنا الامتحانات وتمكن والد عبدالرحمن من توسيع داره ببناء غرفتين فى أعلى البناية - السطوح - مع حمام متكامل وخصصها لنا وهناك عشنا معا.. حصل عبدالرحمن على وظيفة جيدة فى مؤسسة خيرية كمدير مكتب رئيس المؤسسة وعبر رئيس المؤسسة وجد لى وظيفة جيدة وبعدها تحسنت أوضاعنا فاشترينا شقة جيدة وخلال ستة أشهر من تعيينى اختارونى مديرة للجمعية التى نحن بها الآن لكن المصيبة أن زوجى لم يستمر لأن عبدالرحمن طلقنى بعد سنة وعشرة أشهر من الزواج دون سابق انذار وعرفت منه أنه مجبر على ذلك من قبل رؤسائه حيث أنهم أرسلوه للعمل والدراسة فى السعودية ثم غادرها فى نهاية السبعينيات إلى باكستان فغابت أخباره عنى حتى أهله تمنعوا عن أخبارى أو لنقل أنهم لم يكونوا يعرفوا عنه شىء وحتى اليوم لا نعرف عنه شىء.. أخبار تقول أنه قتل فى أفغانستان وأخبار أخرى تقول أنه تزوج أفغانية ويعمل هناك مع مؤسسات دولية وهو يرفض

العودة.. وبعـد شهرين من طلاقي وسفـر عبدالرحمن حـضر إلى مسكني في المسـاء أحد الشيوخ البـارزين في البلد والمسؤولين على الجمعـية وبعد حديث جـانبي طلب من شقيقـتي التي كانت تسكن معي بأن تتـركنا لوحدنا لدقائق لكي نـتحدث عن موضـوع خاص بالعمل، ثم فـاجأني بطلبه الزواج مني ولكنه أقـترح عليَّ أن يكون الزواج سـري لمدة معـينة حـتى يتمكن من اقنـاع عائلتـه فرفـضت بسـخرية لكـنه لم يأبه لرفـضي فهـددني بطردي من الدار وتشـويه سمعـتي وذمتي المالية والادارية وغـيرها.. وطلبت منه ان يمنحني بعض الوقت للتفكير والتدبير فاقترح عليَّ مدة خمسة أيام ولم يكن أمامي من خـيار سوى القـبول وقبل دخـوله عليَّ اشتـرط عليه أن يشترى لي بيت مستقل وسيارة فوعدني أولا بالبيت ووقع لي شيك بالدولار قـابل للصـرف بأي وقت بمـا يعـادل ١٠٠٠٠ دولار.. استـمر أمر الزواج لسنة، صـحيح أني أنجبت منـه طفلان لكني لم أشعر بـالسعادة والحيـاة الزوجية معـه وبنفس الوقت لم أكن أكرهه لأنه كان يلبي لي طلباتي الماديـة وخلال تلك السنوات تعرفت على سكرتيره الخاص فأحـببنا بعض وقررنا الزواج السري ولم أكن أفكر حينهـا بالعواقب والحـلال والحرام.. فطلقني سكرتيـره ثم تعرفت على أحد الشيوخ من الجيل الوسط ومن أتباعه وبعد ستة أشهر من التعارف تزوجنا بالعرفي أيضا واسـتمرينا معا مدة ثلاث سنوات ثم

افترقنا وعدت اليه من جـديد أى الشيخ الكبير وحتى اللحظة لازلنا مرتبطين.. المهم حـياة تعيسـة وقبيحة وقـد فرحت من داخل قلبى لأنك قاومتى الضغوط والاغراءات من أولها.. فالذى يستسلم لمثل هؤلاء لا يلوم إلا نفسه والله يعينه».

كان أمـين يلملم الأوراق بعـد أن أكمل المذكـرة الأولى لسحـر وبينما هو يستـعد لمغادرة مكتبه قام بالتـعليق على المذكرة بالكلمات التالية:

«- تجربة مؤلمة وقـاسية تداخلت فيها الأوضـاع العامة للبلد مع الأوضاع الخاصة وبات من الصـعب التنبؤ بالقادم.. الله يكون فى عونك يا سحر وعون الجميع.. آمين».

يطفىء أنوار المكتب ويتـجه إلـى غرفـة الاولاد ليطمئن عليـهم فـوجد سلمى تحـكى لهم حكايات لتـساعـدهم على النوم وكـانت حينهـا فى كامل جـمالها - شكـلاً ومضمـوناً - وابتسامـة معـبرة ونظرات ساحـرة نحو زوجها وكـأنها تقول له: إنى فى شـوق حار إليك وبداخلى قنبلة تنتظرك لتفجرها.

يعتبر سيف وناصر وهارون من الأصـدقاء المقربين لأمين، سيف ينتمى إلى أسرة بـسيطة تعتمد فى حـياتها على الفلاحـة وهو أكبر أخواته وقد تزوج فى سن مبكر ويعمل فى مـؤسسة حكومية ولكنه يحاول العمل بعـد الدوام الحكومى لمساعدة نفسه وتغطيـة متطلبات



عائلته الكبيرة ويتصف بالطيبة والاتزان والكرم ولهذا لم يكن هناك من يكرهه، أما ناصر فكان أصغر أخـواته ومن أسرة متوسطة الحال تعتمد فى حياتها على الفلاحة وهجرة بعض أفرادها وتزوج متأخراً مقارنة بزمـلائه ويتصف بالعصبيـة السريعة والطيبـة والكرم وهو لا يهتم بمن يـكرهه أو يحبه مـا دام هو متـسمك باصدقـائه ويثق بهم وبعلاقـتهم معه، أمـا هارون فينتمى إلى أسـرة عريقة فى التـجارة وكان يدرس ويعمل فى آن واحد ويتصف بالعقلانية والطيبة والكرم والزهد عن مباهج الحياة ويتـمتع باسلوب سلس فى الحديث يقرب ويحبب الجميع اليه، متزوج وله عدد من الاولاد، وهو على عكس سيف وناصر فمـعظم زملائه باستثناءأمين ومريـم وشيماء الذين لم ينتمـوا لأى حزب سياسى سـواء كان حاكـماً أو معارضـاً لقناعات شخصية تلقى احتراماً من أصحابه المتحزبين.

سعى هارون بعـد تخرجه إلـى استقطاب ناصـر معه فى شـركة العـائلة ووافق ناصـر ثم قام هارون بتـوظيف بعض زمـلائه الذين طرقوا بابه وطلبوا مـساعدته، وبعد عـودة الروح إلى علاقة شلة أو مجموعة الجامعة تدارس هارون مع ناصر فى موضوع توظيف بعض زملائهم مثل سيف وهند وحمزة وترك الأمر لناصر للتدبير والبحث عن مواقع جديدة أو مستحدثة لزملائهم على أن لا يؤثر فى النهاية على وضع الشركة المادى والتجارى وترك الأمر للبحث لمدة أسبوع.

أما صلاح واكراما لصديقه أمين فقد تعهد بالتدخل قدر الامكان لتحسين مواقع بعض زملائه وتمكن عبر اسمه واسم أبيه من تحقيق ذلك وقد استفاد من ذلك كل من فضل وجمال ومنال وأسماء حيث تم ترقيتهم إلى درجة مدير عام واستلم قرارات الترقية والتعيين بيده ثم سلمها لأمين فى حفل خاص بالمجموعة بمنزل الأخير.

بعد ليلة حمراء تفجرت فيها قنابل سلمى على يد أمين.. كان الصباح صافيا بعد رشه خفيفة من المطر.. تناول أمين فطوره الخفيف مع سلمى وأولادهما وبقى فى حديقة الفيلا البسيطة يطالع بعض عناوين الصحف لمدة نصف ساعة ثم تحرك صوب مكتبه وطلب من ساعى مكتبه العم ياسين بأن يوافيه بالقهوة وابلاغ المدير المالى للشركة بالحضور اليه حيث ناقشه بالوضع المالى للشركة وأخبره الموظف بأن الأمور ممتازة وقد سبق أن ناقش معه أمر الميزانية قبل شهر وكل شىء يسير فى تصاعد ايجابى ثم سأله هل تحتمل الشركة فى ذات الوقت لتوظيفات جديدة؟ وفى أى اتجاه فأبلغه الموظف أن ذلك ممكن وبكل يسر وفى اتجاهات العلاقات العامة والتنظيم الادارى الداخلى للشركة وزيادة عدد مندوبى المبيعات بخمسة أشخاص ثم يشكره أمين ويطلب منه الجلوس مع المدير الادارى وإعداد تصور مشترك عن الوظائف المطلوب تغطيتها



ورواتبها وحوافزها خلال يومين فقط .

يدخل عليه العم ياسين ويبلغه أن مديرة مكتبه وسكرتيرته تود ابلاغه أنها ستترك العمل خلال اسبوعين نتيجة زواجها وطلب زوجها منها التفرغ له، وهى لذلك تشعر بالخجل من مواجهته. يضحك ثم يرفع سماعة الهاتف الداخلى ويطلب مديرة مكتبه للحضور وما أن حضرت حتى أشار للعم ياسين بأن يعد له كوب نسكافيه مع عصير الليمون فى محاولة لصرفه من مكتبه ويفهم العم ياسين المعنى ثم يغادر المكتب وإذا بأمين يطلب من مديرة مكتبه بالجلوس فهو يريد أن يملى عليها بعض التوجيهات.. وكعادتها تجلس أمام مديرها وفتحت ملفها وجهزت يراعها قلمها، وانتظرت بما سينطق به لسان مديرها الذى كان دائماً حنوناً وحازماً معها وهى تحتفظ له بمواقف انسانية تدعو للاحترام والتقدير كما ربطتها علاقة صداقة ممتازة مع عائلة مديرها وخصوصا زوجته.

أمين يسأل مديرة مكتبه وحافظة أسراره العملية :

لماذا زوجك يريدك ترك العمل؟ هل قصرنا معك؟

فوجئت بالسؤال وتلعثمت فى الجواب وبعد لحظة هدوء ردت :

بالعكس فأنا أشعر وكأنى فى بيتى وأنت عمرك ما قصرت معى ولا مع غيرى، حتى المدام الله يحفظها لك ويسعدكم لم تقصر معى.. وأنا فى غاية الحزن لأنى سأترك العمل معكم، ولا أدرى

كيف يـفكر زوجى وكيف وافـقته عـلى طلبه رغم أن الحـوار حول ذلك لازال مستمراً.

أمـين: ومـتى قـررتما إقـامـة حـفل الـزواج.. وهل نحن من المدعوين؟

ترد بسـرعة: أنت والمدام أول اسـمـين سجلتـهـما بيـدى على بطاقات الدعوة وستصلكما خلال الـيومين القادمين، أما الموعد ربما يكون بعد اسبوعين بالكثير.

أمين: أنا لن أعـترض على طلبك وقرارك رغم أنك سـتشكلين أزمة بالنسبة لادارة مكتبى ولهذا سأبحث عن فتاة أخرى خلال هذه الأيام لتبقى مـعك لأيام لتعلميها أصـول ونظام العمل فى المكتب. وفى الوقت الذى تودين الـعودة للـعمل فـابواب الشـركـة سـتظل مفتوحة لك.

تجيب: لا أدرى مـاذا أقول غـير الله يكرمكم ويرزقكـم بالحلال من أوسع أبوابه.

بعدها يناولهـا أمين ورقة خـاصة من أوراق مكتبه تحـتوى على توجيه إلى الشـؤون المالية بصرف راتب مع الحوافـز لمدة ثلاثة أشهر لمديرة مكتبـه كمكافأة من الشركـة لها على أن يتم تسوية خدمـاتها بالطرق القانونية المتـبعة.. تترك مكتبه بعـد أن يطلب منها الاتصال برقمين نـاولهما لها وطلب تحويـلهما إليه باسرع مـا يمكن وكانت

فيـفى هى أول من تم الاتصال بهـا وقد فـاجأها صـوت أمين وهو يصبح عليها ويسألها عن حالها وعن سعيد.

ترد فيفى: تصـدق أنه أجمل صباح لأنى سمـعت أعذب صوت نابع من أرق قلب.

أمين: هذا عشق أم إطراء؟!.

فيفى: كلاهما معا وهى الحقيقة لأعز صديق وأخ و..

أمين يقاطعها: ماذا معك اليوم؟

فيفى: لا شىء غير أنى سأذهب لزيارة سحر..

أمين: أذن أعدى نفسك وتعالى إلى الشركة الآن.

فيفى: خير.. ما الأمر؟

أمين: خير.. وقبل قدومك أخبـرى سعيد عن توجهك للشركة ليحاول الحضور لو أمكن.

تعد فيفى نفسها للخروج فارتدت ملابسها وخرجت باتجاه مكتب أمين وقبلها أبلغـت سعيد عن طلب أمين فاعتـذر سعيد وطلب أن تعتـذر له عند أمين ولا تقلق وهى بـصحبـته وعليـها أن تثق به.. وعبـر الهاتف يـبلغ أمين مـديرة مكتبـه بأنه فى انتظار صديقـة له وعليها حسن اسـتقبالها، وبعدها يتـحدث مع سيف ويطلب زيارته لمكتـبه وهل تحدث مـعه هارون أو ناصـر؛ فاجـابه بأنه لم يتلق أى اتصال سوى منه ومن ممدوح وأسماء ووعده بزيارته بعد نهاية الدوام

شريطة أن يتناولا الغداء معا وعلى حسابه فقبل أمين شرط صديقه، ثم يقوم بالاتصال بسلمى وأبلغها عن آخر الاخبار، فحزنت لرحيل صديقتها مديرة مكتب زوجها وبنفس الوقت استحسنت مقترح باختيار أمين لفيفى كبديلة لمديرة المكتب وسيف كمدير للعلاقات العامة.

تصل فيفى بعد ٤٥ دقيقة من محادثتها مع أمين وما أن تبلغ السكرتارية عن اسمها حتى تقودها المديرة إلى صاحب العمل الذى ينهض من مقعده ليستقبلها بحرارة ويعرفها بمديرة مكتبه ثم يأمرها باحضار شاى وعصير لضيفته وفجأة ترفع فيفى الحجاب وقالت:

معذرة أمين.. لأن نفسى أشعر بالحرية معك ومع الحياة..

يبتسم لها أمين كتعبير عن عدم انزعاجه ثم تسأله عن سبب دعوته المستعجلة لها

فيرد عليها بهدوء واتزان:

قررت أن أعينك مديرة لمكتبى وأنت الوحيدة التى يمكنني الوثوق بها خاصة وأن مديرة مكتبى طلبت ترك العمل لأنها ستتزوج وزوجها يرفض أن تعمل بعد الزواج.. وقلت لنفسى ما فيش أحسن من زميلتى وصديقتى فيفى.

ترد عليه فيفى: وهل تعتقد أنى مناسبة لكى أكون مديرة مكتبك؟

يجيبها أمين بثقة: نعم ومتأكد مليون فى المائة أنك عند مستوى المسؤولية وكل ما عليك الجلوس مع مديرة المكتب والاستماع لها للاستفادة ومن ثم العمل والتطوير، وأنت كما أعرفك كتومة بكل شيء إلا بعلاقتى معك.

فيفى والدموع تتحرك فى عينيها محاولة الانطلاق تقول:

هذا كثير علىَّ.. أرجوك بحق العيش والملح أعفنى من هذا؟

يتجهم وجه أمين ويعلق بصرامة:

هذا قرار لا رجعة عنه ولو كنت مقدرة للعيش والملح فأنا أحق بمن يطالب بتحقيقه فى هذا الظرف.. اسمعى بعد تناولك العصير أو اسمعى.. تناوليه بمكتبك وأبدأى العمل من اللحظة.

يتصل بمديرة مكتبه السابقة ويدعوها وما أن فتحت الباب حتى قال لها أمين:

فيفى ستغطى مكانك وعليك إطلاعها على أصول العمل ونظامه ومع كل يوم، بداية من اليوم، عاوز منك تقرير يومى فى نهاية الدوام عن مستوى استيعابها وأدائها ورأيك فيها.. ولا تنسى أنها خريجة جامعية بدرجة جيد وصديقة عزيزة لى وللمدام ولا تحاولى مجاملتها لأنى سأعيد امتحانها بنفسى بعد تجربة الاسبوع.. يالله تفضلوا ومع بركة الله وتوفيقه.. تتحرك فيفى مع مديرة المكتب ثم يحدثها أمين بكلمات رقيقة:

أرجوا أن تقدرى موقفى وتسامحينى على حدة حديثى معك فأنا أثق بك وأملى فيك كبير..

ترد عليه فيفى بالقول:

أنا التى أطلب السماح منك وربنا يوفقنى فى رد جمائلك علينا..

أمين وهو يضحك:

خصم خمسة أيام بسبب كلمة رد جمائل.

وقبل نهاية الدوام أى فى الساعة الرابعة والنصف حضر سعيد إلى مقر عمل فيفى ودخل على أمين وأبلغه أنه قد توفق اليوم بالحصول على عمل فى فرع لشركة أجنبية تعمل فى المقاولات فحاول أمين اقناعه بالعمل معه ولكنه شكره، وبعدها غادروا المكتب مع فيفى ثم مروا على سيف وأخذوه معهم لتناول الغداء تلبية لضيافة سيف وبعدها أوصلوا فيفى إلى منزل عائلتها وقبل أن تصل بها السيارة تحدث أمين إليها قائلا:

بعد أن تستوعبى العمل فى المكتب ستكونى أمام تحدى آخر وهو أنك سكرتيرة مجلس الادارة وهذا بحد ذاته مسؤولية أكبر ودقيقة وهذا يعنى أننا سنلتقى الثلاثة «أنا وأنتِ وفيفى» لاطلاعك على مهام سكرتير المجلس وصلاحياته. وكونك من الحبايب الاعزاء فان ذلك يعنى أننا سنرفع من وتيرة العمل داخل الشركة ومجلس إدارتها.. ولا تنسى أن تكون أولى مهماتك غدا هو انجاز معاملة

قرار تعيينك كما لاتنسي أن تعرفى أن من صلاحيتك كمديرة للمكتب إعادة تنظيم إدارة المكتب من كل النواحى بما فيها العاملين. وأرجوك للمرة الأخيرة أنسى كلمة «الجميل والعرفان».

يذهب سيف مع ضيفيه إلى أحد المطاعم المشهورة «مطعم الشيبانى» بمدينة كريتر وأنزوى مع صاحبيه على إحدى الطاولات المخصصة للزبائن وأملوا أوامرهم إلى صاحب المطعم الذى حضر خصيصاً للترحيب بزبائنه الخصوصيين وقبل تناول الغداء أفتتح سعيد الحوار قائلاً:

أنا أقترح عليك يا أمين بالأخ سيف كمدير للعلاقات العامة والاشراف على قسم المبيعات..

يقاطعه سيف بابتسامة هادئة:

والله العظيم والذى رفع السماء أنى كنت حاسس بأن أمين سيطلبنى للعمل معه بالرغم من ادراككم بأنى مرتاح فى عملى الحكومى الحالى، ولهذا فسعيد أحق منى بذلك.

يرد سعيد:

أنا أقنعت الأخ أمين بموقفى واقتنع وأنا رشحتك له الآن ولكنى لا أدرى ما العمل؟

بعد ضحكة هادئة تحدث أمين قائلاً:

سعادتى لا توصف باحاديثكم التى أسمعها ولا تعبر إلا عن

عمق العلاقة وصدقها وإخلاصـها. . وللأمانة أنا كنت مرشح سعيد ولكنى أقتنعت بموقفه وترشيح سيف فسلمى هى أول من رشحته ثم كان ترشيح سعيد كتأكيد للترشيح السابق حتى وجدت نفسى مؤيدا ومع كل هذا وذاك فأنا لا أستطيع أن أجبـر أحد على تحقيق أو فعل شيء خارج إرادته. . لذا دعونا نفكر بالطعام أولاً.

بينما كان أثنان من عـمال المطعم يقدمان الطعام فقـد كان سيف شاردا فى تفكيره وقبل أن يبدأوا بالاكل بعد البسملة تحدث سيف:

أنت وحدك يا أمين يحق لك أن توجـهنا وتأمرنا. . وأما ترشيح الأخت العزيزة سلمى لى فهذا شـرف أعتز به ونزولاً عند رغباتكم فأنى أقبل الترشيح لكن لى بعض المطالب البسيطة.

يقاطعه أمين بسرور والذى كان باديا على وجهه:

وأنا موافق على كل شـروطك من دون نقاش وأرجـوك لا تقلها لى الآن، ولكن سـيف يرفض التـأجـيل لقول شـروطه أو طلبـاته فواصل بطرحها وهى:

١- أن يبدأ العمل بعد شهر حتى يتمكن من تقديم طلب لعمله الحالى بطلب إجازة مفتوحة لمدة عام أو عامين.

٢- ان يظل الخـبر محـصورا فـيمـا بيننا نحن الأربعة «أنـا وأمين وسلمى وسعيد» ولكن أمين تدخل قـائلاً: وفيفى بحكم كونها مديرة مكتبى وهى تعرف باختيارنا لك. . يوافق سيف على إضافة فيفى.

٣- لو توفقنا وانشـاء الله بالتوفيق أتمنى أن تكون علاقـتنا دافعة لتطوير العمل ولو أختلفنا فى العمل فـلا دخل لعلاقتنا حتى لو لم نعمل معاً . . يعلق أمين بابتسامة معبرة عن الرضى والفرح قائلاً:

موافق.

كـان أمين يعـتبـر الرقم الثـانى فى تسلسل قـائمة الحـاج سليم الكواكبى الذى ينتمى لعائلة فلاحيـة غنية استطاعت أن تتجه للعمل التجارى والصناعى والتـوكيلات التجارية وقد اسـتطاع الحفاظ على أعماله وتوسيعها بعض الشـىءرغم الاجراءات الاقتصادية الحكومية القائمة على احـتكار القطاع العام للسياسات الاقتـصادية والتجارية والمالية وغيرها . . وكل هذا بفعل توازن علاقته الشخصية مع جميع القـيادات السـيـاسيـة والحكومـية ودور أسـرته فى دعم الثـوار فى كفـاحهم ضد التـواجد البريطانى فى جنوب الـيمن فى هذا الوقت كان هارون يبـحث عن أمين الذى كان هاتفـه السيار مغلقـا وعاود الاتصـال بسلمى وطلب منهـا إبلاغه بـضرورة الاتصـال به فى أى وقت يناسبه.

ذهبت فيفى لزيارة سـمير وسحر مـن دون اتصال مسبق وفاجـأتهم فيفى بخبر تعـيينها فى الوظيفة الجـديدة وكذا سيف وقالت إنه عين فى وظيـفة مدير العلاقات العـامة والاشراف على قسم المبـيعات ولازال أمين وسعـيد يحاولان اقناعه بقبول الوظيفة وأضافت أنها تتوقع قـبول سيف للوظيفة. فباركوا لها على

الوظيفة الجـديدة وتمنوا لها التوفيق ثم سألتـها سحر سؤالاً كاد يزلزل سـعادتها وفرحتهـا عن مستقبل علاقتهـا بالجماعة السياسية فـردت عليها بصوت أجش ووجه شاحب غابت عنه الفرحة فجأة بعد سؤال سحر.. قالت فيفى:

وهذا هو الذى لم نضع له حـساب.. ولكنى أعـتقـد أنه يجب علينا الصمود والمواجهة ورفض المساومة والتردد.

سمير يعلق:

ولابد لذلك أن يتم بكل هدوء وعقلانية.

تتدخل سـحر بعد أن نهضت من مـقعدها وظلت تجوب الغـرفة ذهاباً وإياباً فقالت:

أنا السبب الذى جـررتكم له ولكنى بعد مـقابلة أمين أصـبحت متفائلة بالتخلص من تلك الجـماعة وبالاضافة إلى ذلك معى زينب التى أصبحت صديقتى وقد وعـدتنى بمساعدتها لى فى أى أمر وأنا بالطبع سأكلمها عن مشاكلنا مع بعض.

تقاطعها فيفى:

أعتـقد أنه من المناسـب البدء بموضوعـك حتى لا تكون المهـمة صعبة التنفيذ بالنسبة لها.

يعقب سمير:

ولكن ما هو دور أمين فى منحك التفاؤل؟

ترد سحر بهدوء وعيناها صوب فيفى:

أتمنى لو أنك تتفهم لما سأقوله لك. . قبل أيام طلبت أنا وفيفى إلى لقاء خاص مع أمين وتناول اللقاء موضوعنا وقـد أعلن استعداده لمساعدتنا قدر المستطاع وأنا آسفة لأنى لم أبلغك عن ذلك لخوفى من رد فعلك.

بحدة يرد سمير وبأقتضاب:

وهل كنت تعتقـدين أنى لا أثق بأمين أو أنى سأعتـرض لو أبلغتينى قبل أو بعد؟ آه يا سحر كم مرة أحاول فيها مسايرتك ولكنك لم تقدرى ذلك؟ فاسمـعى يا زوجتى العزيزة. . أنت الآن زوجتى ورفيقـة عمرى وشريكة حياتى فارجوا أن لا تتكرر مثل هذه التصرفات مستقبلاً.

ترد سحر بخجل:

أنا آسفة وأعدك بعدم تكرار ذلك.

ثم تتدخل فيفى لإضفاء الهدوء على اللقاء فقالت:

بصراحة أنا طلبت اللقاء بهدف تهدئة العلاقة فيما بين أمين وسحر بعد حادثة المواجهة فى الجامعة.

يقاطعها سمير قائلاً:

عليكم أن تفهموا بأنى لا أمانع من التواصل مع أمين وبقية الزملاء فـأنا أحب أمين وأثق به كـإنسـان وزميل. . أنا غـاضب من اخفـاء الحقيقة فقط. . على كل حال. . لننسى الأمر وكأن شيئا لم يكن.

فى اليوم الثـانى يلتقى سيف بهارون على الطريق المـؤدى إلى مقر الجامـعة وبعـد تبادل السـلام والتحـايا تحدث هارون عـن رغبتـه فى



انضمام سيف إلى طاقم العمل بشركته فأجابه سيف بابتسامة هادئة ومعتذرا عن عدم تلبية طلبه الكريم بسبب أنه قد وعد أمين بالعمل معه على الرغم من رفضه التخلى عن وظيفته الحالية مع الحكومة.. فاستغرب هارون من رد سيف ثم عقب بهدوء:

أنا لست حزيناً ولكنى مستغربا من أن أمين هو من اقترح علىَّ اسمك وأسماء بعض الزملاء، مبروك لك على أمين ومبروك لأمين على سيف.. نحن بينا عيش وملح وعشرة عمر أعتز بها كثيراً.

فى الساعة العاشرة صباحا من ذلك اليوم الاكتوبرى تلتقى الشلة أو المجموعة قبل بدء الحصة وقد تغيبت فيفى بعد قرارها التفرغ لعملها الجديد كما تغيب بعض أعضاء المجموعة وتحدث صلاح وهارون وأمين لدقائق على انفراد عن آخر القرارات التى تم التوصل اليها ثم عادوا لزملائهم واقترح هارون أن يلتقوا عنده فى نهاية الأسبوع الحالى - الخميس - بداره لمضغ وريقات القات معا، واتفقوا جميعا على الاقتراح. ومع نهاية الدوام الدراسى لذلك اليوم توجه أمين برفقة سعيد وسمير وسحر إلى شركته وجلس نصف ساعة مع فيفى ومديرة مكتبه السابقة واستمع منهما إلى آخر الاخبار عن العمل ثم وقع على بعض القرارات والأوراق الهامة.

الفصل الرابع

يعـود أمين فى المسـاء للاختـلاء فى مكتبـه بمنزله بعد أن أعـد له الشاى ثم أقـفل باب المكتب عليه وبدأ بفتح المذكرة رقـم «٢» الخاصة بسحر وقرأها كالتالى:

سعـيد يحدثنا عن أحد الزمـلاء المعروف عنهم بالذكاء والطيـبة والكرم أسمـه وحيد وهو من عائلة ريفـية متوسطة الحال مـادياً، بعد تخرجنا من الجامعة كان طبيعياً أن نتفرق لنترزق، هو عمل مدرساً فى معـهد تدريب الـشباب وبعـد فتـرة عام ذهب إلى مـوسكو فى دورة تدريبية قصـيرة وهناك تعرف على فتاة من المجموعة الشـبابية الذاهبة للدورة وكانت طريقة التـعارف بينهما هى أن الفتـاة - رقية - طلبت منه تفاحة - فاكهة - وهو يستعـد لالتهامها فناولها عن طيب خاطر، كلمة هنا وكلمة هناك حتى تقـاربا أكثر ومن تلك اللحظة صارا زملاء سرير حـتى لحظة عودتهما فـقلت بينهما العـلاقات العاطفيـة بسبب تضارب مواقع عملـهما وسكنهما بالاضافة إلى أن وحـيد كان يرتبط بعلاقـة زمالة وصداقـة مع زميلتين له وهـما بنفس الوقت صديقـتان حميمـتان وكل واحدة كانت تحب وحيد دون أن تبلغ صـديقتها وهو أيضا كان يحاول ألا يجعلهن يعرفن حقيقة علاقة كل واحدة منهن به وبنفس الوقت كان مرتبط بفـتاة فى قريته - خطيبته - وبينهـما علاقة طيبة وثقة وحب قوى من طرف الخطيبة بدرجـة أساسية.. المجموعة كانت تعرف عن وحيد اضطرابه العاطفى فهو غـير مستقر بعلاقاته مع

الجنس اللطيف وبالكاد استقرت علاقته بزميلتيه.. المهم أن زميلنا وحيد وجد نفسه ذات يوم وبينما كان فى شقته المتواضعة يطالع بعض المجلات وقد هجم عليه رجال من المباحث العامة فاقتادوه إلى مركز للشرطة وأخبروه بتهمة اعتقاله وهى قتل صديقته رقية التى وجدت جثتها على شاطىء المعاشيق البحرى وأساس اتهامه هو أن والديها هما اللذان إتهما وحيد حينما حققت معهما المباحث.. تقول أم رقية: إن ابنتها بعد عودتها من عملها طلبت من أمها أن تصحيها قبل الساعة الخامسة عصرا لأنها على موعد مع صديقها وحيد لوضع حداً ونهاية لعلاقتهما التى أثمرت عن حمل بنتها منه، ولأنها كانت فى خصام دائم هى وزوجها «عم رقية» مع رقية حول علاقتها بوحيد وضرورة وضع نهاية لها. وهى - أم رقية - لم تكن تتوقع أن تكون تلك النهاية لأبنتها..

وبعد أيام قاسية من السجن قدم وحيد إلى المحكمة رغم عدم كفاية الادلة والقرائن وأيضا عدم اعترافه عن مكان وجوده ومع من كان ساعة ارتكاب جريمة قتل رقية مما عقد الأمور على رجال الأمن وجعلهم يعتقدون انه الفاعل وخلال جلسات المحاكمة تدافعت زميلتاه اللتان يحباه إلى المحكمة للشهادة وفى جلسة الاستماع لشهادتيهما سألهما قاضى المحكمة عن طبيعة علاقتهما بالمتهم وماذا يعرفان عنه وأين كانتا ساعة ارتكاب جريمة قتل رقية والمتهم الوحيد فيها..

وكانت المفاجأة المذهلة للقاضى والحضـور وللشاهدتين حينما اعترفت كل واحدة منهـما عن علاقتـها بالمتهم وإدعاء كل واحـدة من أنه كان معهـا لحظة ارتكاب الجريمة.. المفاجأة أن اعـترافهما كان مـؤلما لهما ولوحيد.. ومع الأسئلة التى وجـهتها النيابة وهيئـة المحكمة لهما عن الفترة الزمنية التى كان وحيد مع كل واحدة فقد فشلتا فى التوفيق بين الواقع من جهة وحقيقة دوافعـهما فى الدفاع عن الزميل والحبيب من جهة أخرى، ولم يكن أمام القاضى وهيئة المحكمة إلا تأجيل المحاكمة التى استـمرت لسنتين مع اسـتمرار اعـتقال وحـيد ثم كانت المفـاجأة الأخرى والتى غـيرت الامـور وأظهرت براءة وحـيد، تلك المفـاجأة تمثلت فى تقدم سيدة وهى أم لطفلين وزوجها مفقود بسبب اضطراب نفسى أصابه كانت على علاقة عاطفية حـميمية وساخنة بوحيد وكان يرفض أن يتحدث عنهـا كى لا يشوه سمعتـها وسمعة أسرتهـا الطيبة وحينمـا علم أن تلك السيدة تقدمت للجـهات المختصـة وتحدثت عن علاقـتها بوحيـد وأنه لحظة وقوع جريمـة قتل رقيـة كان برفقتـها من الساعة الخامـسة عصرا حتى التاسعـة مساء ومعهما صـديقتها التى تم استدعائها وأكدت أقوال صديقـتها وكيف أنهم تناولوا العشاء فى أحد المطاعم فى الساعة السابعة وخمسـة وأربعين دقيقة مساء وبعد البحث والتحرى عن ذلك المطعم الذى أكد مالكه مـا جاء فى الأقوال السابقة للسيدة والفـتاة فقد تم إعادة المحكمـة لمحاكمة وحيـد وفقا للتطورات

الأخيرة وبعد سماع الافادات الجديدة للشهود بجلسة مغلقة ومن ثم تم اصدار الحكم فى جلسة علنية بنفس اليوم عن براءة وحيد.

ويضيف سعيد: بأن زميلنا وحيد وبعد براءته وخروجه من السجن سافر مباشرةً إلى قريته للاستمتاع بالحرية مع أهله، يفرح الأهل والاصدقاء ولكن خطيبته كانت الأكثر استعداداً وشوقاً إلى اللقاء به ومواجهته بالماضى والحاضر وكيف أنه لم يراع مشاعرها وعلاقتهما وثقتها به ولأنه - أى وحيد - كان يهاب من مواجهة المرأة الجادة فقد خضع أخيراً لضغوط عديدة من أهله وأصدقائه التى تدعوه إلى اللقاء بخطيبته التى لم تخلع دبلة الخطوبة رغم أن وحيد أرسل لها دبلته معتذراً عن عدم الايفاء بوعوده لها.. يتم اللقاء فى منزل محايد وكانت المواجهة حادة ومؤلمة لوحيد الذى لم يكن أمامه إلا الاعتذار وطلبه الزواج منها لكنها لم ترد عليه رغم قبولها اعتذاره مما دفع وحيد إلى الطلب من أهله للذهاب إلى عائلة خطيبته وطلبها للزواج منه مع تحديد يوم الزواج بأقرب فرصة ممكنة.. وأهلها يرحبون بضيوفهم وحاولوا اقناع ابنتهم بجدية طلب وحيد وعائلته كما أن وحيد وعائلته مستعدون لأى شروط تشترطها ولأنها كانت تحب وحيد فقد وافقت فى النهاية مشترطة العيش فى القرية مع تحديد صداقها لمبلغ كبير لم تتردد عائلة وحيد من قبوله، ويتزوج وحيد من فتاة قريته وظل فى القرية لأشهر طويلة حتى وفق فى عمل بأحد الوزارات المهمة.

تقول سحر فى مذكراتها: تألمنا كثيراً لما حصل لزميلنا الطيب وحيد وتمنينا لو كنا نعرف عن مـا حدث له حتى نحاول مسـاعدته والوقوف بجانبه.. ربنا يوفقه ويسعده ويرزقه بالذرية الصالحة».

يتوقف أمين عن قراءة المذكرة وهو يحاول استعاده جزء من شريط ذكريـاته مع وحيـد حتى وجد نـفسه مـضطرا لرفع سـماعة الهـاتف ويطلب رقم كان خاصـا بزميله حمزة الذى يعتبـر أقرب شخص إلى قرية وحـيد وبعد دقـائق من رنات الهاتف الخـاص بحمزة كـان أمين يدون بعض الأفكار على ورق خاص وصـغير ثم يقوم بلصـقها على صـفحـات ورق المفكرة تطول الرنات ولازال أمـين على الخط منتظراً حتى ردت عليه زوجة حمزة التى تعرف أمين وسلمى ومباشرة وعلى غير عادته فى السـؤال عن صحتها والاولاد وأهلها يسـألها عن حمزة وبلباقة بنت القرية تسأله زوجة حـمزة بجدية: مالك يا أمين.. إنشاء الله كل شىء بخيـر وجيد.. ما هى عـادتك اليوم وما بتـسألنى عن حالى والأولاد؟

ينتبه أمـين للارتباك الذى أصابه فـجأة ثم يعتذر لها ويـخبرها بأن كل شىء بخـير والحـمـد لله كمـا أنه وسلمى مـشتـاقـون لرؤيتهـا والاولاد.. تدعوا حمزة الذى كان ممدداً وقريباً للحظة النوم وبحديث قصير على الأثيـر وعد حمزة بمعرفة آخر أخبار وحـيد وأبلاغه بها.. ويعرف بعدها أن وحيد يعد نفسـه لاستلام عمله الجديد وقرب سفره

إلى العاصمة عدن، وتهيأ أمين وسيف وناصر إلى زيارة قصيرة وخاطفة ومفاجئة إلى قرية وحيد الذى رحب بهم وقام بواجب ضيافتهم ومكثوا لساعات طويلة - سبع ساعات - فى ضيافته.

ويعاود أمين قراءته لمذكرات سحر :

اليوم اطالع صحيفة نقابية وأجد مقالة لأحد كتابها يتحدث عن خطر داهم يهدد الوطن والأمة وحدد ذلك الخطر بالجماعات الاسلامية بكل أشكالها وأنواعها، وحينها أدركت أن البلد مقبل على متغيرات سياسية واقتصادية لا يعلم بها إلا الله سبحانه وتعالى.. فقلت لنفسى: لماذا لا الحق بجلدى قبل أن تقع الكارثة ويصبح من العسير علىَّ مواجهتها أو القبول بها أو الانتحار تحت أقدامها.. وفكرت حينها بزينب وقررت الخوض معها فى مطالبى.

اليوم الثانى وصباحا وقبل دخولى لمكتبى توجهت مباشرة إلى مكتب زينب وسلمت عليها وسألتنى عن سمير وكيف أنها فوجئت بزيارتى الصباحية على غير عادتى.. فأجبتها برغبتى برؤيتها والحديث معها لأنى محتاجة للفضفضة معها وعرضت عليها دعوة للعشاء فى منزلى فقبلتها من دون تردد ثم سألتنى إن كان غيرها سيحضر العشاء فأجبتها إن العشاء لها وحدها.

فيفى تتصل بى وتطلب منى إعطاءها مفتاح شقتى لكى تتمكن من اللقاء بسعيد، أقابلها أمام العمارة هى وسعيد - زوجها - وسلمتها

مفتاح الشقة مع كيسين أحـدهما عصائر وفواكه والآخر لحوم ودجاج وقليل من السمك.. تركتهما وعدت للعمل واتصلت بسمير وأخبرته عن فيـفى وسعيـد.. وبالمناسبـة هناك غرفة أخـرى بشقـتى فرشناها وخصصناها حينها لفيفى وزوجها، أما الغرفة الأخرى فقد خصصناها للضيوف بالاضافة إلى غرفة نومى الرئيسية.

على فكرة.. فـيفى وسعـيد.. لم يقـصرا معنا حـتى فى تأثيث الشقـة ومرافـقتـهم لنا فى كل المحن والاوقات القـاسية وكـانوا نعم الاصدقاء.

فى الساعة الرابعة والنصف نصل إلى شقـتنا - أنا وسمير - وفتح لنا سعيد باب الشقة وهو خجولاً ولكنى نهرته غاضبة من حالة خجله ولاول مرة وجدت نفسى أحدثه بقسوة فقلت له:

يا أخى كم مرة أقـول لك ما بلاش خـجلك الذى يشعـرنى دائماً بأننا غـرباء رغم أنكم أقـرب البشـر إلى قلبى وعـقلى وقلب وعـقل سمير.

برغم أن سمير حاول يلكزنى ليوقفنى عن الحديث إلا أنى تجاهلته خصيصا بعدما وجدت القبول والرضى من صديقة عمرى فيفى التى كانت أكثر جرءةً وشجاعة منى ومن كل الزملاء والزمـيلات لذا فأن حبها فى قلبى يزداد يوماً بعد يوم.

ولأول مرة اكتشف أن سعيد أكثر تسامحاً وهدوءاً.. وذلك عندما

كنت أحاول الاعتذار له عن تصرفى وكلامى معه فوجدته يبادرنى بالاعتذار وهو يتجه نحوى ويمسك باطراف سواعدى ويطالبنى بالهدوء لأنه لا يشعر بالخجل منى ولكن من وجوده فى شقتى مع زوجته وبغيابى وسمير.

ولذا أشعر بسعادة غامرة من علاقتى بفيفى وسعيد.

صباح يوم الجمعة زارنا شقيق سمير «عبدالقادر» مع أبنته الكبرى وابنه الأكبر.. نتعرف على بعضنا البعض واذا بهم يسألونى إن كنت أمانع فى زيارتهم لى ولعمهم سمير؟ لحظتها لم أصدق ما سمعته فانتفضت فرحة لمعانقتهم وبينما كادت دموعى على وشك الخروج من جراء فرحى قلت لهم:

فى أى وقت ويوم ومن دون موعد أهلاً وسهلاً بكم وهذا البيت هو بيتكم وسأكون أكثر سعادة لو أنكم جادين بكلامكم.

شقيق سمير الأكبر كان أكثر شخص من عائلته يزورنا ويسأل عنا ويقدم لنا المساعدة المادية بين الحين والآخر.. ووجدته مشجعاً لاولاده على فكرتهم بزيارتنا بل أنه كرر دعوته لزيارتنا لداره التى أعتذرت عن عدم تلبيتها خوفا عليه من غضب والديه - والدى زوجى سمير - ثم قال لى:

ما دمت تمانعين زيارتنا فلا تنسى أن أم الأولاد والأولاد وأنا ممكن نكثر من زياراتنا لكما حتى تقولا لنا.. عفواً..

فرديت عليه مسرعة:

وهل يعقل لى أو لسمير أن نغلق بابنا أمامكم.. مواقفك والمدام والأولاد معنا يحرم علينا فعل ذلك أو أى فعل يغضبكم أو يكدر حياتكم..

كانت جمعة رائعة خاصة أن أبنة شقيق زوجتى وأسمها - دنيا - وبحسها المرهف وروحها المرحة اجتهدت لاضحاكنا من خلال أطلاقها للنكات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وعندما غادرونا شعرت بفراغ كبير وبدأت أفكر فى كسر المحرمات التى أمامى وأقوم بزيارتهم ولكنى احتفظت بتفكيرى لنفسى وبدأت أستعد لاستقبال صديقتى زينب بعد أن قام سمير بتوفير كل متطلبات العشاء وتركنى وحدى ثم ذهب إلى سعيد.

فى الساعة السابعة بالدقيقة حضرت زينب فرحبت بها وتناولنا فى البدء الشاى مع حديث مفيد وودى ومن دون حواجز أو تكلف.. وجدتها انسانة مهمومة وبالذات عندما طالبتنى بالحفاظ على علاقتى بزوجى وشرحت لى بتلقائية عن بعض النصائح وكيف للمرأة أن تعمل للحفاظ على زوجها وتجديد علاقتهم ونبهتنى إلى عدم الاستسلام لأى غرور قد يصيبنى أو لحظة غضب أوشك ومعالجة ذلك بالحوار والمصارحة والثقة المتبادلة واعطاء الوقت لجمالى وهندامى لاثارة المزيد من مشاعر وشوق زوجى لى، كما أشارت إلى أهمية تنوع الاحاديث

فيما بين الزوجين وكذلك تنوع الاصـدقاء والاكثار من النكات العاطفية والجنسية لاضفاء روح التجدد على الرتابة والملل والوحدة.

حينها شعرت بمدى آلامها وهمومها وأحسست أنها أصبحت قريبة منى ولم أتردد فى توجـيه بعض الاسئلة اليـها وعن حـياتها الخـاصة فوجدتها مرتاحة لى مما سهل لى بمفاتحتها بموضوعى وكانت ذكية جدا عند مناقشـتها مـعى فهى قطعت ترددى عندمـا بدأت الحديث معـها فقالت لى بتلقائية محببة للنفس:

تكلمى براحتك وكلى آذان صاغية مع استعدادى الصادق بمساعدتك قدر الامكان.

فقلت لها بعد تردد واسترجاع نهدة عميقة:

أنا بكل صـراحة بحـاجة إلى مـسـاعدتك ومـساعـدة أصدقـائى والموضوع قـد يكون معـقداً وربما يترتب عليـه أمور متـشابكة وأكـثر تعقيداً كما آراءها.

فاجابت عليَّ وكلها ثقة وصدق:

وربما تكون سهلة عندى وأسـتطيع التدخل فى حلحلة عـقدها ولا تنسى أنى وعدتك بعمل المستحيل من أجلك.

ثم تملكتنى الشجاعة وقلت لها:

أنا وزوجى وفيفى نفكر فى مواصلة الدراسة الجـامعية خلال العام القادم.



فاجابتنى مقاطعة:

أمرك قد يأخذ وقتاً ولكنه قابل للحل، أما فيفى فأمرها محلول لأن وضعها الوظيفى مؤقت وسهل وهى غير مرغوب فيها، وسمير أيضا غير مرغوب به ولكن ربما ارتباطه بك يأخذ وقتاً ومع ذلك لن يعصى علىَّ. . كل ما يهمنى الآن هو أن يتم ذلك بهدوء وسرية. والمطلوب منك أن تكتبى طلب بهذا الخصوص وسلميه لى خلال اسبوع من اليوم، بعد ذلك التزمى الهدوء، وعدم الانفعال أو التعليق على أى موقف من أى شخص كان قد يواجه طلبك بسخرية أو عجرفة.

رديت عليها قائلاً:

لا أعرف ماذا أقول لك؟ غير أنك تطوقينى بجميل لن أنساه لك طول عمرى.

تعلق زينب:

لا داعى لحديث الجميل ورد الجميل. . فنحن اتفقنا أن نكون أصدقاء وأخوات.

قدمت طلبى وفقاً لاتفاقى مع زينب وتحادثت فى هذا اليوم مع فيفى وأبلغتها بأن موضوعها غير مثبت وفى طريقه للحل وأحسست بسعادتها غير المحدودة، أما سمير فقد بدأ يشعر بالاطمئنان.

بعد أسبوع من التقدم بطلبى تقدمت بطلب إجازة لمدة أسبوعين

فرفضتها زينب وعندما علمت برفضها ذهبت أسألها وأقتنعت برفضها القائم على استعداد الجمعية لاعداد التقارير السنوية للاقسام والادارات واتفقت معها على أن تكون إجازتى مع بداية العام الجديد ١٩٨٩م.

لأول مرة نقوم بـزيارة عائلة سعيـد من غير فيـفى نتيجة مـرضها المفاجىء وتناولنا الغداء مع العائلة وكانت وجبة غداء رائعة ثم تعرفت على شقيقه سعيد خريجة كلية التربية - آداب انجليزى - وحفلة الغداء بمناسبـة نجاحهـا وقد وعدتنى بالتـواصل معى وزيارتى بأقرب فـرصة ممكنة.

ولأول مرة منـذ تزوجت عرفـياً من سمـير نذهب لزيـارة صديق جديد لســمير تعرف عليـه بعد التخرج حـينما تعرض للاعتـقال لمدة أسبوع تحت شبهة الانتماء لجماعات أصولية متطرفة ومحظورة وأثبتت التحقيقات براءته، ذلك الصديق اسمه «سامح» ويعمل فى جهاز أمن الدولة.. استـقبلنا وزوجتـه وأولاده الثلاثة وكنا «سـمير وأنا وفـيفى وسعيد» وكان الغـداء مكون من رأس غنم كامل محشو بالأرز واللوز والزبيب مع خبز الصـاج وأحسست أن زوجة سامح قـد بذلت جهداً كبيراً فى اعـداد الطعام فشكرتها وطلبت منها أن تعلمنى طبـخة الخبز وبدأت الحواجز فيما بيننا تتقلص وبالاخص بعد قيامنا - أنا وفيفى - بمساعدتها بغسيل الأوانى والتنظيف ووجدنا فيها البراءة والطيبة وحسن المعاشـرة وقد ترجتنا أن نكثف من زيـاراتنا لها كمـا وعدتنا بزيارات

خاصة لنا لو رضينا، عدنا إلى أزواجنا وصبينا الشاى مع الحليب على الأكواب ودار حديث ودى صادق، وكان سامح يحدثنا من دون تحفظ خصوصاً بعد سؤالى له عن واقع ظهور بعض الأفكار السياسية المطالبة بالتغيير والوحدة من دون أن يتعرضوا للمساءلة أو الاعتقال أو التشهير كما كان يحدث سابقاً يقول سامح:

بالفعل هناك تغييرات قادمة قادمة يتم التخطيط لها من قبل القيادة السياسية بالرغم من وجود بعض التباينات فيما بين اعضائها حول طرق تنفيذها والمدة الزمنية للتنفيذ.. كما يوجد بعض الانفراج فى العلاقة السياسية بين شطرى الوطن ولكنه انفراج مشوب أو مصحوب بالتوتر واكتشفت ذلك عندما تم تقديمنا لتقرير عن مواطن هارب من الشطر الشمالى وقد تم القبض عليه وبعد التحقيق معه سلمت التقرير لرؤسائنا الذين بدورهم رفعوه للقيادة السياسية ثم فوجئنا بتوجيهات بعدم نشر أى خبر أو تقرير عن الموضوع كما كانت العادة لنظامى الشطرين.

فجأة يتوقف سامح عن الكلام تناول خلاله الشاى ثم ضحك ضحكة هادئة ومعبرة مواصلاً حديثه:

أنا كنت واحد من المحققين مع الهارب وعرفنا منه انه هارب من أحد سجون النظام حيث كان يقضى عقوبة الاعدام نتيجة لقتله أحد الافراد ينازعه حول قطعة أرض فهو يقول أنه كان يدافع عن نفسه



ولكن المحكمة حكمت عليه بالاعدام وقد قضى عشر سنوات كاملة فى السجن بعد اصدار الحكم من دون أن ينفذ الحكم والسبب أن عائلة القتيل تدفع للقائمين على السجن أموالا طائلة مقابل تعذيبه وقناعته بمصيره وإطالة أمد سجنه وعندما وجد أن سجانيه كانوا يتقاضون مبالغ مالية أيضا من أسرته مقابل تأجيل الحكم حتى يحصلوا على الاستئناف وظلت عائلته تدفع الأموال حتى بلغت بحدود سبعة ملايين ريال ثم توقفوا عن الدفع نتيجة لافلاسهم وأبلغوهم السجانين بأنهم على وشك تنفيذ الحكم ثم تعرف إلى أحد حراس السجن وأطمأن له وعرض عليه مليون ريال على أن يساعده فى الهرب ففرح الحارس وأتفق معه على طريقة الدفع من قبل أحد أفراد قبيلته الذى بادر لمساعدة قريبه وأبن قبيلته وحددوا ساعة تنفيذ الخطة التى تصادف يوم التنفيذ ليلة عيد الفطر المبارك ونجحت الخطة وهرب السجين ومضى يتنقل بين القرى لمدة ٤٢ يوم حتى وصل للحدود وسلم نفسه لنقطة عسكرية تابعة لنظامنا، ومع التحقيق لم نكن نحن المحققين نصدق ما سمعنا حتى وصلتنا معلومات أمنية عنه أكدت صحة أقواله فاندهشنا كيف يحدث ذلك!!.

ثم يسأله سعيد عن مصير الرجل فرد سامح بأنه موجود فى أحد المعسكرات ويتحرك تحت السيطرة ويعيش بشكل طبيعى وقد يتم نقله إلى محافظة بعيدة لترتيب أوضاعه مع أنى فى الحقيقة أشك فيه لأن

كلامه معنا يعبر عن الواثق والخبير بعمليات التحقيق فى عالم السياسة كمـا فى عالم الجريمة وعـالم الجاسوسـية.. فالسيـاسيون يسـاومون ويتنازلون ويبيـعون ويشترون وفقـاً لمصالحهم الخاصـة والحزبية، ولذا فجرائمهم كبيـرة بحق الشعوب والأوطان، وهناك ترابط بين السياسة والجاسوسـية فالثانـية تعمل لصالح الأولى وربما ضـدها لو تعارضت المصالح، فأنا أعرف ضابط أمن اعتـقل أفراد مقربين له ولأسرته ومن دون مصوغات قانونية بل وشارك في اعتقال أكثر من فرد وأعرف آخر شارك فى اعتقال واغتيال أحد أقاربه والمرمـوقين سياسياً واجتماعياً.. لذا لا تستغربوا لو سمعتـم عن تحولات لرجال سياسة وأمن من اتجاه لأخر لأنه وبصراحـة لم نعد نعرف أين تكمن الحقـيقة وإلى أين نحن ذاهبون.

وسألـته - سـحر - بدهشـة عن امكانية تصـور وجود مـثل تلك الأمور فى هذا القرن- ٢٠-؟.

فرد عليها سامح والابتسامة الهادئة بادية على وجهه:

كل شئ ممكن يا أخـتي فالذي يقـال غيـر الذي يطبق والمشكلة أن هناك بعض الأفراد جعلوا من وظيفتهم وسيلة لإرهاب واستغلال الأخرون.

وعندمـا حانت السـاعـة الثامنة مـساء اسـتأذن سـمير مـن سامح وعـائلته بالسـماح لنا بالمغـادرة فحـاول ارضـاءنا لكننا صمـمنا على

الرحيل مع قبـولهم لدعوتنا لهم برد الزيارة بعد اسبوع، فـقرر سامح توديعنا وتوصيلنا بسيـارته المتواضعة التى من شكلها كـانت تبدو أنها تابعة لعمله.. سامح الضابط الامنى ينتمـى لأسرة طيبة ومشهورة فى منطقتهم الريفية ولكنه منذ مـولده يعيش فى العاصمة ولا يزور بلدته إلا بالمناسبات وعرفنا أن زوجته من نفس المنطقة وقد تعرف عليها أثناء أحدى زياراته فقرر الارتباط المباشر بها.

ليلة عـودتنا من زيارة سامح لم أنم حـتى آذان الفجـر والسبب أن حكاية سامح لـنا عن قضيـة ذلك الرجل ظلت فى بالى مع استـمرار مقاومتى لها ومحاولة نسـيانها وكأنى أعيش أحداث الحكاية، وعندما اكتـشف سميـر قلقى سألنى عن سبب عـدم نومى وقلت له الحقيـقة ضحك وربت على كتفى ثم ضـمنى إلى صدره وهو يقول: كم أنت طيبة وحساسة ألم أقل لك وأكـثر من مليون مرة لا تأخذى الروايات التى تسمعيها أو تقرأيهـا محمل الجد، نحن لسنا مسؤولين عن أحلام هذا الكون.. وكـونى لم أنم اتصلت بصديقـتى زينب واعتـذرت لها عن عدم الحضور للعمل على اعتبار أنى مريضة.

بعد ليلتين متتاليتين لم أذق فيـها النوم الطبيعى قعدنا - أنا وسمير مع سعيد وفيفى - نخطط خلالها لضيـافة سامح مالياً ومعنوياً وعملياً ووصلنا إلى عدة قـرارات أهمها: أن نجـمع الأربعة ما مـعنا من نقود لشراء متطلبـات الضيافة وأيضـاً توسيعها لتـشمل شقيق سمـير وأبنته



وأبنه وشقيقة سعيد التى أصبحت صديقتى وزينب فأعترض سعيد وسمير على دعوة زينب وأقترحا تأجيل دعوتها لوقت آخر وأضافوا أسماء أخرى بحدود ثلاثة شملت شقيق سعيد وزوجته وزوجة شقيق سمير ، كما قررنا أن يبيت ليلة الضيافة معنا فيفى وسعيد وشقيقة سعيد وابنه شقيق سمير دنيا معنا حتى نتعاون فى الصباح فى إعداد وجبة الطعام للضيوف.

فى اليوم الثالث من قعدتنا أتصلت صباحاً بناءً على طلب من سمير وسعيد - بأبنة شقيق سمير ووالدتها وشقيقة سعيد وبعد السلام عليهم أخبرتهم برغبتنا فى الدعوة والمساعدة وأحسست ساعتها بطمأنينة غير عادية مما ولد الرعشة فى جسمي والتلعثم في الحديث كما وافقت شقيقة سعيد وأبنة شقيق سمير على الحضور الينا والمبيت معنا.. ولأول مرة اشعر بالحياة العائلية عندما حضرت البنات وقضوا الليلة معنا وكانت أجمل ليلة فى حياتى كما كان أجمل يوم عندما حضر كل المدعوين بل زاد عليهم والدة سعيد وشقيقتى الصغرى والأخ الأصغر لسمير وهو طالب فى الثانوية. وشكرت ربى على ذلك ثم شكرت سامح لأنه كان السبب فى ذلك، لأن الأمر بالنسبة لى ولسمير وفيفى وسعيد هو بداية الاعتراف من كل عائلاتنا بعلاقاتنا الزوجية.

بعد ذلك اليوم بدأت الزيارات الينا من قبل عائلاتنا وتعمقت علاقتى مع زوارى وبالذات شقيقة سعيد وأبنة شقيق سمير (دنيا)

وعلى الرغم من استمرار المقاطعة الرسمية فقد كانت الاتصالات السرية قائمة مع استمرار التفاؤل فى الانفراج وتحقيق الوئام. لقد بذلت مجهود شخصى فى تحسين العلاقات مع البنات والاولاد من خلال متابعتى لهم والسؤال عن أحوالهم ودراستهم والمراجعة مع بعضهم، وللأمانة فقد أحببت كثيراً شقيقة سعيد ودنيا، كما قربت بين شقيقتى الصغرى وابن أخو سمير وأصبحا يحبان بعضهما ويختارن شقتنا للقاءات وما أن أفصح الولد لأبويه عن حبه لاختى ورغبته فى خطبتها فسألونى عن موقفى وامكانية تحقيق ذلك ولم أصدق ما سمعت فأخبرتهم مباشرة ومن دون الرجوع لأهلى عن سعادتى وترحيبى بذلك ثم طلبوا منى البدء بالتواصل مع أهلى، وأما سمير فقد كان متوجساً من موقف أهلى، وموقف والديه لو عرفوا بالأمر ولكن زوجة أخيه بددت توجسه بأن هذا شأن يخص ابنها وحياته ثم أن الأمر سيتم فى البدء بالسر على شكل خطوبة وما أن تستقر الأمور يتم الاعلان عن كل شيء.. ومن ناحية موقف أهلى فقد تبددت هواجسه عندما قمت الاتصال بوالدتى وإخبارها بالأمر ثم دعتنى للتحدث مع عمى أما هى فقد أعلنت عن قبولها بالأمر لو أن شقيقتى تود ذلك وما أن سألتها وعرفت بموافقتها حتى باركت لها متمنية أن يكون اختيارها موفقا وخطوة للأمام فى ازالة الجفاء فيما بينى وبين أسرة سمير. وأبلغت أخو سمير وزوجته بموافقة والدي

وأختى ففرحوا وباركوا لنا وشكرونى على مساعدتى لهم. . بعد ذلك أصبح الولد - ياسين - أبن أخو سمير قريبا إلى قلبى وعقلى فأحببته كأنه ابنى.

ودائما فى كل صلواتي أدعو الله أن يهدىء من سرنا ويقربنا ويوفقنا.

وتكتب سحر فى ختام مفكرتها الثانية:

«يبدو أنى مملة فى تصرفاتى الفكرية ومن هنا سأسعى جاهدة للتخلص من مرض كتابة مذكراتى وأدعوا الله أن يساعدنى على ذلك».

يضحك أمين مع نفسه حينما قرأ العبارة الأخيرة لسحر وتناول ورقة صغيرة وكتب عليها الكلمات التالية:

«لن تستطيعى يا سحر التخلص من عادة الكتابة وأنت لست مملة بل انسانة رائعة ومكافحة وطموحة وأدعو الله أن يوفقك فى حياتك الخاصة والعامة».

وتناول ورقة صغيرة وكتب عليها أيضا ما يلى:

- التعرف على سامح.
- السؤال عن زينب.
- التعرف على عائلات سمير وسعيد وفيفى وسحر للتوفيق.
- الجلوس مجدداً مع سحر وفيفى. . سمير وسعيد. . وأيضا سيف.
- الاعداد لدعوة شقيق سمير والجلوس معه».

الفصل الخامس

هارون وعائلته يقومون بزيارة مفاجئة لدار أمين ويطلب من أمين الاتصال بزملائهم الذين أقترحهم عليه لتوظيفهم وتم ذلك على الرغم أن سلمى كانت تود ضم سحر إلى قائمة مكتبها ولكنها تراجعت عن ذلك بعد معرفة احتياج هارون لها.

كانت الأوضاع فى عدن وكل الجنوب اليمنى فى العام ١٩٨٩م تتجه نحو التململ والتحلحل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وخاصة بعد بروز المؤشرات الدالة على سقوط المعسكر الشرقى والاتحاد السوفيتى الداعم الأبرز لنظام اليمن الجنوبى.. فحدثت انفراجات سياسية دبلوماسية فى علاقة نظام عدن بجيرانها وبعض دول العالم ولكنها انفراجات غير واضحة لأنها لم تترافق مع انفراجات اقتصادية محسوسة.. فالسياسة الاقتصادية لم تتغير والاستثمارات الاجنبية كانت تراقب الوضع بحذر على الرغم من تحفزها للعمل فى منطقة تعتبر أرض بكر من وجهة نظرهم الاقتصادية العلمية.. فسياسة الاحتكار الكامل والقاسى للقطاع الاقتصادى الحكومى كانت تعانى من أزمة بنيوية وهيكلية.. أزمة دفعت بقيادة نظام عدن إلى انتهاج سياسات انفراحية كى لا تؤدى فى النهاية إلى سقوطها وفشلها رغم الفشل المتراكم فى اتجاهات عدة..

لقد كان المواطنون فى اليمن الجنوبى يعتمدون على الحكومة فى تسيير حياتهم ولكنهم يتوقون إلى تغييرات سياسية واقتصادية تحسن

من أوضاعـهم السياسـية والاقتـصادية . . كـما كان المواطن يشـعر بالحرمان من الحـرية السياسيـة والديمقراطية التى كـان غيابها سـبباً رئيسـياً فى تعرض بلادهم لصـراعات دموية غيـر مبررة واصبـحوا يشعرون أنهم لم ينتفعوا من كفاحهم ضد الاستعمار الانجليزى الذى حقق للوطن الاسـتقلال من الاستـعمار، وبسبب تلك الصـراعات الدامية ضحى الوطن والمواطن بالكثـير من طاقاتهم البشرية والمادية والسيـاسية والاقـتصادية . . ومع ١٩٨٩م بـدأوا يتنفسون الصـعداء ولكن بحـذر لخوفهم من اسـتمـرار الخلافـات بين عناصر القـيادة السياسـية لخوفهم من تحـول تلك الاختلافات إلى صـراعات دموية حادة أختبروا وذاقوا مرارتها لعقدين من الزمن.

وفى ذلك العام شهدت الساحة السياسية فى شطرى اليمن بعض الانفـراج الذى أدى للتـواصل السـيـاسى الرسـمـى بين النظامـين المتباينين وبالتالى إلى الاتفاق على توحـيد الشطرين واستمرت تلك الجهود وتوسعت وتعمقت حتى دفع النظامين على توقيع اتفاقية ٣٠ نوفمبر ٨٩م الخاصة باجراءات التوحيد.

ووضع المواطن فى الشـطر الشـمالـى لم يكن أفـضل من وضع المواطن فى عدن فالوضع الاقـتصادى والسياسـى لنظام صنعاء كان يعيش أيـضا أسوأ أزمـاته رغم الحرية الاقـتصادية المقننـة والمحتكرة لعائلات وأفراد، كـما أن الحرية السيـاسية كانت محـرمة ومن يريد

التحزب عليه بالحزب الحاكم على شاكلة الوضع فى عدن والاختلاف فى صنعاء أن التحزب خيانة، كما أن الفساد فى صنعاء مستفحل ومنتشر بصورة واضحة على عكس عدن، وصنعاء لم تسلم من الصراعات الدموية منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، وعاصر الشطران ثلاثة حروب بين النظامين.. كانت حروب مؤلمة وقاسية استنزفت كل الجهود الاقتصادية والامكانيات البشرية.. العارفون ببواطن الأمور فى الاوضاع السياسية لأنظمة الشطرين السياسية أعتبروا أن توجه النظامين إلى التوحد والتقارب السريع هو عبارة عن هروبهما من واقعهم المتردى التى كانت كل المؤشرات تؤكد عدم قدرتهما على مواجهتها مما يعرضهما للسقوط لذا كانت الوحدة هروباً أو قارب أنقاذ لكليهما على أساس تجديد حياتهما من النظام الجديد.. نظام الوحدة.

وبرزت المخاوف من تقارب النظامين المعروف بعداء بعضهم بعض وتنافرهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى.. وهى مخاوف مشروعة للمواطن البسيط الذى كان يعتبر نفسه مغيباً غياباً اجبارياً عن واقعه والتصرف به.. وأصبح المواطن مسيراً لا مخيراً.. فما يقوله قادته هو خيارهم حتى لو تعارض مع مصالحهم.. وبرزت تلك المخاوف بدرجة أساسية عند المواطن فى عدن الذى تعرض خلال عقدين إلى اجراءات اقتصادية قاسية فغياب

الحرية الاقتـصادية حرمته من الاعـتماد على ذاته وبسببـها هاجرت رساميل كثيرة، وكـبيرة إلى صنعاء ودول الجوار وساهمت هناك فى تطوير اقتـصادياتها كمـا حرم الوطن من الاستـثمارات الاقتـصادية الوطنية والاجنبية.. والشركات الخـاصة التى كانت تعمل فى عدن لم تتمكن من تطوير نفسها وتوسيع أنشطتها بعكس ما كان موجوداً فى صنعاء ولو بنسبة بسيطة وفى حوار تم بين مجموعة من الشباب فى عدن كانت الحوارات تعبـر عن القلق والخوف من الايام القادمة يتحدث هارون مع اصدقائه فى جلسة قات تمت فى منزل والد أمين وبحضور والده فيقول أمين:

هل يمكن لعاقل أن يتـوقع هذه الخاتمة.. لقد تغـير وضع أبناء الجنوب وعانوا الكثيـر وصبروا لعل صبرهم يؤدى إلى نتيـجة طيبة له.. لكن أن يعوض على تلك المعـاناة والصبر بمواجهة غـير عادلة مع المواطن فى صنعـاء.. كـثيـر من أبناء الجنوب وبالذات رجـال الأعمـال صودرت ممتلكاتهم وأمـوالهم والذى هرب وأخذ معـه ما استطاع وكافح ونجح فى مـهجره يتمنى أن يعود لوطنه ويعـمل فيه وأمـا الذين بقـوا وتحـملوا وجـاهدوا وعمـلوا فى الوطن وفى ظل اجراءات اقتـصادية قاتلة وفـاشلة هم الأكثر تضرراً وكـان ينبغى أن يتم تعويضهم قبل قيام الوحدة.. لذا فإمكانياتهم المادية والاقتصادية الحـالية لم ولـن تمكنهم من الاستـمـرار والتنافس مع أقـرانهم من

صنعاء.

وبينما كان بعض الأصدقاء في حوار عام عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلد يتدخل ممدوح بينما كانت علامات اليأس بادية على وجهه وحديثه قال:

معك حق يا صديقى ماذا ستقول عن ذلك المواطن الذى كان يعتمد كليا على الحكومة والجميع كان يجب أن يعوض.. لقد سرقوا منا الاستقلال الوطنى وسيسرقون منا الوحدة كحكم التى تربينا على ترديد شعاراتها والمؤلم يا أخوانى أن معظم العناصر القيادية بدأت تعمل لترتيب أوضاعها وكأن الوطن ضيعة خاصة بهم.. يحز فى نفسى أنى عضو بالحزب الحاكم وأكثر تشددا له بدأت أشعر بالتيه والخوف من القادم وكل من يتكلم ويشير إلى خطأ الاجراءات السريعة يتهم بالجبن ومعاداة الوحدة.

كان هارون وأمين فى حالة ذهول من حديث ممدوح المعروف بتشدده فى تأييد سياسات نظام عدن، ثم يعقب سيف:

لا أعتقد أن هناك خلاف على الوحدة وضرورة تحقيقها واتفق مع ما قلتموه إنما الواقع الراهن ومن النظر لمحتوى الاتفاقيات الموقعة يعكن التوقع بالاستقرار العام.

يقاطعه هارون:

أنت تحلم يا سيف، وكفانا أحلام وأوهام.. فالذى نراه هو

اطلاق رصـاصات الرحـمـة على أبناء الجنوب وخـصوصـاً القطاع الخاص.. نعم نحن لا نخـتلف عن الوحدة وضرورتهـا وأهميتـها ولكن قبـل الوحدة ينبغى أن يتـم تعويضهم، ثم مـا أدرانا أن نظام الوحدة القادم سيعمل على تعويض الجـميع تعويضاً عادلاً خصوصاً وأن نظام الوحدة سيتشكل من نفس النظامين السابقين والكل يعرف طبيـعتهمـا الشموليـة والديكتاتورية والمصيـبة أنهم يشترطون خـيار الديمقراطيـة كنهج للنظام السياسى لدولة الوحـدة فمن يشرط على من؟ وكيف نـصدق بأنهم سيكونـون ديمقراطيـين وهم الذين تربوا على معاداتها. واغتصبوا الحكم بقوة المؤامرات وحبكة الانقلابات؟! فهل نصدق أن يكون مثـل هؤلاء هكذا بين ليلة وضحاها بانهم من محبى ودعاة الديمقراطية..!!؟

يتدخل أحد الحاضرين قائلاً:

والناس من حبهـا وايمانها بالوحدة صـدقوا جلاديهم.. يا الله بحسن الخاتمة ثم يواصل هارون حديثه:

لو فكرنا جـيداً وتذكـرنا كم عدد الـضحـايا من أبناء الشطرين سقطوا دفـاعاً عن أوطانهم من بعد ثورة سبـتمبر ٦٢م والاسـتقلال الوطنى ٣٠ نوفمـبر ٦٧م حتى يومنا ومـقارنتهـا بفترة مـا قبل الثورة والاستقلال لاكتـشفنا حجم المأساة والكارثة وكله تحت شعار الدفاع عن النظام والثورة و... دورات دموية شهدها الشطرين من

دون جدوى تذكر.

يعقب ناصر المعروف بهدوئه ورزانتـه ورجاحته فى الحديث وهو عضو بالحزب الحاكم ولكنه غير فاعل وقد تم تجميد عضويته مؤخراً بعد سنة من تخلفه عن حضور فعـاليات الحزب الحاكم وتقبل الأمر بصورة طبيـعية على الرغم من اتخاذه قرار تـطليق العمل الحزبى - أى تحزب - يقول:

أنا لا أؤمن بالعنف ولا أحب اسـتخـدام السلاح بسـبب أو من دون سـبب، لأن العنف لا ينتج إلا العنـف والدمار والتـخـريب، وكلما كانت قوة السلاح هى السـائدة كلما تبخرت الآمال فى البناء والتقدم.. ولعلكم تعرفون مـوقفى السياسى من الاوضاع التى آلت اليها بلادنا بعد الاستقلال الوطنى فى ١٩٦٧/١١/٣٠م وعلى وجه الخصـوص بعد الانقلاب على قـيادة الدولة الجـديدة فى يونيو ٦٩م قبل أن يكـملوا العامين.. لقـد كانت هناك مـؤامرة من قـبل قوى محليـة واقليميـة ودولية لأجهاض مـشروع الاستـقلال لعبت فيـها عناصر رئيسـية من الأخوان الشماليين الذين اسـتحوذوا على ٦٠٪ من المناصب العليا والوسطى والدنيا حتى المنح الجامعية و...

يقاطعه سيف محاولاً تغيير الموضوع بالقول:

هذا ليس موضـوع حوارنا يا ناصر والنبش فى الماضى لن يفـيد الوطن بشىء



يرد ناصر:

الموضوع الذى يناقش غير قابل للاجتزاء يا صديقى ولا تنسى أن عائلتك هى أكبر المتضررين بالأمس واليوم واحترم صمودكم وسماحة صدوركم.. ثورة الجنوب والاستقلال من حق شعب الجنوب فقط.. ومع أنى أرى بأن بعضكم يخجل من الحديث بهذه الأمور التى يجب عدم تجاوزها لأى سبب كان فإننا ولو طال بنا العمر بعد سنوات سنأتى نتحدث بندم عنها، ومن هنا أرجوا اعتبارى غير موجود بينكم.

يرد سيف متأسفا:

أنا آسف يا ناصر لم أقصد الاساءة أو التجاهل.. أرجوا أن تسامحنى أنا آسف وحقك علىَّ..

كان سيف يحاول النهوض من موقعه للذهاب إلى حيث يجلس ناصر وتقبيله على رأسه ولكن ناصر شاركه بالنهوض والتقيا بالوسط وتعانقا بحرارة وبدت علامات الحزن على وجه سيف اضافة إلى رقرقة الدموع فى عينيه وتبددت ملامح التوتر المفاجىء حينما طلب الحاضرون من ناصر مواصلة حديثه ولكنه اعتذر فرفضوا اعتذاره وبالذات عندما أقسم سيف اليمين بأن يكون الحوار مفتوحاً وشاملاً.. فواصل ناصر حديثه:

أنا آسف لكم وعفوا لصديقى سيف وعذراً لصاحب الدار على

الإزعاج.. المهـم وكما سبق وقلت إن هناك مؤامـرة على الجنوب واستقلاله الوطنى وبدأت ملامح هذه الثـورة مع أول حركة انقلابية ضد قيادة الرئيس قحطان الشعبى وحكومة فيصل عبداللطيف الذين تحولوا فجأة من ثوار وقادة وأبطال إلى خونة و.. و.. ومع رحيل فيـصل وقحطان رحل مـعهم خيـرة كوادر وقيـادات الوطن وكلهم جنوبيون ثم جاء عـهد سالمين الثائر والمواطن البسـيط وتآمروا عليه بحركة انقلابيـة وأصبح خائناً ومتآمراً ومـعه رحل عشرات الكوادر والقيـادات الجنوبية.. وخلال الحركـتين الانقلابيـتين لم يكن هناك شمالى من قيادة الحزب والدولة من الضحايا ثم جاء عبدالفتاح وهو شمالى من تعـز وتحمل المسؤولية لأقل من عامين أو أكـثر وأجبروه على الاسـتقالة وغـادر عدن إلى مـوسكو من دون تأثيـرات دموية وبعده كان على ناصر محمد وحاول أن يتخلص من ضغط وتدخل الأخوة الشـماليين فى شؤون الجنـوب من خلال مصالحـته مع نظام صنعـاء وعندما احـتدم الخلاف فـيمـا بينه وبين رفـاقه كانت لـغة الرصاص التى قصمت ظهر البعير كما تقول الامثال الشعبية أحداث ١٣ يناير ٨٦م وكانت أسوأ احداث شهدتهـا اليمن الجنوبى وبسببها سقطت أرواح ودماء قـيادات وكوادر من كلا الطرفـين ولم يتعرض أى شخصية شمالية بارزة للقتل أو الاعتقال باستثناء عبدالفتاح الذى حولوا قصة قـتله إلى لغز وقضية حتى أن رفاقـه عملوا على تعديل

قائمة الشهداء فوضعـوه على رأس قائمة الشهداء رغم أنها من حق على عنتـر كنائب لرئيـس الجمـهـورية والرجل الثـانى فى الحـزب الحاكم، ولأول مرة تقع أحداث دامـية وينجو منها الرئيس أى على ناصر مـحمد، بعـد تلك الاحداث برز التـيار الشمـالى فى الحزب والدولة يطالب بالاصـلاحات والديمقـراطية، والوحدة اليـمنية وهو تيـار نافذ فى كل مـوقع ونستـغـرب كيف تجـرأوا على طرح تلك الأفكار فى هذا الوقت بالذات؟!

بالطبع كانت جراءتهم نابعة من الفراغ الرهيب الذى حدث بفعل غياب أبرز وأفضل قيادات وكوادر الجنوب التى قتلت وشردت و.. بفـعل المؤامـرات التى قـادها ذلك التـيـار الذى تمكن من القـيـادة والتحكم فى مسارها حتى أوصلوا البـلد إلى مرحلة التيه بحيث لم يكن أمامـهم من خيـار سوى اللجوء إلى الوحـدة، وسيـأتى اليوم الذى نجد فـيه أفراد ذلك التـيار فى تضاد مع مـصالح أبناء الجنوب وربما يصـبـحـون جزء مـن النظام الجـديد بعـد تقليم أظافـر أبناء الجنوب.. أنا هكذا أرى الوضع واستـقرىء الأحداث وأتمنى أن لا أكون مجحفاً أو أكون مخطئاً فى تحليلاتى والعفو من الاطالة.

ثم يتحدث سعيد:

أنا شخصياً لا أختلف مع الأخ ناصر ولن نزيد على ما قاله غير إن الاوضاع الراهـنة قد خرجـت من تحت السـسـيطرة والمصيـبة أن



معظم قيادات الحزب والدولة مشغولة الآن بالبحث عن الأراضى والعقارات ومع توحيد النظامين سينشغلون بترتيب أوضاعهم وأمورهم وهنا يصبح المواطن هو الضحية الرئيسية وهذه ستمثل كارثة مؤلمة.

يتدخل أمين فى الحديث قائلاً:

عفواً أخ سعيد من التدخل أنا أريد أقول بإنه ليس أمامنا إلا المناقشة والتعبير عن غضبنا ولكن من دون تحميل أنفسنا أكثر من طاقتنا.. ولانختلف عن وجود مؤامرة ضد الجنوب واستقلاله.. أنتم تعرفون أنى كنت أكثر امتناعاً وتحفظاً فى الحديث عن السياسة والمناقشة فيها وطبعاً لاقتناعى الذاتى بأن تلك المناقشات لن تجدى بشىء فى السابق وربما اليوم وغداً ستصبح غير مجدية لأن الذى سيقوم بالوحدة هو نفسه الحاكم الديكتاتورى الذى حكم البلاد بقوة الحديد والنار وبسبب ذلك الحاكم القديم الجديد تخلفت بلادنا فى كل المجالات وأهمها الاقتصادية والمضحك أن هذا الحاكم يشترط اقتران الوحدة بمنهج الديمقراطية وهو يحاول الاساءة للشعب أو الضحك عليه.. أنا بصراحة أضحك عندما أسمع حكام الامس واليوم وهم يتحدثون عن الديمقراطية وكأنهم كانوا يتعاملوا معها فى سلوكياتهم الخاصة والعامة.. المهم لو أننا فكرنا بالوضع الراهن وحاولنا التنبؤ بالمستقبل لاكتشفنا أن اليمنيين فى كلا الشطرين هم

الأكثر تضـرراً بل وسيتضـررون أكثر وأكثر بعـد الوحدة ولكن ربما بدرجة أساسية شعب الجنوب لأسباب قد سبق وتحدثتم عنها قبلى.

يتوقف للحظة يتناول فيها قليلاً من الماء ثم يواصل حديثه:

البلاد - شـمال وجنوب - يفتـقر إلى رؤية استـراتيجيـة شاملة ومحـددة منذ ثورة ٦٢م والاستـقلال ١٩٦٧م ونتيـجة لغـياب تلك الرؤية أصبـحت البلاد تتـخبط مما افـقدها قدرتهـا على الاستـقرار العام.. هناك ثـورات أخرى فى بقيـة العالم تحركت وتـفاعلت فى مسيرتهـا وما أن حققت الاستقرار العـام فى كل مناحى الحياة حتى أتجهت لتغيير أهدافها وبرامـجها بما يتواكب مع المتطلبات والمتغيرات المحلية والاقليمـية والدولية فبلغت مـستويات عالية حـتى أصبحت قوى اقتصـادية وسياسية وعلمية دولية يحـسب لها ألف حساب.. فإذا كـانت الثورة هى عـملية تغيـير شاملة فـإنها كـانت فى اليمن عمليـة دموية.. كانت كالحلقـة المفرغة التى تدور حول نفـسها ولا تستطيع أن تحدد نقطة توقفها أو نهايتها.. بقية الثورات تجدد نفسها من خلال تجديد وتغيـير أهدافها وبرامجهـا والثورة التى لا تستطيع تغيير نفسها لا يمكن لها أن تتطور أو تتقدم.. والثورة اليمنية وبعد أكثر من ثلاثين سنة يعنى عمر جيل غيرت إمام بإمام، صحيح أنها أحدثت تغيـيرات فى بعض الجوانب ولكنها تغـييرات لا ترتقى إلى مستوى تطلعات وطموحات الشعب.



وأهم تغيير يفترض أن يتم هو فى المجال الاقتصادى والعلمى والدولة التى تعتمد فى سياساتها الاقتصادية على القروض والهبات والمساعدات الخارجية لا يمكن أن تفعل أو تحقق شيئاً، وأعنى هنا أنه الاعتماد على النفس مثلاً نحن نقول الرجل الحقيقى هو الذى يبنى أسرته بالاعتماد على ذاته.

يتدخل هارون متسائلاً:

وهل ابن الجنوب غير قادر على بناء نفسه بالاعتماد على ذاته؟ وهل هو مسؤول على ما حدث له وما سيحدث له؟

كان أمين يصوب عينيه فى اتجاه ممدوح وسيف وحمزة لعلهم يريدون التعليق أو الاجابة عن تساؤلات هارون ولكنه قرر مواصلة حديثة قائلاً:

كل شعب لو أمتلك ارادة سياسية نظيفة وعقلانية وادارة علمية واقعية يمكنه تحقيق وفعل كل شيء.. أما المسؤولية فهى مشتركة.. كيف؟ الذى حكم الجنوب هم من الجنوب ومن الشمال أيضاً، وهؤلاء الحكام خرجوا من أوساط الشعب وليس من القمر أو المريخ أو المشترى.. لكن الصمت الذى التزموه تجاه ظلم وقهر حكامهم هو سبب المعاناة وهنا تبرز ظاهرة الطاعة العمياء وهى الظاهرة القاتلة للأمة الاسلامية جمعاء من دون استثناء ومن هنا لا نريد فلسفة الظواهر والاحداث فى الوقت الضائع خصوصاً وأن



هناك تباين فى الرؤى والافكار وذلك التباين شىء طبيعى ولو ان حكومات الثورة والاستقلال كانت قبلت أو انتهجت بتعدد الآراء أو الديمقراطية لما كان حدث كل هذا، وشخصياً كنت أتمنى لو أن حكومة الجنوب أصدرت عفواً عاماً عن خصومها وفتحت المجال لتلك القوى بالعمل العلنى قبل اقدامها على توقيع اتفاقية الوحدة ولا أعرف كيف فاتت عليهم مثل تلك الأمور الهامة؟ لقد كانت هناك فرص ثمينة يصعب تعويضها فى الوقت الحاضر أو القادم.. وما يخطط له من قبل قيادات الشطرين لن تتحقق كما أنه لن يكون هناك خاسر أو رابح لأن تلك القيادات أقدمت على التوحد على أساس حسابات خاصة بهم قائمة على الربح والخسارة وطبعا هذه وجهة نظرى الشخصية ويا ليتنى أكون خاطئاً.

يتدخل والد أمين قائلا:

قبل الاستقلال عن بريطانيا فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م كنا نتمنى اليوم الذى فيه ترحل بريطانيا عن بلادنا لأننا كنا نريد بناء وطننا بمجهودنا وامكانياتنا وما أن تحقق الاستقلال صبرنا لعل الأوضاع تستقر وتبدأ عملية البناء الشامل فخابت آمالنا وتشوفت أحلامنا فكان الاحتكار الحكومى والتأميم ومنع الديمقراطية وأصبحنا بعدها نترحم على الماضى ونتمنى العودة إليه إلى زمن الاستعمار البريطانى، واليوم كالأمس... فقد يحصل لكم كما حصل لنا وأنا



من خبرتى الطويـلة في الحياة فإني أترحم عليكم حيـنما يأتي اليوم الذي ستترحمون فيه على العهد الاشتراكي بعد تحقيق الوحدة. . . والله مـا ندري لما كل هذه العجلة وفي العـجلة الندامة؟ ألا يـفهم القادة أن حياة الشعب ليست هينة حتى يتعجلوا في اقتيادهم لمشروع غير مخطط.

ويواصل حديثه بالقول:

في توحيد الإمارات والمشيخـات والسلطنات يعود الفضل الكبير للجبـهة القـومية التى قـادت الثورة وحقـقت الاستـقلال الوطني، ،وكانـت معـجزة أن تتـوحد تلك الإمـارات والسلطنات (٢١) في إطار دولة واحدة، هذا في الجنوب أما في الـشمال فكان يحكم من قبل أسرة حـميد الدين، حينهـا كان الناس يعتمدون عـلى انتاجهم وكانت عـدن نقطة التقـاء التجـارة العالميـة واحتل مينـاؤها الدرجة الثالثـة في العالم. ومادريـنا ما حصل لنا بعـد الثورة والاستـقلال فـاهلمت الزراعة والتـجـارة وأصبـحنا نستـورد لبـاسنا وأكلنا من الخارج. .

وزمان كان المظلوم يستطيع استرداد حـقه إما بالتراضى والتحكيم القـبلى أو حكم القاضى. . . كـان الأميـر أو الإمام يرسل رسـول واحد لاحضار المطلوب واليـوم ترسل له أطقم عسكرية مع وجوب الدفع لرجـال الأطقـم. . . رغم أن هذه الثـورة رفـعت شـعـارات

مكافحة الظلم وتحقيق العدالة والمساواة والحرية.

بعد مفـاوضات طويلة وهشه وقعت قيـادتى شطرى اليمن على اتفاقـية ٣٠ نوفمبـر ١٩٨٩م فى مدينة عدن وحدد لإعـلان الوحدة الاندماجية خلال عام من ذلك التاريخ ثم اخـتصرت إلى ستة أشهر ومن دون مبررات مقنعة من قـبل القيادتين وتوسعت الحوارات التى شملت تفاصيل الاندماج وطبيعة النظام الجديد لدولة الوحدة وأيضا طريقة تقـسيم المغـانم والمناصب.. ثم كانت الوحـدة يوم ٢٢ مايو ١٩٩٠م والإعـلان عن تأسـيس الجـمهـورية الجـديدة بعلم واحـد ودستور مؤقت واحـد ومجلس رئاسة وحكومة ائتلافيـة بين قيادتى الشطرين ونالت اعـتراف اقليـمى ودولى واسع وتوقع المواطنون أن تتحسن أوضاعهم فى ظل الدولة الجديدة مما أعطوها دعمهم لها كما توقعوا أن تتوحد القيادتان تحت مظلة حزب واحد.

فى هذه الاثناء كـان أمين قد نجح فى وضع فكـرة لدفع عائلات سعـيد وسمـير وسحـر وفيـفى للاعتراف بزيجـات أبنائهم وبناتهم وأشهارهـا كخطوة أولى ثم اتجه لمعالجـة مشكلة سحر مع أصـحاب عملها والتكفل مع سلمى بدفع ما تبقى من قيمة شقتها وتحرير عقد فيما بينهم وبين سحر بشأن طريقـة تسديد المبلغ المستحق عليها بعد أصرار سحر على وجود ذلك العقد وتصادف استلامها لوثيقة تمليك الشقـة مع يوم وضعهـا لمولودها الأول - أنثى - وقرروا تسـميتـها

باسم سلمى فى الوقت الذى كانت فيفى تعمل مع هارون فى وظيفة اضافية حتى توقفت عن العمل بعد الولادة مع استمرارها فى مواصلة الدراسة وقد أبلغت أمين بانها تواصل كتابة بقية مذكراتها تكملة للمذكرة الثالثة والأخيرة.

فى ذلك الوقت حصل سيف على موافقة مؤسسته بمنحه إجازة مفتوحة لمدة سنة فقط، كما انتقل صلاح وممدوح وفضل وحمزة للعمل فى صنعاء ثم لحقتهم هناء بعد انفصالها عن صلاح وزواجها من أحد أقاربها الذى كان يعيش فى صنعاء أما فيفى فقد أبدعت فى عملها وأحدثت تغييرات ايجابية فى مكتب أمين وشكلت مع سيف ثنائى متميز ومتجانس وبالذات بعد تعيينهما أعضاء بمجلس الادارة وكان أمين مسرور من ذلك الثنائى وأحاطهما برعايته واهتمامه وكذا من جانب والده حتى أصبح سيف وفيفى أكثر المدراء المقربين لأمين ووالده.

الفصل السادس

بعد الوحـدة بأشهر قليلة بـرز الصدام بين قيـادات الدولة الجديدة وتعطلت بعض البـرامج والأهداف وبرغم حوارتهم واتفـاقاتهم فـقد كانت الخلافـات قائمة ومعـروفة وهى نتيجـة طبيعية لـوضع الشركاء وعلاقاتهما قبل الوحدة.

وأبرزت تلك الخلافـات عن ظهور أفكار ورؤى مـتباينة تعـبر عن مدى الخلاف المزمن مما ساعد على انتاج تحالفات سياسية جديدة تبنتها تلك القيادات وفـقاً لحسابات سيـاسة خاصة لها.. كـما انتجت تلك الخلافـات عن بروز ظاهرة الخوف الجنوبى من الشـمالى والعكس.. فإبن الجنوب هو أول من تضرر حـينما تخلت الدولة عن مسؤوليـتها امامه حيث كـان يعتمد عليها كـاملاً فى كل المجالات.. وبعد ثلاث سنوات من الوحدة اجريت انتخابات برلمانية ولكنها لم تكن ديمقراطية بالمفهوم المـتعارف عليه وهذا ما أوضـحته النتائج التـى أظهرت صورة تشطيرية جديدة.. فالحزب الحاكم للجنوب سـابقاً فاز فى كل مقاعد المحافظات الجنوبية بيـنما فاز الحزب الحاكم وشـريكه القديم الجديد- تجمع الاصلاح اليمنى - بكل مقاعد المحافظات الشمالية وكانت تلك النتائج بمثـابة العودة إلى أوضاع مـا قبل الوحدة حـتى كانت نهايتـها بحرب أهليـة صيف ١٩٩٤م استمـرت لأكثر من شهـرين «٧٧ يوماً» وأثمرت عن سقوط الشريك الجنوبى واكتساح أراضى الجنوب من قبل الشريك الشمـالى وحلفائه.. وأدت تلك الحرب إلى سقـوط ضحايا

وجرحى بالمئات وتشريد العشرات وتدمير المنشآت العامة والخاصة وخسائر اقتصادية باهظة.

سجلت سحر تلك المرحلة في مفكرتها وقد سلمتها لأمين بعد الحرب بعام وكان أمين قد قرر عدم قراءة المفكرة الثالثة إلا بعد اتمامها من سحر.. وبعد أن تسلمها عكف على قراءتها:

● في أحد الصباحات من شهر ديسمبر ١٩٨٨م وحينما كنت أراجع بعض الملفات الخاصة بالعمل دخلت عليَّ رئيسة الجمعية وصديقتي زينب من دون إشعار بل ولم أكن أتوقع حضورها بفعل غيابها بسبب مرضها الطارىء فسلمت عليَّ وسألتني عن أخباري وصحتي بفعل الحمل وبعد معانقتها وسؤالي لها عن صحتها أخذت أحد المقاعد المواجهة لمكتبي ثم فاجأتني بحديثها التالي:

خلاص مبروك عليك، في البارحة حضرت اجتماع مجلس أمناء الجمعية وقدمت طلب ترشيحك للدراسات العليا وقد وافق المجلس بالاجماع، ولهذا حبيت ابلاغك بنفسي لأكسب الثواب منك من خلال دعواتك الطيبة والصادقة.

لم أصدق ما سمعت فنهضت من مقعدي وتوجهت نحوها فألقيت نفسي في حضنها باكية من الفرح والسرور وعندما كنت في حضنها نسيت نفسي وكأني في حضن أمي أو كأني في شوق كبير لها، فاحتضنتني بحرارة وقبلت رأسي ثم دفعتني وساعدتني على أن

تجلسنى أمامها وقالت لى:

أنت تستحقى كل الخير وبموقفك هذا خلقت فى نفسى شعور الأمومة والحنان والعاطفة التى افتقدها كثيراً، اليوم أو غداً سأقوم بزيارتكم ونفضفض مع بعض وقبل ذلك سأتصل بك.

تلعثم لسانى وتوقفت عند الكلمات التالية:

ربنا يسعدك ويوفقك واقدر أرد لك هذا الجميل.

● لأول مرة أحس بحيوية فى العمل والمثابرة، تكلمت مع سمير وأبلغته بالخبر ثم تكلمت مع فيفى وسعيد وأسرتى وخصوصاً شقيقتى الوسطى.. بعد ساعتين من زيارة زينب لى فى مكتبى كنت على موعد رسمى مع زينب لمناقشة بعض أمور العمل التى استمرت مناقشتنا إلى الساعة الرابعة عصرا وقد اعتذرت لسمير عن التأخير وشرحت له السبب واقترحت عليه أن يحضر لنا الغداء من أى مطعم ولكنه فاجأنى بعد عودتى من العمل بأن أعد هو الغداء.

بعد تناولنا الغداء أغتسلنا وتوجهنا لزيارة عائلتى وتناولنا العشاء معهم وتلقينا اتصال من شقيق سمير وأخبرنى بأنه اتصل بنا فى البيت ولم يجدنا لأنه كان يريد زيارتنا مع الأولاد والاطمئنان على صحتنا وقد سررت كثيراً من هذا الاتصال.

قبل عودتنا إلى الدار مررنا على فيفى وأخذتها معنا ثم مررنا على سعيد لاصطحابه معنا لأننى كنت أريد أن نقضى تلك الليلة فى

الدردشة لكونى سأكون فى اجازة باليوم التالى وأود أن تكون فيفى معى لتوانسنى بعد أن تقدمت بطلب لاجازة طارئة تحت عذر موعد مع طبيبتى.

● قضينا ليلة ممتعة شعرت فيها لأول مرة بعبق الحرية خصوصاً أن ما حصل معى بعد التحاقى بوظيفتى كانت بمثابة مركز اعتقال مؤبد. وفى اليوم الثانى نهض سمير وسعيد مبكرين فى اتجاه أعمالهما دون أن نعد لهم الافطار لأننا - أنا وفيفى - تسامرنا حتى آذان الفجر، وفى الساعة الثانية عشر ظهراً تناولت مع فيفى الفطور الخفيف وذهبنا بعده إلى العيادة الطبية وقابلت الطبيبة وبعد الفحص والتأكد من سلامة حملى نصحتنى من زيادة أكل الفواكه والخضروات مع منحى بعض الأدوية المغذية مثل فيتامينات الحديد وأعطتنى اجازة طبية لمدة أسبوع بهدف الراحة ثم اقترحت على فيفى اجراء بعض الفحوصات الطبية ثم أبلغتها الطبيبة بأن وضعها الصحى سليم وأما بقية الفحوصات فسوف تظهر خلال أسبوع ولكنها نصحتها بتحسين مستوى التغذية.

ولأنى أعرف الطبيبة منذ تزاملنا فى الجامعة وهى من أحد الأحياء القريبة لحينا وبيننا علاقة طيبة دعوتها لزيارة منزلى على وجبة غداء أو عشاء ولكنها شكرتنى فأصريت على دعوتى وقبلتها على أن تحدد لاحقاً لكونها ستكون فى اجازة سنوية ثم اشترطت علينا أن نرد على

زيارتها لنا بزيارة لنا اليها بعد ذلك فقبلنا الشرط.

وأستأذنتهـا فى اجراء مكاملة تليفونية من مكتبهـا إلى مقر عملى فقمت فى الاتصال بصديقتى رئيسة عملى زينب وأبلغتها بخبر الطبيبة ومنحها لى إجازة طبية لمدة اسبوع وسألتها عن وعدها لى بزيارتى هذه الليلة فردت علىَّ بالاطمـئنان والسلامة وأكدت أنها سـتكون حاضرة إلينا فى السـاعـة السابعة والنصف مع احـدى صديقاتها التى سـتحل مكانى بعد تركى لعملى لأنها ترغب بالتعرف علىَّ خارج اطار العمل وقبل الاستـلام والتسليم لمهام عملها والذى هو أيضـا عملى السابق، فسررت ورحبت بها ثم شكرت طبيـبتى واسمها «ناهد» وودعناها فى اتجاه السوق لشراء بعض المتطلبات وفى السوق التـقينا شقيق سمير - عبدالقادر - وابنته دنيا وأبنه عبـدالكريم وهو بالمناسبة خطيب شقيقتى الصغرى - مريم - ومن دون إرادة ألقيت نفسى فى أحضان عبدالقادر الذى تعامل معى كـأخت وابنه وأدركت ذلك عندما رأيت الدموع فى عينيه تكاد تقفز ولكنى تعاملت مع وضـعه بأن سحبته من يده وأدرته إلى الخلف طالبة منه مرافقتى إلـى البيت وتناول الغداء معنا ثم عدت إلى دنيا وشقيقها واحتضـنتهم بفرح واتجهنا معا لشراء بعض المتطلبات التى أصر عبدالقـادر على دفع قيمتها بعد ساعة مـن التسوق الجماعى رافقنا عبدالقادر وأولاده إلى الدار وبعد تناوله للعـصير ورفضه للبقاء فقد قبلنا عذره شرط أن يترك دنيـا وعبدالكريم معنا، وقبل أن يغادرنا

عبدالقادر وكنت فى وداعه علـى الباب ناولنى يده مصـافحا مـودعا وفيها مبلغ مالى يقدر بعشـرة دنانير وقبل أن أرفضها أو أرد عليه قال لى:

برأس سمير ودنيا التى تعتبر كأبنتك لا ترفضى هديتى لك، أعرف إننا مقصـرون معكم ولكنى على أمل بأن الأيام القادمة سـتكون أكثر سعادة وفرحا لكم ولنا جميعاً.

قلت له بخجل:

دخلتك علينا تسـاوى كنوز الدنيـا بالنسبـة لنا، نحن والحمـد لله أوضاعنا مستورة ولو أحتجنا فلن نلجأ إلا لك.. ولهذا فأنا..

لم يدعنى أكمل حتى قال لى:

إذا أنتِ لا تعزى سمير ودنيا.

رديت عليـه ودمـوعى قـد خـرجت من عـيـونى وأنسـابت على خدودى:

لا أسـتطيع إغـضـابك فـأنت أول الاعـزاء وطلـبك على العـين والرأس.

تلاحظ دنيا الحـوار بينى وبين والدها وأقبلت نحـونا وربتت يديها على أكتافى وترجتنى أن لا أعيق عودة والدها إلى المنزل ولا أكسفه أو أحرجه برفضى لهديته، ثم مسحت دمـوعى بيديها الحانيتين وفاجأنى والدها بدعوتنا لتنـاول العشاء ليلة رأس السنة فى منزله، فـردت عليه

دنيا بالموافـقة نيابة عنى وهى ترافـق والدها إلى السلالم لتودعـه بينما كنت واقفة فى مكانى أمام البـاب احاول التخلص من آثار الدموع ثم تعود دنيا وتغلق الباب خلفها وتدفعنى إلى غرفة الضيوف وطلبت منى الجلوس بينما هى ستقوم باعداد وجبة الغداء قـبل حضور عمها سمير وسعيد.. وتقوم فيفى ومعها دنيا فى الاعداد لوجبة الغداء وبقيت مع عـبدالكريم نتكـلم عن موضـوع دراسته وأخـبار تواصله مع مـريم فأخبرنى أنه متواصل معها عبر الهاتف وآخر مرة قابلها قبل عشرة أيام وبالصدفة فى سوق «الطويلة» بمدينة كريتر، فسألته ان كان يحبها بحق ومستعد للتضحية من أجلها وهل هى تبادله نفس الشعور؟

فأجبنى بخجل وهدوء:

أنا بكل صراحة أحبها وهى أيضا تحبنى وكلانا مستعد للتضحية من أجل حبنا واستمراره ونموه..

أقاطعه بهدوء:

وهل علم جدك وجدتك.. وماذا كان رأيهما ؟

أجابنى:

لم نتمكن من مفـاتحة جدى حتى اللحظة أما جدتى فـقد فاتحناها والتـزمت الصمـت وهذا يعنى أنها لـن تعارض ولكنهـا لن تسـتطيع مفاتحة جدى.

فسألته مرة ثانية:



وهل تعتقد أن جدك سيقبل الأمر؟

رد عليّ بثقة:

لابد وأنه سيأتى يوماً يقتنع فيه، أنت يا عمتى العزيزة، تعرفى أن عمى سمير عنيد وعصبى وهو لا يجيد فن الحوار مع جدتى وجدى..

فختمت حوارى معه بالقول:

لا تخف.. فمريم من نصيبك وسأعمل قدر المستطاع على تذليل كل الصعوبات التى تواجهكما.. وعليك اليوم وبعد الغداء أن تدعوا مريم للخروج والفسحة وخد معك دنيا إن شئتما، وأنا سأتصل بها الآن وأدعوها للحضور.. ويوم الجمعة القادمة تأتى إلينا لنذهب معا إلى بيت أهلى لتتعرف على بقية العائلة وممكن تأتى دنيا معك حتى والديك أن أرادوا ذلك.

يرد عبدالكريم فرحاً:

كم أنت عظيمة يا عمتى.. ربنا يخليك لنا ويسعدك ويهدى سريرتك ويرزقك بأولاد صالحين.

نتناول الغداء بعد حضور سمير وسعيد ثم يتركونا لأخذ قسط من الراحة وأخبرتهم انهم يجب أن يغادرونا قبل الساعة السابعة والنصف لأن زينب وصديقتها سيأتون الينا ويتعشون معنا، وفى غرفة النوم وبينما كان سمير يحضر نفسه للنوم حدثته عن ما حصل لى مع أخوه

عبدالقادر ثم ابتسم وقال لى:

عبدالقادر أخى صاحب قلب طيب وحنون وهو أكثر إخوتى المقربين إلى قلبى وعقلى.. والاهم من ذلك لا تضخمى من تعامله معك لأنى إعرفك كثيرة التحليل والتفسير..

● تحضر زينب ورفيقتهـا فى نفس الوقت ويبدأ التعارف فيما بيننا وقد ارتحت بالتعرف على الـرفيقة الجديدة - فاطيمـا - وكذلك فيفى وقضيـنا سهرتنا إلى الساعـة الحادية عشر ليـلاً واتفقنا على أن تكون زيارتى وفـيفى إلى زينب فى الخـميس الأخـير من شـهر ديسـمبـر، وطلبت منى زينب الورقة الطبية الخاصة بالاجازة وبلغتنى بالموافقة.

لأول مرة تمضى فيـفى ومعها سعيـد معنا لأربعة أيام متتاليـة كما يقرر عـبدالقادر أن تبقـى دينا معنا حتى تسـتقر صحـتى،وعرفت أن شقيقـتى مريم تريد أن تبقى معنا ما دام دنيا ستـبقى وقد وافقت على قراراتهما.

● بعد شـهر من لقـاءنا بضابط الأمن «سـامح» استـدعى سمـير وسعيد لتناول القات معه وأكـد على ضرورة حضورى وحضور فيفى معهم وذهبنا معـا، قبل ذلك لبيت دعوة عبدالقـادر فى حضور حفلة رأس السنة الميلاديـة التى أقامهـا فى بيته علـى شرفنا وسعـدت جدا عندما تعرفت على عـائلته والشقيق الأصغـر لسمير وزوجتـه وقضينا ليلتنا هناك حيث نمت مع سمـير بغرفة عبدالقادر وزوجـته حتى ظهر

اليوم الثانى وتناولنا الغداء معهم ثم غادرنا عائدين إلى منزلنا ومعنا دنيا ثم ذهبنا إلى بيتنا وسلمنا على أهلى وتركناهم فى الساعة الثامنة مساء ومعنا مريم.

فى ليلة رأس السنة ومع الحوار تعرضنا لموضوع مريم وابنة عبدالكريم وطلب منى عبدالقادر الاتفاق مع أسرتى لتحديد موعد الخطبة، وعندما فاتحت والدتى واخوتى تركوا الأمر لعبدالكريم ولكنى تدخلت ووضعت نهاية شهر يناير كحل وسط، وقبل الجميع مقترحى.

بعدها تقدمت أنا وفيفى وسمير وسعيد بطلبات متفرقة إلى كلية الاقتصاد والادارة للالتحاق بالدراسة لنيل شهادة الماجستير، وفى نفس اليوم عدت إلى مقر عملى والتقيت بزينب من دون موعد وأخبرتنى أنها مشغولة بعملية ترتيب وضعى، وهى تفكر أن تبدأ اجازتى من سبتمبر ٨٩م وخلال هذه الفترة سأمنح اجازتى المستحقة وهى لمدة ثلاثة أشهر مع شهرين اجازة طبية وستصدر قرار بتعيينى مستشارة مالية وادارية لمجلس الادارة وهى وظيفة مؤقتة وليس عليها واجبات جسيمة مثل الحضور والعمل المكتبى وقد قبلت مقترحاتها بسرور وشكرتها على وقوفها الإنسانى والصادق معى.»

يتوقف أمين عن القراءة ويرفع سماعة الهاتف طالباً سيف باعتباره على علاقة جيدة مع والد سمير ويسأله إن كان يستطيع رؤيته خلال

اليومين القادمين، ويوافق من دون معرفة السبب. يغادر مكتبه الصغير ليتناول العشـاء مع أولاده وسلمى ثم يسأل سلمى عن أخبار شقـيقها أسعد وهل لازال على موقفه بعدم العمل معها أو معه؟ وهل تتواصل مع أسرتها وتهتم بهم! ولكن سلمى ردت عليه بصورة هادئة:

أخى أسعد أعـرفه.. هو عنادى وطموح أكثـر من اللازم.. وقد عرضت عليه الموضوع أكثر من مـرة ولازال العرض أمامه قائم. وأما الشق الثانى من سـؤالك فكل شىء جيـد وعلى ما يرام وفيك الخـير والبركة بالسؤال عن أسرتى.

يجيبها أمين والابتسامة تعلو ملامح وجهه قائلاً:

أنا واثق من ذلك وما أقصـده ان الاوضاع القادمة سـتصعب على الشباب فى الحـصول على عمل.. وبدلاً من بقاء أسـعد بدون عمل وفـائدة فلماذا لا نفكر فـى مسـاعدته هذا من نـاحيـة ومن الناحيـة الأخرى اخـراجه من دائرة الاحـلام إلى دائرة الواقع..؟ المهم فكرى معى كيف نستطيع مساعدته؟

بابتسامة رقيقة معبرة عن الحب والتقدير ردت عليه:

سأحـاول من جانبى وأنت حاول من جـانبك لكن قل لى.. إلى أين وصلت مع مذكرات سحر؟

يعلق أمين:

فى المذكرة الثـالثة.. وحالما أكـملها سـأشرح لك كل محـتويات

المذكرات وقد وعدتك وأنا عند وعدى بأن تكونى أول انسان يطالعها بعدى أو يعرف محتوياتها.

تقول سلمى:

هى بحاجة إلى مساعدتنا وأنت بالطبع صاحب واجب يعرف كيف يتعامل مع أصدقائه والآخرين.

وفى لقاء سيف مع أمين يدور حوار حول علاقة سيف بوالد سمير وهل يمكن لهما أن يقوما معا بواجب اصلاح اوضاع علاقة سمير بوالديه وبالذات أن سحر متأزمة من حالة التوتر بعد وضع مولودها الاول من دون مباركة والدى سمير أو القبول بالأمر الواقع، فرحب سيف بالفكرة وبادر إلى الاتصال بوالد سمير وطلب زيارته وتناول القات معه وبرفقته أحد أصدقائه ومن دون مناقشة وافق والد سمير على الطلب مع اشتراط أن يتناولوا الغداء عنده، فرد سيف بالموافقة والقات على حسابه.. يفرح أمين ويخبر سيف بأن لا يبلغ أحد عن ذلك خصوصاً سمير وحدد موعد الزيارة فى أول جمعة من شهر أكتوبر ١٩٨٩م.. تصادف هذا الموعد بعد شهر من ولادة سحر لمولودها «أنثى» سلمى.. يتم اللقاء ويحضر سيف مع أمين إلى دار الحاج سالم والد سمير ويتناولان الغداء بعد التعارف بين أمين والحاج سالم ثم يبدأون جلسة القات ثلاثتهم وبعد نصف ساعة من مضغ القات وما أن أزيلت الحواجز بين الحاج سالم وأمين يقطع الصمت

سيف موجهاً حديثه إلى الحاج سالم بالقول:

يا عمى أبوعبدالقادر.. هناك موضوع يريد أخى وصديقى أمين أن يتحدث به معك وأتمنى منك أن تسمعه.

يرد الحاج سالم بتلقائية:

وماله.. أهلاً وسهلاً.. أنا فاتح قلبى لكم وكلى آذان صاغية..

يعلق أمين:

لا أعرف يا عمى كيف أشكرك؟

الحاج سالم يجيب:

لا داعى للشكر.. تفضل ومن دون خوف أو حياء.

تسود لحظة صمت، كان الثلاثة يتبادلون النظرات والابتسامات فتشجع أمين وقطع تلك اللحظة قائلاً:

بدايةً أنا سعيد بالتعرف عليك ومن ثم إن ضيافتك لنا اليوم قد خلقت بيننا الود القائم على العيش والملح، والأهم من كل ذلك أنك بمثابة والدنا ولك منا الاحترام والطاعة.

«ونعم الاخلاق.. يقول الحاج سالم».

أنا بكل صراحة من طلب من سيف أن يرتب هذا اللقاء الممتع والتاريخى وبالتأكيد ستليه لقاءات أخرى عندى وعند سيف وعندكم.. المهم يا عمى أنا أود مفاتحتك بموضوع قد تشعر بأنه لا يخصنا ولكننا نشعر بأنه يخصنا ومن واجبنا البحث فيه.. نحن - أنا



وسيف - زملاء دراسة وأصدقاء حميمين لولدكم سمير ونحن أيضاً نتشرف بصداقته.

«حاول الحاج سالم المقاطعة.. لكن أمين ترجاه أن يسمعه للآخر ثم يرد عليه مع الاعتذار له مقدماً عن توقيفه عن الحديث».

أنت محق فى مقاطعتك لسمير ولكن بعد كل هذه السنوات وقيامه بتسجيل زواجه ثم إنجابهم لأول مولود كان يفترض أن تنتهى المقاطعة.. فسمير مهما كان هو ابنك ولا تستطيع التبرؤ منه وهو لا يستحق المقاطعة منك كل هذا الوقت خصوصاً لو عرفت أن أم سلمى حفيدتك من أسرة طيبة ونعرفها جيداً ونثق بأخلاقها وهى زوجة مثالية وتحب سمير كما يحبها هو ايضا اكثر.. ويكفيك فخراً انهم بنوا انفسهم بانفسهم ولو كان حصل لغيرهم ما حصل لما استطاعوا فعل شىء.. أنا اتفهم جيدا موقفك ولكنى اليوم أسأل فيك روح الأبوة التى غمرتنا بها اليوم وهى التى يحتاجها سمير أكثر منا.. وعلى فكرة أنا وسيف أتينا اليك اليوم من دون ابلاغه لأننا لا نريد أن نشعره بأن هناك وسيط فيما بينكم.. طبعا نحن نحاول أن نثير فيك نوازع الأبوة.. ولتعتبر أن سمير كان عاقا خلال هذه الفترة ثم انعدل حاله وهداه ربنا إلى الطريق المستقيم فهل يعقل أن ترفض عودته إلى حضنك.. لا أعتقد انك ممكن ترفض فلماذا لا تعامل سمير على هذا الاساس؟

بعد ان توقف أمين عن الحديث تحدث الحاج سالم بلهجة حادة:



لم أكن أتوقع مفاتحتكم لى عن موضوع سمير.. يا أولادى.. سمير شوه سمعتنا وجعل الناس تشمت فينا وبتربيتنا له، سمير لم يفاتحنى بموضوع زواجه إلا بعد الزواج ولما سألناه عن سبب اخفائه عنا للأمر رد علينا انه كبير ويعرف كيف يتصرف وهو وحده يتحمل نتائج فعلته.. فقلت له: مادمت كذلك فلا تعتبرنى كبيرك من الآن ولا أريد التعرف أو الاعتراف بزوجته رغم سؤالى بعد ذلك عن أصلها.. وخلال هذه المدة كان يعاندنى فى عدم مناقشتى بموضوعه وكنت أتمنى لو أنه فعل ذلك.. سمير عندى من صغره والمشكلة أنه كان خاطب احدى بنات إخوتى ولم يراع ذلك وكيف سيكون موقفنا رغم تفهم أخى لذلك وتناسينا أمر خطبته من ابنة عمه وكم من مرة يأتى الينا ولا يحاول مفاتحتنا.. لذا قلت الله معه وربنا يهديه.

ويضيف الحاج سالم: صحيح أنا كنت قاسى معه لكن عناده لم يساعدنى على تناسى الأمر.. ولعلمكم أكثر من مرة أطالبه بزيارة أهلنا فى القرية وهو يرفض، ولو أنه عملها وذهب مع زوجته لهون علىَّ بعض الأمور.

يقاطعه سيف بابتسامة ولهجة هادئة:

لكن يا عمى بعد كل هذه السنين ألم تشتاق إلى سحر وخصوصاً بعد ولادتها؟ ألم تشتاق إلى رؤية حفيدتك الجديدة؟! خصوصاً وأنا أعرف بأنك صاحب قلب كبير.

يرد الحاج سالم:

أنا صحيح قاطعته وأيضا أمه وبعض إخوته ولكنى كنت أعرف أن بعض إخوته يتواصلون معه ومع زوجـته وبمعرفتى ومن دون اعتراض فالبنت أصبحت من عـائلتنا شئنا أم أبينا ولكنى كنت ولازلت أرغب فى اعادة تربيته.

يتدخل أمين:

أعتـبر أن الأمـر الذى تريده تحقق ونحن نضـمن لك ذلك فبـماذا تنصحنا ان نعـمله؟ وصدقنى أننا لا نسعى من ذلك إلا اعـادة الامور إلى طبيـعتها.. نحن مـستعدون لإجـباره بالحضور مع زوجـته اليك وطلب العفو والسماح منك ومن أم سـمير.. أنت قل لنا ما يرضيك وسنعـمله وإذا كنـت لا تريد منا التـدخل فنحن لن نـخـذلك ولكننا نترجاك ونتوسل إليك واعتقد ان سمير قد تغير خلال الفترة الماضية.

ويضيف سيف:

وعندما تتعرف إلى سـحر فلن تندم على اختيار سمـير لها.. إنها ربة بيت محترمة وذكية ومكافحة، وصحتها تتطلب حنانكم ورعايتكم لها.. ثم مـا ذنب سلمى البريئـة من حرمانهـا من حنانكم وعطفكم ودفئكم.

بعد لحظات طويلة من الصمت دامت لأكثر من نصف ساعة وبعد أن قطعهـا أمين بسؤال الحـاج سالم إن كانوا ضيـوفاً ثقال عليـه فهم

يطلبون عفوه والسماح لهم بالمغادرة وكأن شيئا لم يكن.. فيرد الحاج سالم:

بالعكس أنتم أجمل وأرق ضـيوف بل وأطيب شباب عـرفتهم.. أنتم على العين والرأس ولا استطيع خذلانكم وما أريد قوله لكم إنى أحب سمير وأتمنى له الخـير والسعادة والاستقرار.. وبيـتى مفتوح له ولعائلته بأى وقت، ولا أريد منه أن يعتـذر لى ولأمه وإخوته حتى لا يشعر بالحرج، أنا مسامح يا أولادى والذى تشوفوه أنتم مناسباً اعملوه ولا تنسوا أنه عنادى ومعتز بنفسه أكثر من اللازم.. هو يريد يشعرنى بأنه راجل يعتـمد عليه وأنا اعتـبره طفلاً وأريده مثل إخـوته الآخرين تحت رعايتى لأنى أحبهم وأخاف علـيهم وهذه هى طبيعة كل أب.. اجلسوا مـعه وحاوروه بهدوء وشـوفوا نواياه وأنا من عندى مسامـحه وأرحب به بأى وقت.

ينهض أمين من مكانه ويذهب إلى الحاج سـالم ويقبله على رأسه شاكراً له موقفه ثم يفعل سيف كمـا فعل أمين مما خلقوا إحراجاً كبيراً لدى الحاج سالم وعقب قائلاً:

والله يا أولادى أان أحسد سمير على صـحبتكم.. وليتنى كنت أعرفكم من زمان.. فالولد سيف تعرفت عليه قبل أشهر قليلة وانفتح قلبى وعقلى له واليوم ينفتح لك يا أمين.. باركهم الله وحفظكم لأسرتكم.

بعد الساعة الـتاسعة ليلاً يغادر سيف وأمـين دار الحاج سالم وهم

فى غاية السـعادة والتفاؤل ورفـضا تحديد مـوعداً للقاء سمـير بوالده حـيث تركواذلك مـفتـوحا وللظـروف حتى لا يعند سـميـر ويشعـر بالإحراج لاصدقـائه. وبينما كان سيف وأمين عـائدون إلى مساكنهم قال سيف:

ألمهمة الآن ستكون صعبة عليك فى مفـاتحة سمير ولكنى أعتقد أن الامر سيكون أكـثر يسراً لو أنك فاتحت سـحر قبل سميـر.. وسحر تعزك كـثيراً وتسمع لك أكـثر من الآخرين ثم يبدأ العـمل بعدها مع سمير وبحضور سحر وأنا سأشاركها بذلك.

يعلق أمين على سيف:

معك حق فى البداية يكون أمر مفاتحة سحر الذى لن يستغرق وقتاً طويلاً مثل سمير وانشاء الله نتوفق وسنتواصل بالأخبار أولاً بأول.

فى اليوم الثانى ومع الساعة الحادية عشر صباحاً يتصل أمين بمكتبه ويسأل فـيفى عن آخـر الأخبار وارسـال أى أمور مـستعـجلة تتطلب تدخله إلى البيت مع أحد موظفى الشركة، ثم يتصل بسلمى ويخبرها بأنه سيتأخـر على موعد الغداء ولا تنتظره وأخبرها أنه سيـزور سمير وسحـر وسيـخبرهـا بعد ذلك عن سبـب زيارته فطلبت منه أن يسلم عليهم ولا يذهب إليهم من دون هدية أو شىء.

مع الساعة الواحدة ظهرا وبعد أن مر على بعض المحلات التجارية وصل أمين إلى شقة سمير وسـحر فطرق الباب وفتحت له الباب دنيا



التى لم تكن تعرفه فسألته عن من يريد فأخبرها بأنه صديق لسمير وسحر وأنه يود رؤية أى منهما ولكن دنيا أخبرته أن سمير غير موجود وهذا يعنى أنها لا تستطيع تلبية طلبه فكرر طلبه بالسؤال عن سحر فرفضت الإجابة وكان ودوداً ولطيفاً معها رغم عنادها وما أن سمعتها سحر تتكلم مع شخص غريب وبصوت قريب للحدة سألتها من بعيد عن الأمر ومع من تتحدث فردت عليها دنيا: مع واحد حشرى مش عاوز يفهم وعنيد.. فاتجهت سحر بهدف مساعدتها فتفاجأت لرؤية أمين، فأسرعت من حركتها نحوه وهى تقول: عفواً يا أمين.. أصلها لا تعرفك.. أهلاً وسهلاً بك.. يا لها من مفاجأة سعيدة وكبيرة.. ثم تصافحه وتسحبه إلى الشقة وهى فرحة وخجولة وقدمت دنيا لأمين وما أن تعرف عليها حتى قبلها على رأسها وأمسك بيديها وأجلسها بجانبه وهى فى حالة خجل، وتعاتبه سحر على حضوره مع الهدايا.. فهدأها أمين وسألها عن صحتها وطلب أن يرى سلمى فاحتضنها بعد البسملة ووضعها على حضنه بعد تقبيلها ثم سأل سحر إن كان يستحق كوب شاى أو قهوة من يدها.. فأسرعت لإحضار الشاى وجلست أمامه تسأله عن سلمى والأولاد فأبلغها سلام سلمى والأولاد ثم تعتذر له دنيا وتعبر له عن سعادتها بالتعرف عليه والتطلع للتعرف على أسرته فأخبرها أنه هو الاسعد واعجابه بها ومازحها بقوله:



تصرفك الطبيعى معى اليوم يدعونى لأن أحجزك لأخى الصغير.

فردت عليه دنيا ممازحة:

لو كان مثلك فلا اعتراض.

ثم يسأل عن سمير ومتى سيعود وعندما عرف أن أمامه أكثر من ساعتين رغم معرفته المسبقة بذلك ولكنه أراد التمهيد لحديثه فبدأ حديثه قائلاً: طبعا دنيا ليست بغريبة عنا واعتقد بأنها ستتفهم لما سأقوله وستساعدنا على ما جئت من أجله.. يتناول كوب الشاى، ويقول:

بالأمس كنت والاخ سيف فى زيارة لدار البيت عمى الحاج أبو سمير وتكلمنا معه عن علاقته بسمير ووجدت لديه الرغبة فى انهاء المقاطعة فيما بينكم ولكنه يخشى من عناد سمير.

لم يتمكن أمين من اكمال حديثه عندما رأى دموع سحر تنهمر على خدودها وهى تردد كلمات ملعثمة ومعبرة عن امتنانها له وسعادتها بما سمعت، يطلب منها الهدوء متفهماً لموقفها ووضعها بينما دنيا مركزة نظراتها نحوه.. فواصل حديثه قائلاً:

أتفهم لموقفكم وموقف عمى سالم وهو محق.. وأعرف سمير وعناده لذا قررت أن أفاتحك بالموضوع أولاً لمعرفة رأيك والتمهيد للحوار مع سمير وبمشاركة سيف وسعيد وعبدالقادر.. يجب انهاء المقاطعة ونسيان الماضى.. أعرف بأنك متشوقة لذلك أكثر من الجميع

وهذا يعنى أن موقفك سيساعدنا على تذليل الصعاب وعناد سمير.

تجيبه سحر وهى تحاول مسح دموعها المعبرة عن الفرح:

وأنا طوع بنانك.. قل لى ماذا أعمل وأنا مستعدة.. تعرف أنك تكبر يوماً بعد يوم.. وكم أنى سعيدة بصداقتك لنا.. ربى يسعدك ويحفظك لأولادك وزوجتك وأولادى ويبعد عنك كل شر ومكروه.

يرد عليها أمين معاتباً:

لا تقولى هذا فأنت أخت عزيزة علينا وكذلك سمير أخ عزيز علينا وما بين الاصحاب لا يستحق الثناء والمدح.

تقاطعهم دنيا قائلة:

تصدق يا عمو أنى أحسد عمى وعمتى على صداقتك لهم.. أنت من النوادر وربى لن ينساك أبدا ودعوات أصحابك مقبولة عنده وهى محسوبة لك وهو بذلك سيحميك و...

يضحك أمين بسعادة ثم يرد على دنيا:

ألم أقل لك إنك فتاة ذكية.. ومن اليوم أنت ستصحبين أقرب صديقة لى.. ما رأيك..؟

ترد عليه باقتضاب

ومن دون ما تقولها فأنا قررت أن اكون صديقة تحن عليك بل وتلميذة مطيعة.

بعد ساعة ونصف يغادر أمين الشقة بعد أن أخذ وعود من سحر

ودنيا بعدم مفاتحة سمير أو أى كان بخبر زيارته لهم ولو سألهم عن الهدايا يخبرانه بأنها من طرف سلمى التى أرسلها مع سائقهم.

يغادر أمين شقة سحر وسمير من دون معرفة بالاتجاه، وإذا به يجد نفسه فى مقر شركة هارون الذى دخل مكتب هارون دون استئذان من سكرتارية مكتب هارون والذى كان حينها متواجداً مع سيف وما أن فتح باب المكتب استغرب هارون وسيف من حضوره المفاجىء وباشرهم بالقول لتبرير استغرابهم:

بصراحة كنت أقود سيارتى ولم اكن اعرف اتجاهى وكأن الاقدار هى التى قادتنى اليكم وربما لعلى كنت محتاج إلى صديق لاتحدث معه. والحمد لله ان الاقدار ساقتنى اليكم وهذا يعنى انكم افضل واعز الاصدقاء.

يرد عليه هارون بعد أن تحرك من كرسيه متوجهاً نحوه:

حللت أهلاً وسهلاً على شركتك وأخواتك..

ثم يعقب سيف:

وجئت فى وقتك لأننا كنا ننوى الاتصال بك، لأننا نوينا اليوم نخزن قات..

يضحك أمين وكأنه لم يضحك من قبل ثم يقول:

أشكركم على ما قلتموه ولكنى ضحكت على موضوع القات لأننى أعرف أن القانون يمنع الاتجار بالقات وتعاطيه فى معظم البلاد

باستثناء الخميس والجمعـة مع أنه يوجد بعض الخرق فى عملية تعاطيه من قبل بعض الأشخاص وخصوصا الـشخصيات القيادية والأهم من كل ذلك أن كان القات فرش «طرى» فلا أمـانع من خرق القانون كما أنى اقترح عليكم بأن تستدعى سمـير وسعيد (والمقيل - ديوان خاص لتناول أوراق القات) فى بيتى.

يقاطعه هارون:

المقيل عندى والغداء أيضـاً، أنتم ضيوفى والمدام مبلغـة فى مسألة الغداء قبل حضورك بنصف ساعة.

ثم يعلق سيف:

وأنا وافقت هارون على أن نتحرك لاعتقالك اليوم.

يرد أمين:

وكيف لى أن أرفض أمر اعـتقالكم ويا ليت كل الاعتقـالات تشبه اعتقالكم لكان العالم يعيش فى خير وأمان واستقرار.

فى ذلك الوقت كانت دنيا فى حـوار مع عمتها سحـر حول أمين وكيف تعـرفت عليه هى وعمـها، وماذا يعمل و.. و..؟ فـتجيبـها سحر قائلة:

أمين هو أول شخص تعـرفت عليه فى الجامعـة وتحديداً بعد ثلاثة أشهـر من أول سنة جامـعة ثم على فـيفى وسلمى ومنه تعـرفنا على البـقـيـة وكان هو الـوحيـد من الشلـة الذى ينظم ويدعـوا للقـاءاتنا

واحتـفالاتنا، وهو الوحـيد الذى كـان يحفظ تواريخ أعـياد مـيلادنا ويذكرنا ويحتفل بها معنا كـما أنه الأقرب بين أفراد الشلة وشهد على عقـود زواج بعضهم وتوسط لخطبـتهم وهو أكثـر كرماً وعطفـاً وثقةً باصدقائه وكانت الشلة أو المجموعـة ولازالت تعتبره الدينامو الرئيسى لها.

ومع أننا انقطعنا بعـد التخـرج فقـد جمـعنا مرة ثانـية ولازال.. صحـيح أن كل واحدة من الشلة كـانت تتمنى الارتبـاط به لكنه كان يعاملنا كـأخوات له وعندما أراد الارتـباط بسلمى وأعلن رسمـيا عن ارتباطه بهـا تفاجأت الشلة من ذلك الاعـلان لأنه لم يكن يبدو على علاقتهم بما يزيل المفاجأة أو يبررها وبعد الإعلان برر لنا ذلك بأنه كان على اتفاق مـسبق مع سلمى بشأن الخطبة على أن لا يـعرف أى كان حتى لا ينشغلون عن دراسـتهم، وتؤثر على مستقـبلهم هذا من جهة ومن الجهة الأخرى لاعطاء فرصة لكل منهما لمعرفة الآخر عن قرب.

هو من أسـرة طيبة وأصـيلة وثراء متـوسط.. والده مثـقف ومن رجال الأعمال.. وكما شاهدتيه اليـوم وتحاورت معه واكتشفت كيف اسـتطاع ان يكسب عقـلك وقلبك بكل يسر وهـذا دليل على معـدنه الأصيل.

يقطع حديث دنيا وسـحر رنات الهاتف وكان سـيف هو المتحدث فى الطرف الآخـر وقد سأل عن صـحة سـحر والمولودة وأبلغـها أنه

وهارون وأمين يريدون من سمـير ومعه سعيـد فى الحضور إلى منزل هارون لجلسة خاصـة،وعرفت سحر أن الهـدف من الجلسة هو الحوار مع سـميـر عن مـوضوع عـلاقـته مع والديه واخـوته والعـمل على أنهائهـا.. فتـوصاها سيف بالامـر ووعدته بان تسـعى لإقناع سمـير بمشاركتهم الجلسة مادامت الدعوة منه ومن أمين وهارون.

وما أن عـاد سمـير إلى بيتـه حتى أبلغـته سـحر بطلب أصـدقائه بحضـور لقائهم قبل السـاعـة السادسة مســاءاً فسألها ان كـانت تعرف سبب الدعوة فردت بالنفى ثم عـاجلته عن هدايا سلمى التى أرسلتها مع سائقـها فرد عليـها: أنه لا يعرف كـيف يشكرها - سلمى - هى وأمين على وقوفهم الصادق معهم.

وعادت سـحر لتؤكـد على ضرورة حضـوره مع سعيـد ثم أسرع للاتصال بسعيد وأبلغه بدعوة سيف وهارون وأمين وأتفقا على الالتقاء فى بيت هارون.

وفى نفس اليوم دعا الحاج سالم أولاده إلى داره بعد أن تناقش مع زوجته حول وساطة أصدقاء سمير وموافقته على انهاء المقاطعة فوافقته أم سـميـر بفـرح وسرور وأبدت اسـتعـدادها لاقناع أولادهم بإنهـاء المقاطعة وأظهرت حينهـا شوقها لاحتضان أبنها سمـير وابنته وزوجته فبادلها الحاج سالم نفس الاحســاس والشعور.. وما أن حضر جميع أولادهم حتى فاتحهم الحاج سالم بالحديث عن إنهاء المقاطعة مع سمير



وعائلتـه وحاولت أحدى أخـوات سميـر الاعتراض وتبـرير موقفـها ولكنهـا تراجعت عن مـعارضـتهـا عندما تدخلت الأم وعـبدالـقادر شارحين الموضوع من ناحية انسانية واخلاقية وعائلية. . وبعد ان انتهى اجتماع عائلة الحاج سالم انفرد عبدالقادر بوالده وسأله عن سبب تغير موقفـه فأبلغه والده بقصة زيارة سـيف وأمين له وتوسطهم بينه وبين سميـر من دون معرفة سمـير. . فردد عبدالقـادر بعض الكلمات مع نفسه حاول والده أن يسأله عن ما يقول فأبلغه إنها مجرد دعاء بالشكر لله ولأصدقاء سـمير على إنهاء حـالة التوتر فيمـا بين شقيقـه وبقية العائلة بينما هو كان يردد كلمات معبرة وهى:

والله إنك عملتها يا أمين. .

كان عبدالقادر يعرف أمين عن طريق سـمير أثناء زمالتهم بالجامعة حينمـا كان يلتقيـهم فى بعض الأوقات والمناسبـات الاجتماعـية التى يحرص أمين على حضورها وكذلك سيف.

وبعد انتهاء إجتماع عائلة الحـاج سالم غادر عبدالقادر منزل العائلة وذهب إلى أحد المحلات الـتجارية سائلاً عن هاتف ليـقوم بالاتصال بسيف وبعـد أن عثر على الهاتف اتصل على سـيف وسأل عن مكانه فأبلغـه سيف مبـاشرةً أنه يتمنى حـضوره إلى بيت هارون إن لم يكن يمانع فى ذلك. . . فرد عليه عبدالقادر بالموافقة السريعة على الحضور فسـأله عن عنوان هارون وغـادر المحل باحثـاً عن وسيلة مـواصلات

سريعـة وركب سيارة أجـرة ووصل لمنزل هارون وهو عبارة عن فـيلا مسـتقلة من دورين وعليهـا سور مهـترئ وتقع فى مدينة خـورمكسر وبجوار المدينة البـيضاء. ومن نافذة غـرفة المقبل لمح سيف عـبدالقادر فخـرج لإستـقباله ثـم قاده إلى الغرفـة حيث اسـتعـد هارون وأمين لاستقباله وحددوا له أحد أماكن الجلوس ثم شكرهم على استقبالهم له من دون موعد سـابق وأخبرهم أنه يود فقط الحديث مـعهم لدقائق عن موضوع سمير شقيقه حـتى قطع حديثه سيف حينما شاهد سيارة وقفت أمـام بيت هارون فعرف أنها تقـصده فخرج إليـها وسلم على أخيه الذى سلمـه حقيبة مملوءة بـالقات ثم عاد بها إلى صحـبه وفتح الحقيـبة وبدأ يوزع ما فيـها من قات على الحاضـرين بمن فيهم سـمير وسعيد وقـد أستغرب عبدالقادر من رؤية الـقات فى مثل هذا اليوم - السبت - الذى يمنع فيه تداول القـات فى عدن وبعض المدن الرئيسية فى جنوب اليمن وحـاول الاعتذار عن تداول القات لكن أمـين أصر عليه بالبقاء ومشاركتهم تعاطى القات مؤكداً عليه:

إن وجوده فرصة كبيرة قلصت من صعوبة خطة عملهم.

ولم يحدد أمين ما هى خطة العمل ولكن عبدالقادر عرفها مباشرة ولم يكن أمامه من خيار إلا قبول الجلوس مع أصدقـاء شقيقه سمير، وما إن بدأ تتناول وريقات القات - وهى عبارة عن شجرة يتم اقتطاف أجزاء منها وبالذات الخفـيفة أو الرطبة والتى يسهل مضغهـا ووضعها

فى أحد جـوانب الفم لعدة ساعـات تعطى الفرد الكثـير من التركـيز والتنبيه والنشاط فى العمل إن وجـد وكذلك التفكير والحوار من دون حدود - حتى افتتح الحوار أمين قائلاً:

هى مناسبة عظيـمة أن نتحدث قبل وصول سمـير وبحضور الأخ العزيز عبدالقادر وبصورة سريعة عن علاقة سمير بعائلته والمتوترة منذ زواجه، أو أن نؤجل الحوار حتى حضور سمير وسعيد.

يرد عليه هارون:

أعتقد أن الحوار بوجود سميـر سيكون أفضل لأنه سيكون مُحرجاً أمامنا، ومهما يكن فلابد من إستخدام لغة الحوار المكثف معه.

يعقب عبدالقادر بالقول:

نحن اليوم اجتمع بنا الوالد وعرض علينا الأمر وموافقته على إنهاء المقاطـعة وترك الأمر لرغـبات سـميـر... ووضع سميـر فى الوقت الراهن أفـضل مما سـبق ولا يمكن له أن يواصل عناده هكذا أتصـور خصوصاً بعد ارتزاقه بالمولود البكر.

وأضاف:

وللأمانة أن جهـودكم أسعدتنا ومنحـتنا الأمل، وصنيعكم العظيم هذا سنظل نحفظه لكم فى قلوبنا وعقولنا طول العُمر.

مع الساعة السادسة مساءاً حضر سـمير وسعيد وقد كانًا مندهشين من رؤية الجماعة مخزنين - متعـاطين قات - وأيضا بوجود عبدالقادر



شقـيق سمير، فنهض القـاعدين لاستـقبالهم وأفســحوا لهم الأمكنة وناولوهم القات رغم اعتراضهم وبعد أن بدأوا بتناول القات قام سمير بإتصـال هاتفى بأحد زمـلاء العمل وطلب منه أن يقـدم له طلب فى منحه أجازة طارئة لليـوم التالى نتيجة وجود مـوعد طبى مع مولودته الرضيع، ثم فعل سعيد مثل صديقه... سمير يسأل شقيقه عبدالقادر عن صدفـة لقائه الـيوم بأصدقـائه ويسأل عـن والديهمـا ويرجوه أن يبلغهم تحياته وسلامه... بعدها بدأ هارون الحديث بالترحيب بضيوفه وعن التماسك العائلـى وكيفية الحفاظ عليـه فى هذه الظروف الصعبة فحاول سمـير تغيير مسار حديث هارون باتجـاه الأوضاع العامة للبلد ولكن أمين أسرع فى التدخل فقاطعه قائلاً:

سمير أنت يجب أن تعـرف أن حضور عبدالقادر إلينا كان مـفاجئاً لنا جميعاً ونحن فى الحـقيقة سعدنا بالجلوس معه والتـعرف أكثر أليه ولكننا فى الحقيقة كنا مخططين لأن نلتـقى اليوم معاً لكى نناقش معاً موضوع يهمنا كلنا وأنت بدرجة أساسية ثم سعيد..

حاول سمير أن يتدخل ولكن أمين قاطعه قائلاً:

لو سمحت ياصـديقى أتركنى أتحدث حتى أكمـل والعفو منك - يبتـسم سميـر إبتسـامة معـبرة عن الإعتـذار من أمين - طبـعاً نحن وبالذات أنا وسـيف قررنا التدخل فـما بينك وعـائلتك أولاً وسعـيد وعائلته ثانيـاً والهدف أننا يجب أن نصلح الأمور فيـما بينكم ووضع

حد لعملية المقاطعة . . . والصديق الحقيقى هو الذى يقف مع أصدقائه بصدق ووفاء وإخلاص وإلا ما فائدة الصداقة . .

وبعـد قرارنا الذى لم نعـرف ردود فعـلكم نحوه توجـهنا إلى دار عمى الحـاج سالم أمس وعزمـنا أنفسنا عليه ثم تعـاطينا القات مـعه وتناولنا معه أمر وساطتنا ووجدنـا عنده قبول ورضى بالمصالحة وإنهاء المقاطعة وأستـعداده لنسيان الماضى ولا أعتقد أن الإستـمرار بالمقاطعة مجدياً لأى كان والدم عُمره ما يتحول إلى ماء، ومهما زعل أو حرمنا الاباء فنحن يجب أن لا نلومهم أو نعاقبهم لأنهم ينطلقون من خوفهم علينا نحن الأبناء، كما أن الأبناء ملزمون بإطاعة الوالدين. . . . وكل والد يفرح ويسعد عندما يرى أبنائه قد كبروا وأصبحوا رجال يعتمدون على أنفسهم ولكنهم يظلون ينظرون لأبنائهم كأنهم أطفال وأعتقد أننا سننظر إلى أولادنا عندما يكبرون بنفس نظرة أبائنا إلينا.

وشخصياً لا أعـتقد أن سمير وسحر سعداء باسـتمرار المقاطعة مع الاسرتين وبين الأسرتين. . . . وما دام أن الأمور خلال الفترة الماضية لم تثمـر إلا عن المزيد من المقاطـعة، ثم أن الأمور أيضـاً قد تغـيرت وبالذات بعد ارتزاق سمير وسحر بمولودهم الأول فهذا يعنى أن الأمر لابد أن يتغير وإلا يعنى أننا نركب رؤوسنا عمال على بطال كما يقول إخواننا المصريون.

لم يعقب سمـير ولكنه التزم بالصمت وأيضاً سعـيد وما أن توقف



أمين حتى أضاف سيف قائلاً:

نحن كأبناء محقوقين لآبائنا وعـائلاتنا وعلينا إطاعتهم كما يوصينا القـرآن الكريم ونبينـا الحبـيب.. وعندما يـختلف الأبناء مع أوليـاء أمورهم فلا يعنى أن الـرحمة قد غابت أو تجـمدت... وبما أن عمى الحاج سالم قد قـبل وساطتنا ورحب باستقبال سمـير وعائلته فى أى وقت فـمن الواجب على سـميـر الاعتـذار لوالديه حـتى لو لم يكن مخطئاً.

لحظة صمـت تخيم على الغرفـة بعد توقف سـيف عن الكلام ثم يقطع سعيد تلك اللحظة بالقول:

بصـراحة أنا أؤيد الفكرة ونشكر تلك الجـهود التى بذلـت لإنجاح الوسـاطة وليس هناك من مـانع لرفض الفكرة والجـهـود... وأخى سمير سيكون بالتأكيد سعيداً ومسروراً.

يتحدث بعدها عبدالقادر:

الحمد لله يا إخوانى إن اخـتيارات سمير وسعيد لزوجـاتهما كانت موفقة، وصدقـونى إن زوجاتهما بعد المصالحة ستـسيطران على عقول وقلوب كل العائلة من الصغير إلى الكبير.

يتكلم بعدها سمير بكلمات مختصرة ومقتضبة:

وهل تعتقـدون أن أبى لو فتح لى ولزوجتى ذراعيـه وعقله سأبقى صامتاً ولا أتحرك إليه..؟!

ولهذا فأنا ممنون لكم كثيراً ولا تصدقوا لو قلت لكم أن سحر ستكون أكثر سعادةً وسروراً منى عندما تسمع هذا الكلام، وأنا مستعد من اللحظة فى الذهاب مع زوجتى وطفلتى إلى أبى وأمى وتقديم الإعتذار لهم.

ولكن أمين يتدخل قائلاً:

عليك أنت وسعيد أن تناقشا الأمور مع زوجاتكما أولاً وتهيئوا أنفسكما جيداً وتحضران أنفسكم لشراء بعض الهدايا لوالديكم لكى يكون ذهابكم فى يوم تجتمع فيه كل أفراد العائلتين لإضفاء جو عائلى نقى وصادق.

فيؤكد عبدالقادرعلى ما قاله أمين وأبدى استعداده لتهيئة أجتماع العائلة وبعد مشاورات شارك فيها كل الحاضرين أتفقوا على أن يشارك فى مصالحة سمير وسعيد مع عائلاتهما كلاً من أمين وسيف وهارون وعائلاتهم.

مع الساعة التاسعة والنصف ليلاً أعتذر عبدالقادر من مضيفيه عن المواصلة فى السهرة فأجبره أمين على الانتظار لربع ساعة حتى حضور سائق العائلة لتوصيله إلى داره ولكن سيف بادر لتوصيل عبدالقادر بسيارة أمين وحاول عبدالقادر إثناءهم عن ذلك لأنه سيأخذ تاكسى، ولكن هارون علق على محاولاته بالقول:

عندنا سيارتين وأنك فى ضيافتنا وعيب علينا نتركك تغادرنا فى

مثل هذا الوقت وعندنا وسيلة مواصلات؛ كون سيف قد بادر بإيصاله فخذ سيارتى لأنها صغيرة.

بينما سيف وهو يستعد للتحرك قال بابتسامة معبرة:

أنا عاوز أجرب سيارة أمين لأنى لم أجرب قيادتها من قبل.

وبعد مغادرة عبدالقادر واصل سمير الحوار بينما الآخرون كانوا يستمعون بتركيز، حيث تحدث عن المتغيرات السياسية الجارية فى البلد وكيف أن الأمور لم تتضح فى التوجهات العامة للقيادة وما يدور فى الكواليس عن بذور خلاف بين صفوف القيادة وأنه ليس هناك توافق حقيقى بينها حول التوجه للوحدة الاندماجية وأن العملية هى مجرد تصرفات أو مواقف لبعض القيادات هروباً من حدوث إنقلاب عسكرى على القيادة أو حدث تناصر بين صفوف القيادة مما أعتبر البعض أن التوجه إلى الوحدة هو مجرد هروب من تلك التوقعات التى كما يبدوا ليس لها أساس أو ملامح واضحة ومحددة، وقد سمعت من بعض الأشخاص القياديين تعبيرات تشاؤمية عن الأيام القادمة عندما ناقشناهم وسألناهم عن طبيعة وحقيقة مواقفهم وكذا دورهم فأجابونا: إن مجرد اعتراضهم على القرار سيصنفون بأنهم ضد الوحدة، ووجدنا أناس لا ينتمون للحزب الحاكم - الحزب الاشتراكى - بل ومتضررين من الإجراءات السياسية والاقتصادية للحزب معارضين لعملية تسرع القيادة فى توجهاتها الجديدة كونهم

يشعرون بأنهم سيظلوا يعانون من تلك الإجراءات حتى ما بعد الوحدة لأن رموز نظام الوحدة سيكونون مشغولين بعملية ترتيب أوضاعها وسيرحل عملية المعالجات لتلك الإجراءات وربما تأجيلها وتحويلها إلى ورقة سياسية واللعب عليها، كما أن مثل هؤلاء الناس يطرحون أفكاراً مثل: المصالحة الوطنية الجنوبية قبل قيام الوحدة. وعلى فكرة سمعنا إن هناك تململ كبير بين صفوف أعضاء الحزب الحاكم.

وأستمر الحديث بعد عودة سيف إلى الساعة الثالثة فجراً ثم غادر سعيد وسمير وسيف مع أمين الذى أوصلهم إلى منازلهم بينما بقى سيف مع أمين الذى دعاه أن يقضى معه بقية الليلة فى داره حيث فيه غرف كثيرة خصوصاً أن عائلته غادرت عدن إلى قريتهم فوافق سيف، ما أن وصل أمين وصديقه سيف إلى دار أمين وفتح الباب سمعت سلمى بأصوات جديدة فقامت وأتجهت نزولاً إلى قاعة الضيوف وما أن رأت سيف حتى عادت لإرتداء ثياب أخرى ثم توجهت نحوهم وسلمت على سيف ورحبت به ثم أبلغتهم بأنها ستقوم بإعداد العشاء لهم ولكن سيف ترجاها أن تواصل نومها لأنهم لا يشعرون بالجوع وإن جاعوا فهم سيقومون بإعداد العشاء لأنفسهم، ولكن سلمى صممت على أن تقوم بإعداد حليب ساخن لهم وستخبر الشغالة بإعداد الطعام لهم.. فطلب أمين من سلمى إبلاغ الشغالة بتحضير أحدى غرف النوم

لسيف... بعدها بأيام قليلة كان عبدالقادر شقيق سمير فى زيارة أمين إلى مكتبه برفقة سيف وهارون لابلاغه عن موعد مصالحة سمير وعائلته واستعداد العائلة لذلك.. يرحب بهم أمين ويطلب من فيفى «مديرة مكتبه» عدم تحويل أى مكالمة أو إدخال أى شخص إليه باستثنائها.. وطلب منها البحث عن سعيد وسمير وأخبارهما عن ضرورة حضورهم بأسرع ما يمكن إلى مكتبه وفى حالة تعثر وسيلة المواصلات معهم عليها إرسال سيارته لاحضارهم. وتمكنت فيفى خلال عشرين دقيقة من العثور على سعيد وسمير وأبلغتهم بطلب أمين وأن سيارته مع السائق سيأتى إليهم لإحضارهم... ثم دخلت على أمين وضيوفه وأبلغت أمين بما فعلت ففاجأها بطلب بالاتصال بسحر وتحويلها إليه مؤكداً لها أن الموضوع يتعلق ببدء المصالحة أولاً بين سمير وعائلته وسعيد وعائلتك فسألها عن استعدادها فردت عليه:

وهل هذا يحتاج إلى سؤال... مواقفكم هذه تعطينى الاحساس بأن ربنا موجود وكبير بوجود أمثالكم من الناس... ولم تستطع فيفى السيطرة على مشاعرها مما دفعت بدموعها تنهمر بغزارة من عينيها جعلها تتحشرج فى الكلام وتقول:

مواقفكم النبيلة والصادقة تقول لى أن أى كلام عنكم ولكم ومهما طال لن يكفى.. أنكم تغمرونا بحبكم وإنسانيتكم وأدعوا الله أن يقدرنا على مجازاتكم....

ثم تتركـهم بأتجاه حمام مكتـبها وتحـاول تهدئة مشاعـرها وغسل وجههـا الجميل والرقيق ثم تعود إلى مـكتبها وتقوم بالاتصـال بسحر وبعد السؤال عنها وعن الصغيرة «سلمى» تخبرها بأنها ستقوم بزيارتها اليوم كما أن أمـين يريد التحدث معها فى أمـر هام حاولت سحر أن تستكشف منها عن سبب طلب أميـن لمكالمتها ولكن فيفى تمنعت تحت مبرر أنها لا تعرف شيئاً فتقطع الحديث معها مع الاعتذار وتحولها إلى أمين الذى سلم عليـها وسألها عن صحـتها وصحة «سلمى» وسـمير ودنيا ثم سألها إن كانت الليلة مستعدة لاستقبالهم بوجبة عشاء خفيفة فرحبت به لو أنه جـاد فى قوله، فرد عليها بأنـه جاد فى طلبه ولكنه سيحضـر مع بعض أصدقائهم.. فرحبت بهم مجـدداً، وكرر عليها سؤال آخر وهو إن كانت مستعدة نفسياً لزيارة عمها أبو سمير وعمتها أم سمير وبقـية العائلة..؟ فردت عليه بأن تلك أمنيتها وهـى مستعدة لذلك فى أى وقت... وما أن ينهـى المكالمة حتى ينهض من موقـعه بأتجاه مكتب فـيفى ثم يدعـو سيف ليكلمة كـما يطلب من فـيفى أن تسأل ضيوفه عن مـايريدون من شراب وأقتنص تلك اللحظة بأن سأل سيف إن كان يستـطيع خلال ٢٤ساعة شراء رأسى غنم وحجـز كمية من القات كى يكون دخولهم على الحاج سالم وعائلتـه مشرفاً لسمير وسحر؟ فأبلغه سيف عن إمكانيتـه لفعل ذلك وهو سيتحمل تكاليف القات كهدية منه ولكن أمين قاطعه بلهجة صارمة قائلاً:

أنا صاحب الفكرة وبالتالى أنا المسؤول عن كل شئ، واطمئن. . إن ذلك سيكون بأسمنا جميعاً. . . ولا تنسى أنى صاحب أمكانيات مادية ولكنى أود فعل ذلك بمعرفتك ولا يعنى أنى أقلل من مكانتك وأرجوك لا تناقشنى ولا تغضب منى. . .

ويبلغه أنه سيعمل على تدبير إحدى السيارات لتكون تحت تصرفه من اليوم حتى استلامه لمهام عمله، ثم يعودان إلى هارون وعبدالقادر ثم يغادر ثانية إلى مكتب فيفى ويقف عند مكتبها طالباً ورقة وقلم وكتب عليها أمراً لأمين الصندوق بصرف مبلغ ألف دينار «أى ما يقارب ٢١٠٠دولار» على أن يتم أحتسابها من مخصصات مكتبه ومخصصاته الشخصية ويناولها لفيفى قائلاً لها:

أطلبى أمين الصندوق للحضور أليك وتسليمه هذه الورقة وأحتفظى بها معك حتى أشعرك بموعد صرفها.

بعد يومين أو ليلتين من استقبال سحر وسمير لضيوفهم وبعد أن أتفقوا على القيام بزيارة منزل الحاج سالم «أبو سمير» كان هارون وعائلته فى إنتظار أمين وعائلته وأيضاً سيف وعائلته التى أحضرها من قريته ثم توجهوا فى سيارتيهما بأتجاه سمير وسحر وأخذوهم مع الطفلة «سلمى» وكذلك سعيد وأتجهوا مع الساعة الثانية عشرة وقبل صلاة الجمعة نحو منزل الحاج سالم وما أن طرق سمير الباب حتى احتضنته والدته وهى تسأل عن سحر وسلمى وفتحت ذراعيها وهى فى حالة

بكاء نتيجة الفرح والسعادة وأحتضنتهم وظلت تنهال بقبلاتها على سلمى الصغيرة حتى قام الحاج سالم بعد احتضانه لسحر والترحيب بها بسحب ابنة ولده من أم سمير وبدأ يقبلها بحرارة وشوق لا يوصفان وبدأ الاخوة يلتفون حول سحر وهم يرددون العبارة التالية:

والله إنك محق ياسمير باختيارك لسحر... ياسبحان الله من هذا الجمال المتكامل... ربنا يحفظها لك ويحفظكم لبعض.

سحر حينها لم تستطع السيطرة على مشاعرها فخانتها دموعها ولسانها معاً.. وظلت تنتقل بين عمها وعمتها وشقيقات سمير وأشقائه وبقية أفراد العائلة فتدخلت سلمى زوجة أمين قائلة:

ياجماعة ما بكم نسيتم ضيوفكم.. أرجوكم عبرونا... خلاص سحر وسمير عادوا أليكم... نحن هنا.

يضحك الجميع فيتجه سمير نحو سلمى ويقول:

هذه أختى التى لم تلدها أمى وأخت سحر أيضاً وهى سلمى زوجة أخى أيضاً الذى لم تلده أمى.. أمين... وهذا هارون وزوجته وهم أيضاً إخوانى الذين لم تلدهم أمى... وهذا أيضاً سيف وزوجته التى لم تلدهم أمى... وهذا أيضاً أخى سعيد الذى لم تلده أمى... هؤلاء ياأبى هم...

يقاطعه أمين:

أخوانك وأصدقائك.. دعونا الآن من المجاملات لنلحق بصلاة

الجمعة ونترك النساء لإعداد الطعام والتعارف فيما بينهم.

الحاج سالم:

أهلاً وسهلاً بكم وأنا اليوم أسعد إنسان لرؤيتكم ياأولادى ولكن ما هذا الذى فعلته ياسمير...

يرد سمير باستغراب ودهشة:

ماذا فعلت ياأبى؟

يجيب الحاج سالم:

أليس من العيب عليك أن ترسل الغنم قبل وصولك... هل أنا لا أعرف الأصول؟

يرد سمير أيضاً بدهشة:

أنا لا أعرف شيئاً عن ما تقوله؟

فبدد دهشة وحيرة الحاضرين بتدخل سيف قائلاً:

هذه بمناسبة التعارف وهى...

يتدخل أمين قائلاً:

هذه هديتنا نحن مرافقى سمير وما فيش داعى للدهشة والحيرة مادمنا أصبحنا عائلة واحدة وأرجوكم لا تدعوا الكدر والغم يكدر علينا فرحتنا اليوم.. تنهض أم سمير باتجاه أمين فتحضنه ثم هارون وسيف وسعيد وتقول:

ياسعد أهلكم بكم...



يغادر الرجال مع الشباب والأطفال المنزل بإتجاه مسجد الحى لتأدية صلاة الجمعة وقد كان الحاج سالم ممسكاً بقوة فى يده اليمنى بأمين وفى يده اليسرى بيد سمير . . . بعد الصلاة يعودون ويتناولون الغداء وقبلها كانت فيفى قد حضرت بسيارة هارون بطلب من والدة سمير والتى تسأل سحر عن عدم حضور أهلها وطلبت منها الاتصال بهم وأستدعائهم للحضور فأخبرتها سحر بأنها لم تخبرهم ولكنها تعدها بزيارة خاصة لهم فتدخلت دنيا حينها قائلة :

الواجب ياجدتى أن نقوم نحن أولاً بزيارتهم . . .

ولكن سحر تقاطعها قائلة :

لا تقولى ذلك يا دنيا . . . القلوب عند بعضها . .

فتؤكد أم سمير على ما قالته دنيا «حفيدتها» :

معك حق يامفعوصة . . الواجب يقع علينا . . لا عليك يأم سلمى، فأنا أعدك بأن لا نخيب ظنك بعد اليوم.

قبل أن يبدأ الرجال بتعاطى القات حيث كانوا بأنتظار الحاج سالم الذى كان مشغولاً مع حفيدته «سلمى» وأمها وعندما أكتشف الحاضرون تأخره سألوا سمير عن أبيه فغادر غرفة الضيوف ليسأل عن والده وعرف أنه بغرفته مع سحر وابنتها فطرق عليهم الباب ودخل فوجد والده منهمكاً بالنظر إلى إبنته والحديث الأبوى مع سحر فقبله على رأسه وأعتذر له عن ما بدر منه فى الماضى ولكن الأب قاطعه

مطالباً أياه أن لا يعتـذر له بل - أنا - الأب الذى يجب أن أعتذرلك فترد عليه سحر بحنان:

لاياعمى... لا تقل ذلك، نحن من يجب أن يعـتذرلك ويطلب العفو والسـماح منك ومن عمتى، وأنت الكبيـر والعين لا تعلى على الحاجب... سامحنا ياعمى.

يقول الحاج سالم:

صدق أمين حينما وصفك... ياللّه أنسوا ما فات وادعوا اللّه أن يوفقنى فى تعويضكم عن ما فات... وأنا مسامحكم وسعيد بعودة شملنا...

فى ذلك اليوم تشعر سحر بأنها قد ولدت من جديد حينما دخلت عائلة زوجها وكـانت فى قمة السعادة وهى تلحظ التـفاف نساء عائلة الحاج سالـم حولها والاهتمـام بها وبىنتها وكـيف أنهن قررن أن تنام سحر وسمير وطفلتهما معهم... وفى جلسة خاصة بعد الغداء كانت أم سمير ترحب بضيفوها صديقات زوجة ابنها.

وحاولت بكل أمكانياتها توسيع أهتمامـاتها عليهن والتوجيه لبناتها وزوجات أولادها بأصول الضيافة.

مع الساعة الـعاشرة ليلاً غادر هارون مع عـائلته منزل الحاج سالـم ومعهم سعيد وفـيفى اللذين ذهبا مع هارون إلى شقة سـمير وسحر، ويتبـعهم سيف وعائلته مع عبدالقادر وعائلته ثم أمين وعائلته بعد الساعة العاشرة والنصف... وفى طريق عودته لمنزله - أمين وعـائلته توقفه نقطة تفتيش عسكرية مـستحدثة

فيطلب الجنود منه إبراز هويتـه والسماح لهم بتفتـيش السيارة فيبـرز لهم بطاقته الشخصية ويخبرهم عن وجود عائلته معه وسبب احتداد النقاش عن التفتيش مما أدخله فى جدل حاد مع أثنيـن من جنودها حاولوا أستفزازه مع التـزامه بهدوئه وحواره، وبعد ١٥دقيقـة من توقيفه نزل قائد المجموعة العسكرية ليـستفسر من جنوده عن ارتفاع صوتيـهما وكان برتبه رائد وذو شخـصية مهيبـة وهادئة فأبلغه الجنود عن رفض صاحـب السيارة من تفـتيشـهم للسيارة فطلـب منهم الهدوء والتزام الصـمت وتعلم آداب الحوار مع المواطنين فـقال لصاحب السـيارة وهو يمديده إليه مصافحاً وبيده الأخرى البطاقة الشخصية لصاحب السيارة فقال له:

عفـواً يا أخى... هذه نقطة مسـتحدثة من يومـين فقط وعـملية التفتيش روتينية... كان الضابط حينها يقرأ محتويات البطاقة ثم فجأة تتغير ملامحه وفتح ذراعيه لصاحب السيارة وهو يقول له:

مش معقول... أنت أمين زوج إبنة عمى... أنا آسف ياصهرى العزيز.

يحتضن أمـين وهو لم يكن يعرف وما أن سمـعت سلمى بصوت الضابط حتى قالت لأمين هذا راشد إبن عمى..

وسلم راشد على سـلمى ويقوم بتقـبيل أولادها ويكرر إعـتذاراته ويعبر عن سعادته لرؤيته لهم قائلاً:

واللّه العظيم أنا كـنت أفكر بزيارة عـمى هذا الأسبـوع والسـؤال عنكم وزيارتكم... سامحونى...

ثم يوجـهون لهـمـا الدعـوة لزيارتهم بعد إعـطائه عنوانهم ورقم

هاتفهم ويخبرهم راشد عن سبب استحداث النقطة العسكرية والمتمثل بالاستعدادات الجارية للتحضير لاعلان الوحدة.

يغادر أمين النقـطة وهو يضحك مع نفسه وعاد راشـد لتوبيخ جنوده على سـوء معـاملتهم مع المواطنـين وقرر أن يشـارك جنوده فى عمليـة التفتيش السـريع... أما سلمى فتخبر أمين عن إبن عـمها راشد الذى إنقطعت عنهم بعـد زواجهم وعددت له أبناء عـمومتـها المعروفـين لها ولكنها لا تعرف شىء عن أوضاعهم الحاليـة... فأخبرها أمين أنه يعتز ويتشرف بالتعرف عليهم كما أنـه مسرور بالتعرف على راشد الذى تعبر هيئـته عن شخصيـة قائد عسكرى له مـستقبل كـبير واقترح علـيها أن يخططوا للقيام بزيارات لعمـومتها وأهلها ثم لبقية أهله فـوافقته على أن يتم ذلك خلال الشهر القادم. بعـد أن وصلوا لمنزلهم يتوجه أمين لأخذ حمام ثم يساعـد سلمى على تغيير ملابس أولادهم فيبـقى معهم حتى ناموا ثم تركهم إلى غرفته فوجد سلمى نائمة فيدفيها ويتركها نحو مكتبه وصب له الشاى وبدأ يراجع بعـض الملفات. وبعد مصـالحة سمـير مع عائلته بأيام تم إجراء المصـالحة العائلية أيضاً بين عائلتى سـعيد وعائلة زوجتـه فـيـفى كمـا تمت خطبـة أبن عبـدالقادر على شـقيـقة سـحر الصغرى.



الفصل السابع

مع الأيام الأولى من العام ١٩٩٠م بدأت عملية المفاوضات والمباحثات بين أجهزة ومؤسسات شطرى اليمن تتسارع بطريقة عجيبة أوصلت المفاوضين إلى اختصار الفترة الزمنية من سنة واحدة إلى نصف سنة من دون مراعاة لتاريخ تكوينه وعلاقاتهم من جهة وللأخذ برأى الشعب من خلال استفتاء شعبى عام من جهة أخرى، ولم تكن السرعة مبررة أو مقبولة بالنسبة للرأى العام، كانت الخطوات العملية للمفاوضات تتركز على توزيع المسؤوليات بين قيادتى الشطرين ثم توحيد بعض المؤسسات بينما تعرقلت عملية التوحيد بين مؤسسات أخرى مثل الجيش والامن والطيران المدنى وإدارة الحكم المحلى... وتوحد الشطرين وتوحد العلم وأيضاً النشيد الوطنى ولكن شهر العسل بين الشركاء صناع الوحدة لم يستمر لأنه سرعان ما نشبت الخلافات بينهما مما أثر على مرتكزات النظام العام للجمهورية الوليدة وبات كل شريك يحاول إثبات ذاته على حساب الآخر والوطن والنظام وتم الاستفتاء على دستور دولة الوحدة بعد قيام الوحدة بينما كان يفترض تنظيم الاستفتاء على الوحدة وعلى شكل نظامها قبل قيام الوحدة.

يتحدث سيف فى جلسة قات مع أمين وهارون وبعض الزملاء منهم حمزة وفضل قائلاً:

قبل الوحدة التى تمت بين شطرى اليمن فجر ٢٢مايو ١٩٩٠م

اتفق على تشكيل مجلس رئاسة مكون من خمسة أشخاص ثلاثة من الشطر الشمالى ومنهم الرئيس وأثنان من الشطر الجنوبى ومنهم نائب الرئيس كما تم تقاسم مقاعد الحكومة برئاسة شخصية جنوبية كما تم أختيار رئيس البرلمان الموحد من الجنوب الذى تكون من الهيئات التشريعية التى كانت قائمة فى الشطرين قبل التوحد مع إضافة أعضاء جدد من بعض الشخصيات الاجتماعية والسياسية وتم أيضاً تعيين مجلس استشارى ضم الشخصيات التى لم تتمكن من الحصول على مناصب قيادية فى النظام الجديد وهذا المجلس من غير طعم أو رائحة.

يعلق فضل المعروف بحبه للتحليل فى مناقشة السياسات الاقتصادية قائلا:

بعد الوحدة زادت الأعباء المالية على نظامها السياسى المركب نتيجة التضخم النقدى الذى أدى إلى ارتفاع أسعار السلع الأساسية وإنخفاض معدل الدخول الفردية حيث إنخفضت قيمة العملة الوطنية بسبب

- انخفاض معدل الدخول الفردية من ٨٧٠ دولار إلى ٢٧٠ دولار.
- استشراء الفساد الإدارى والمالى.
- زيادة النفقات الحكومية وخصوصاً السياسية.



- ضعف المنتوج المحلى وكذا ضعف الاستثمار.

- اهمال الدولة فى جباية الضرائب على الرأسماليين والاقطاعيين الكبار.

- زيادة الديون الخاصة وأرتفاع فوائدها.

- غياب سلطة دولة النظام والقانون وانعدام وجود سياسة أقتصادية واضحة.

- غياب سياسة مالية واضحة تساعد على إلغاء تشابك الصلاحيات المتعددة من قبل رموز السلطة مما أضعف الرقابة المالية على عملية توزيع الموارد المالية على القطاعات الاساسية مما أدى فى الأخير إلى تمركز السلطة المالية بيد أفراد محدودين.

- هناك إيرادات من بعض القطاعات مثل النفط لا يعرف عنها ولا تندرج ضمن الميزانية العامة للبلد.

- زيادة معدلات البطالة على الرغم من وجود كشوفات وظيفية وهمية تكلف الدولة الكثير من الأموال.

- زيادة الانفاق على المؤسسات العسكرية والأمنية على حساب القطاعات الأخرى.

ويتدخل أمين مقاطعاً فضل بالقول: إن المتغيرات التي ذكرها الاخ فضل قادت إلى:

● زيادة نسبة الفقر بين جموع السكان مع إستمرار ارتفاع تلك

النسبة فى كل عام حتى وصلت ٤٧٪.

● اختلال فى طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والعائلات والجماعات.

● ارتفاع نسبة العنوسة بين الذكور والإناث بسبب الغلاء وتدنى الدخول وإرتفاع المهور.

● انتشار ظاهرة الإرهاب والتقطع والاختطاف ضد المواطنين وضيوفهم من سواح وديبلوماسيين ورجال أعمال.

● إنهيار مستوى الخدمات الصحية والتعليمية وبخاصة فى المحافظات النائية.

● إنتشار ظاهرة الاتجار بالاطفال والنساء.

● زيادة نسبة الأميين وبلوغها ٨٠٪من عدد السكان.

● اختلال فى عادات وتقاليد المجتمع.

● توسع ظاهرة الاتجار بالمخدرات رغم بلوة الوطن بشجرة القات. ثم يتدخل فضل مستعرضاً عدد من التغيرات السياسية وهى:

● نشوء ظاهرة الديمقراطية والتعددية المقننة والتى لا تؤثر على الحاكم.

● انتشار غير مدروس وغير صحى لتأسيس الاحزاب السياسية فبعضها خرج من تحت الأرض وبعضها خرج من كنف الحاكم، وإستخدام الحاكم للاحزاب المفرخة من قبله بهدف إضعاف الاحزاب

الاصلية والضعيفة أصلاً بفعل غيابها الرسمى عن الشارع السياسى.

● التوسع فى الصحافةلتبرير سياسة الحاكم الديمقراطية العرجاء تحت شعار «قل ما تشاء وأنا أعمل ما أشاء» ومن يخالف فلا بأس من المصادرة والاعتقال أو التجميد تحت شعار الحفاظ على المصالح الوطنية العليا.

● المماطلة فى مكافحة ظاهرة الفساد ورموزها فى مختلف مؤسسات النظام الجديد.

● تسييس المؤسسات العسكرية والأمنية واقتصارها على الحاكم فقط وجعلها أداة طيعة لخدمة أهدافه فقط وتركيز قياداتها على المقربين منه.

● المماطلة فى تحديث الإدارة قانونياً وعلمياً.

● قيام النظام الجديد باستقطاب المثقفين وتشتيتهم وبالتالى إضعاف دورهم. والعمل أيضاً على تمييع العمل النقابى والجماهيرى والمدنى بهدف إضعاف دورها فى المستقبل وجعلها غير قادرة على العمل إلا بما تمليه أرادة الحاكم، وغيرها.

ثم يعود سيف لمواصلة حديثه بفتح مواضيع جديدة فقال:

بعد أشهر قليلة من قيام الوحدة أختلف الشركاء ثم اتفقوا فأختلفوا حتى بات من المستحيل والعسير تقاربهما فكانت أول عملية إنتخابية يشهدها اليمن فى أبريل ١٩٩٣م والتى أثمرت عن فوز الحزب الحاكم

للشطر الشـمالى مع حليفـه الوثيق الجديد والقـديم «التجمـع اليمنى للإصلاح» فى ٩٩٪ من المقاعد النـيابية للشطر الشمالـى بينما الحزب الحاكم للشطر الجنوبى فاز فى ٩٩٪ من المقاعد النيابية للشطر الجنوبى وكانت تلك النتـائج رغم عدم التبـين من صحتـها بمثابة القـشة التى قصـمت ظهر البعـير أى شركاء نظام مـا بعد الوحدة وبداية لانقـسام سياسى ونفسى غير صحى أو مقبول من كل أفراد المجتمع مما أدى إلى تفاقـم الازمة السيـاسيـة بين مكونات النظام والشـركاء وساعـد على اشتـداد الأزمة مع دخـول التجـمع اليمنى للاصـلاح كشـريك ثالث وجديد فى بنيـة النظام، وقد فشلت جـهود الوساطة المحلية والعـربية والدولية فى حلحلة الأزمة ولكنها ساعدت على تعليقها وترحيلها لمدة زمنية معنية حتى كان الإنفجار وكانت الحرب بعد عام واحد من تلك الانتخـابات وتحديداً فى ٢٧ أبريل ١٩٩٤م رغم التـوقيع على وثيـقة سياسـية سميت ب«العهد والاتفـاق» من قبل جميع القوى السيـاسية اليمنيـة الحاكمة والمعـارضة وبإشراف عربى وصـمت دولى وما أن تم التوقيع على الوثيقة فى مدينة عمان عـاصمة المملكة الاردنية الهاشمية وعاد المـوقعـين إلى ثكناتهم سواء مـباشـرةً أو عن طريق أخر حـتى أعلنت الحـرب ورفض حزب المؤتمر الشـعبى العـام الحاكم وشـريكه التجـمع اليمنى للاصـلاح عن رفضـهم للوثيقة فكـانت الحرب التى اسـتـمـرت أكثـر من شـهـرين حـتى وضـعت الحـرب أوزارها فى

٧/ ٧/ ١٩٩٤م بهزيمة الحزب الاشتراكى اليمنى وإكتساح مواقعه التقليدية فى الجنوب رغم محاولته التعيسة والمدمرة والمؤلمة فى إعلان الانفصال بعد أكثر من شهر من قيام الحرب أى ٢٢/ ٥/ ٩٤م وإعلان تأسيس جمهورية اليمن الديمقراطية التى لم تعترف بها أى دولة وزاد الأمور تعقيداً بصدور فتوى من قبل شخصية دينية ورسمية أحلت دماء وأعراض وممتلكات أعضاء الاشتراكى اليمنى وكل من يقع تحت سيطرتهم وهذه بعض محتويات الفتوى التى تم التعامل بها والتى يعتقد الكثير من الناس أنها لازالت سارية المفعول كونها لم تلغ بفتوى أو بقرار سياسى. .

وقد سخرت قيادة نظام اليمن الشمالى الدين لخدمة مصالحها التوسعية لقتال أبناء اليمن الجنوبى واحتلال أرضهم وأحللت لهم الأرض والعرض وما على أرض الجنوب حيث ورد فى الفتوى الدينية التى أصدرها أحد قادة اليمن الشمالى السياسيين والدينيين وزير العدل اليمنى بأن قتال أبناء اليمن الجنوبى واحتلال أرضهم أمراً أحله الله شرعاً صاحب هذه الفتوى هو الدكتور عبدالوهاب الديلمى وهذه بعض نص من الفتوى الدينية التى أدلى بها بصوته: (سيف يقرأ نص الفتوى كما اعلنت)

إننا نعلم جميعاً أن الحزب والبغاة فى الحزب الاشتراكى المتمردين هؤلاء لو أحصينا عددهم لوجدنا أن أعدادهم بسيطة ومحدودين ولو

لم يكن لهم من الأنصار والأعوان من يقف إلى جانبهم ما استطاعوا أن يفعلوا ما فعلوه فى تاريخهم الأسود.. أنهم أعلنوا الردة والإلحاد والبغى والفساد.. هؤلاء الذين هم رأس الفتنة إذا لم يكن لهم من الأعوان والأنصار ما استطاعوا أن يفرضوا الإلحاد على أحد.. ولا أن يعلنوا الفساد ولا أن يستبيحوا المحرمات ولكن فعلوا ما فعلوه بأدوات هذه الأدوات هم هؤلاء الذين نسميهم اليوم المسلمين هؤلاء هم الجيش الذى أعطى ولائه لهذه الفئة.. وهنا لابد من البيان والايضاح فى حكم الشرع فى هذا الأمر:

أجمع العلماء أنه عند القتال بل إذا تقاتل المسلمون وغير المسلمين فإنه إذا تترس أعداء الإسلام بطائفة من المسلمين المستضعفين من النساء والضعفاء والشيوخ والأطفال ولكن إذا لم نقتلهم فسيتمكن العدو من اقتحام ديارنا وقتل أكثر منهم من المسلمين ويستبيح دولة الاسلام وينتهك الأعراض إذا فقتلهم مفسدة أصغر من المفسدة التى تترتب على تغلب العدو علينا فإذا كان إجماع المسلمين يجيز قتل هؤلاء المستضعفين الذين لا يقاتلوا فكيف بمن يقف ويقاتل ويحمل السلاح هذا أولاً... والأمر الثانى الذين يقاتلون فى صف هؤلاء المتمردين هم يريدون أن تعلوا شوكة الكفر وأن تنخفض شوكة الإسلام وعلى هذا فإنه يقول العلماء من كان يفرح فى نفسه فى علو شوكة الكفر وانخفاض شوكة الاسلام فهو منافق أما إذا أعلن ذلك

وأظهره فهو مرتد أيضاً».

وقد استندت قيادة نظام اليمن الشمالى على هذه الفتوى فى حربها على اليمن الجنوبى واحتلاله بهذه الفتوى الدينية الباطلة شرعاً والدليل على بطلانها بأن شيخ جامع الأزهر الشريف والشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ بن جبرين والشيخ الغزالى قد أفتوا ببطلانها وعدم أهلية من أطلق هذه الفتوى.

فالاطراف المحلية مع الأطراف الاقليمية والدولية لعبت لعبتها وعبثت بالوطن ومقدراته البشرية والمادية، وتتحمل الاطراف المحلية المتصارعة النسبة الكبرى من مسؤولية الحرب والانفصال «٨٠٪» بينما بنسبة ٢٠٪ تتحملها الاطراف الاقليمية والدولية.

وهناك الكثير من مواطنى اليمن يعتبرون أن حرب ١٩٩٤م كانت نتيجة حتميةوطبيعية للاجراءات السياسية المتسارعة لإعلان الوحدة المتسمة بالعدائية والتناحرية والتآمرية، وحاول المواطن أن يتنفس الصعداء بعد الحرب على أمل أن تزول أسباب الازمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ثم تتحقق طموحاتهم المعلقة منذ الوحدة وخصوصاً فى الاستقرار السياسى وتحسين مستوى الحياة الإقتصادية وتحقيق الاستقرار الاجتماعى لمختلف فئات المجتمع، ولكن الاحلام غير الواقع رغم فداحة وجسامة الخسائر المادية والبشرية والسياسية والنفسية التى عانى منها المواطن مع الوطن منذ الوحدة



مروراً بالحرب حتى اللحظة... فهناك أمور ظلت عالقة ولازالت عالقة:

وهنا يتدخل هارون قائلاً: وبعد الحرب وبصورة غير طبيعية برز فرز سياسى جديد يهدف للاطمئنان خصوصاً من قبل معظم أبناء الشطر الجنوبى لليمن الذى كان الحزب الاشتراكى اليمنى يحكمه منذ ١٩٦٧م حتى ١٩٩٤م حيث حرموا من معظم حقوقهم ولم ينلوا التعويض المناسب من قادته بعد الوحدة أو قبلها ومن ثم بعد الحرب حيث ظلت تهمة الانفصالية تطالهم وبسببها أصبحوا أكثر تضرراً من السابق فغالبيتهم طردوا من أعمالهم تحت مسميات كثيرة ومنها: الاصلاح الاقتصادى الذى أدى بهم إلى التقاعد الاجبارى والمبكر وتشكيل ما يسمى جزافاً «بحزب خليك بالبيت» رغم ما يحملونه من مؤهلات علمية وخبرات عملية.

وبالمقابل عانى المواطن اليمنى بصورة عامة من تلك الاثار المدمرة والمؤلمة ولكن الفرق بين مواطنى الجنوب ومواطنى الشمال أن الجنوبيين هم الأكثر تضرراً لأنهم كانوا يعتمدون فى حياتهم على الوظيفة العامة والتعليم المجانى والخدمات الصحية المجانية وسياسة دعم الاسعار للمواد الغذائية الاساسية التى أصبحت بعد الحرب معدومة لأن مستويات الدخل لا تتناسب مع مستويات الاسعار للمواد الغذائية المتصاعدة دائماً.

كـما أن مـواطنى الجنوب يشـعـرون أنهم مؤهليـن فى مخـتلف المجالات وهذا لا يعنى أن الحكومـة المركزية تقوم بتعـيين آخرين من إخـوانهم مـواطـنى الشـمـال بدلاً عنهم، وهُـم لهم الحق فى إدارة مناطقهم والمؤسـسات الكافيـة فى تلك المناطق. ثم أن تلك السيـاسة الحكومية تتعامل معهم وكـأنهم غير مواطنين، وهُم أيضاً سواء كانوا أعضاء فى الحزب الاشتراكى أو مـوظفين مع حكومات الاشتراكى لا يتحـملون أخطاء قيادتـهم خصوصـاً إذا لم يمارسوا أعـمال مخـالفة للقانون والنظام ورضوا بالوضع الجـديد الناجم عن خروج الاشتراكى من دائرة الحكم.

كما أن الفرز السياسى شمل معظم أحزاب المعارضة التى رفضت الحرب والانـفصال وقـد تعرضت قـياداتهـا وكوادرها للـمضايـقات السياسية والادارية.

ويتدخل حمزة متحدثاً عن الفرز الاجتماعى لما بعد الحرب قائلا:

نتيـجة للحرب حصل تعـامل رسمى تمييـزى فالقبيلة فى الشـمال زادت قوة وتماسكاً لأنها كانت محتفظـة بمقوماتها ما قبل الوحدة على عكس القبيلة فى الجـنوب التى فقدت تماسكها ودورها بفعل السـياسة الاشتراكيـة الرافضة لدور القبيلة وعندما حـاولت قبائل الجنوب إعادة ترتيب أوضاعها من بعد الوحدة والحرب واجهت الكثير من المصاعب وأهمها بـناء هياكلها التنظيمـية ولملمة أفرادها، وأيضـاً إثارة النعرات



القبليـة والثآرات القديمـة التى كادت أن تخـتفى أو اختـفت من قبل الأجهزة الحكومية وبعض الشخصيات الرسمية المنتقدة.

أدت تلك الممارسات إلى بروز مفـردات جديدة وصمت العلاقات الاجتماعيـة من أبناء اليمن، فكلمة «دحباش» - مقتـبسة من مسلسل كوميـدى درامى وإجتماعـى يمنى عُرض فى التليفزيون قـبل الوحدة بأشهـر وبنفس الإسم ومن إنتاج تليـفزيون صنعاء - أصـبحت تطلق على كل مواطن شمـالى رغم ما فيها من إجحـاف لأن الكلمة كانت تعنى أن كل فرد كائن من كـان يحاول تحقيق مطالبه ورغـباته بوسائل الرشوة والكذب والدجل والقوة بينمـا معظم المثقفين اليـمنيين حاولوا تحليلها بالصورة التالية:

حرف «د» تعنى دولة.

حرف «ح» تعنى حكايتها

حرف «ب» تعنى بلاطجة.

حرف «أ» تعنى أساسها.

حرف «ش» تعنى شاويش أو عسكرى أو جندى أو غفير.

وحللها المثقفين لدولة ما بعد الوحدة من دون استثناء.

أما كلمة «الانفصـالية» فقد أصبحت بمثابة تهـمة للمواطن الجنوبى الذى كان يشعر أنه خسر الكثير من نظام ما قبل الوحدة ونظام ما بعد الوحـدة لأنه بعد الحـرب تغـيرت المعـادلة السيـاسـية والاقـتصـادية

والاجتـماعيـة وبالذات بعد هزيمة الحـزب الاشتراكى وتشـرد معظم قياداته وكـوادره إلى بلدان عربية وغير عربيـة. . . فأصبح البلد تحت هيـمنة المنتصـرون الذين سعـوا إلى تعديل الدسـتور وإعـادة تشكيل حكومة جديدة من حزبى المؤتمر والاصلاح وتكبد الوطن خسائر مادية وبشرية غـير مـبررة وهنا يجب الاعـتراف بأن التدخـلات الإقليمـية والدوليـة ساعـدت على تاجـيج أزمة الحـرب والانفصـال وأوصلت القضية إلى مجـلس الامن الدولى الذى تكفل باصدار قرارين دوليين رقم «٩٢٤ و٩٣١ » وتتضمن نصوصهما على التالى:

١- قرار مجلس الأمن الدولى رقم «٩٢٤»

الصادر ١/٦/١٩٩٤م

هذا القرار اتخذه مجلس الأمن فى جلسته رقم ٣٣٨٦ المنعقدة يوم ١ حزيران/ يونيو ١٩٩٤م

إن مجلس الأمن وقد نظر فى الحالة فى جمهورية اليمن وإذ يأخذ فى اعتباره مقاصد ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة وإذ يساوره بالغ القلق لإيذاء موت المدنيين الأبرياء الفاجع وإذ يقدر الجهود التى تبذلها جامعة الدول العربية ودول التعاون الخليجى ومنظمة المؤتمر الإسلامى والدول المجاورة والدول المعنيـة الأخرى فى سبـيل المساهمـة فى حل الصراع بالوسائل السلمـية وفى ضمان إحـلال السلم واستقرار فى جـمهورية اليمن.

وإذ يرى ان استمرار الحالة يمكن أن يعرض السلم والأمن فى المنطقة للخطر.

١- يدعو إلى وقف فورى لإطلاق النار.

٢- يحث على الوقف الفورى لتوريد الأسلحة وغيرها من المعدات التى قد تسهم فى استمرار الصراع.

٣- يذكر كل من يهمه الأمر أنه لا يمكن حل الخلافات السياسية باستخدام القوة ويحثهم على العودة فورا إلى المفاوضة مما يسمح بحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية.وإعادة إحلال السلم والاستقرار.

٤- يطلب من الأمين العام ايفاد بعثة لتقصى الحقائق إلى المنطقة فى أقرب وقت ممكن عملياً من أجل تقييم الإمكانيات لتجديد الحوار بين جميع الأطراف المعنية ولبذل المزيد من الجهود من جانبهم لحل الخلافات بينهم.

٥- يطلب من الأمين العام أن يقدم إليه تقريرا عن الحالة فى وقت مناسب ولكن فى موعد لا يتجاوز أسبوعاً واحداً من تاريخ إنجاز مهمة تقصى الحقائق.

٦- يقرر إبقاء المسألة قيد النظر الفعلى.

٢- قرار مجلس الأمن الدولى رقم «٩٣١»

الصادر فى ٢٩ يونيو ١٩٩٤م

اتخذ مجلس الأمن هذا القرار فى جلسته رقم ٣٣٩٤ المنعقدة فى

٢٩ حزيران/ يونيو ١٩٩٤م.

إن مجلس الأمن:

اذ يعيد تأكيد قراره ٩٢٤ «١٩٩٤» المؤرخ ١ حزيران/ يونيو ١٩٩٤م بشأن الحالة فى الجمهورية اليمنية «اليمن».

وقد نظر فى تقرير الأمين العام عن بعثة تقصى الحقائق الموفدة إلى اليمن، المؤرخ ٢٧ حزيران/ يونيو ١٩٩٤ «٧٦٤/ ١٩٩٤/ S».

وإذ يؤيد بقوة بالمساعى التى يبذلها الأمين العام ومبعوثه الخاص وجامعة الدول العربية.

وإذ يؤيد بقوة النداء الموجه من الأمين العام من أجل الوقف الفورى والتام لقصف مدينة عدن، وإذ يدين عدم الاكتراث بهذا النداء.

وإذ يشعر بانزعاج لعدم تنفيذ أو مواصلة وقف إطلاق النار بالرغم من قيام الجانبين بإعلان وقف إطلاق النار عدة مرات.

وإذ يساوره بالغ القلق إزاء الحالة فى اليمن، وبصفة خاصة إزاء تدهور الحالة الإنسانية فى أنحاء عديدة من البلد.

وإذ تثير جزعه التقارير التى تفيد باستمرار توريد الأسلحة وغيرها من العتاد.

١- يكرر تأكيد مطالبته بوقف اطلاق النار فوراً:

٢- يشدد على أهمية وجود وقف إطلاق نار يشمل جميع

العمليات الأرضيـة والبحرية والجوية وتنفيذه تنفـيذا فعالاً بما فى ذلك وجود أحكـام تتعلق بوضع الأسلحـة الثقـيلة فى أماكن تجـعل عدن خارج مرماها:

٣- يشجب بقوة إيقـاع إصابات ودمار بين المدنيين نتيجـة للهجوم العسكرى المستمر على عدن:

٤- يطلب إلى الأمن العـام ومبـعوثه الخـاص مواصلة المحـادثات تحت رعايتهما مع جمـيع المعنيين بهدف تنفيذ وقف دائم لاطلاق النار وإمكانية إنشاء آلية مقبولة للجـانبين، يفضل ان تشترك فيها بلدان من المنطقة لرصـد وقف اطلاق النار والتشـجيع على احـترامه والمسـاعدة على منع انتهاكه وتقديم تقرير إلى الأمين العام:

٥- يكرر تأكيد مطالبته بالوقف الفورى لإمدادات الأسلحة وغيرها من العتاد:

٦- يكرر تأكيد أن الخلافات السياسـية لا يمكن حسمها عن طريق استعـمال القوة ويأسف بالغ الأسف لقعود كـافة الأطراف المعنية عن استئـناف الحوار السياسى فـيما بينها ويحـثها على القيـام بذلك فوراً وبدون أية شروط مـسبقـة لكى تتيح بذلك التـوصل إلى حل سلمى لخلافاتها واستعادة السلم والاستقرار ويطلب إلى الأمين العام ومبعوثه الخاص دراسة السبل المناسبة لتيسير تحقيق هذه الأهداف:

٧- يعرب عن بالغ قـلقه إزاء الحالة الإنسـانية الناجـمة عن النزاع

ويطلب إلى الأمين العام أن يستخدم الموارد الموجودة تحت تصرفه بما فى ذلك موارد وكالات الأمم المتحدة ذات الصلة فى تلبية احتياجات المتضررين بالنزاع بصفة عاجلة لاسيما سكان عدن والأشخاص المشردين من جراء النزاع ويحث جميع المعنيين على أن يتيحوا سبيلاً إنسانيا لوصول إمدادات الإغاثة وأن يسهلوا توزيعها على من هم بحاجة إليها أينما وجدوا:

٨- يطلب إلى الأمين العام أن يقدم إلى المجلس تقريراً مرحلياً عن تنفيذ هذا القرار بأسرع ما يمكن وعلى أى حال فى غضون ١٥ يوماً من اعتماد هذا القرار:

٩- يقرر أن يبقى هذه المسألة قيد النظر الفعلى.

كان سيف يقرأ القرارات الدولية على أصحابه ثم يواصل الحديث:

فالمواطن الجنوبى يشعر بأنه لا يتمتع بحقوقه كمواطن، وباتت كلمة «الإنفصال» بمثابة تهم تطلقها الحكومة وأجهزتها الاعلامية على كل من يعارضها بحق أو بدون حق.

وتبدو تلك المفردات كمعضلة كبيرة يستحيل التخلص منها فاطرافها يتناولونها كتنفيس سياسى وفكاهى من دون معرفة أخطارها الثقافية والنفسية والاجتماعية والسياسية فى المستقبل.

وإذا بفضل يتدخل لشرح الإفرازات الاقتصادية ما بعد الحرب قائلاً:

لقد حدث فرز اقـتصادى متعمد أصبـحت هى السمة التى طبعت الوضع الاقتصادى بشكل عام ويعانى منها كل اليمنيين فهناك ٥٪ من عدد السكان تتمـتع بالثراء الفاحش من خلال سيـطرتها على المفاصل الاقتـصادية الرئيـسيـة وهناك البقـية ٩٥٪ يعيـشون تحت خط الفـقر بمستويـات متفاوته. ثم كانـت حرب ١٩٩٤م البداية الأولى لتصـفية مؤسسات القطاع الـعام للشطر الجنوبى حيث تم تصفيتـها تحت شعار الاصلاح الاقتصادى ومفاهيم الخصـخصة بأبخس الاثمان لشخصيات سياسـية وتجارية معظمـهم من مواطنى الشمال وهنا خـسرت الكوادر اليمنية الجنوبية والموظفين لوظائفهم ومصالحهم البسيطة والاساسية.

كمـا أصبـحت أراضى الجنوب توزع بالكيلو مـترات علـى رموز النظام إما بـأثمان رخيـصة أو بالقـوة للطرف المنتصـر ومناصريه... فمثلاً شخصية متـنفذه بسطت على مساحات كبيرة من الأراضى وبدأ يتصـرف بها كـأنها حق من حـقوقـه الشرعـية التى ورثهـا عن آبائه وأجداده بينما أهلها محرومون من قطعة أرض ليستر بها نفسه وعائلته من غدر الزمان تعـويضاً عن حقوقهم التى حـرموا منها فى الماضى، وطبعـاً تلك لا يمكننا اعتـبارها سيـاسات رسمـية للحكومـة ولكنها ممارسات شخصية لأشخاص لا يحترمون شعبهم وحكومتهم ومواقعها العامة بل وذاتهم مادام الامر لن يدعوهم للمـحاسبة والعقاب ولكنها أصبـحت سياسـات رسميـة وعامـة وبلغت نسبة البطـالة بين القوى

العاملة الجنوبية إلى ٦٤,٧٪من إجمالى البطالة اليمنية العامة، كما تبلغ نسبة الاستثمارات الجنوبية فى مناطق الجنوب بنسبة ٢٣,٩٪من إجمالى نسبة الاستثمارات اليمنية فى الجنوب.

وبالعودة إلى أحد قرارات اتفاقية قيام الوحدة والخاصة باعتبار مدينة عدن عاصمة اقتصادية وتجارية وجعلها منطقة حرة فقد ظل القرار يراوح مكانه بالاجبار فيما بين الظهور والاختفاء منذ ذلك التاريخ ٢٢/ ٥/ ١٩٩٠م وحتى يومنا هذا وتحويل منطقة تتمتع بنفس أمتيازات مدينة عدن الجغرافية والاقتصادية فى حالة وجود نيات صادقة لتحقيقها فلا يعقل أن تحتاج إلى هذه السنوات - ١٥سنة - من دون فائدة تذكر ونتيجة لذلك الوضع المتردى انتشرت ظواهر الدعارة وبيع الخمور والشحاتة بالذات شحاتة الأطفال، وهذه الظواهر السيئة تقودها عصابات متخصصة معظمها تابعة لشخصيات متنفذة فى الحكم وأصبحت كممارسات تجارية مربحة، ثم برزت ظاهرة الإتجار بالاطفال عن طريق تهريبهم إلى دول الجوار واستخدامهم للشحاته.

ويتدخل سيف متحدثاً عن مواضيع أخرى.. يقول:- وبفعل كل ذلك كانت الأوضاع السياسية تزداد سوءاً يوماً بعد يوم... فهامش الديمقراطية أصبح لا يحتمل التوسع والتمدد والنمو مما قاد بالتالى إلى تكريس مفاهيم سياسية قائمة على شمولية الحزب الواحد والقائد

الأوحد وأيضاً مفـاهيم توريث السلطة باستخدام وسائل الديمـقراطية المقننة على شـخصيـة القائد الأوحـد، وباتت الديمقراطيـة تستـخدم كوسـيلة للاستهلاك الاعـلامى الخارجى بهدف إقناع العـالم الخارجى بصواب النهج السيـاسى للحكم، كما أن الأوضاع قـادت إلى انتشار ظواهر الإرهاب والاغتـيالات السـياسيـة والاختطافـات وكانت تلك الظواهر تبرز بين الفينة والأخرى وكأنهـا ظواهر موجهة من قبل دوائر معنيه فى جهاز السلطة.

ومثلت ظاهرة الارهاب معضلة كبرى للسلطة محلياً وخارجياً مما زاد من الضـغوط الاجنبـية والاقليـميـة على السلطة حيث كـانت الدوائر الاقليميـة والدولية الرسمية تعتبـر اليمن من الدول الحاضنة والداعـمـة للإرهاب مما أثقل الاحـمال على الـسلطة ودفعـهـا إلى التخلص من بعض سياساتها المحليـة وخصوصاً التحالف مع حزب التجمع اليمنى للاصلاح ذات التكوين الاسلامى والتجارى والقبلى كان ذلك بفعل ضغط دولى على اعـتبار أن تجمع الاصلاح هو بؤرة لجماعات مـتطرفة مما أدى إلى فض التحالف فيـما بين حزب المؤتمر الحـاكم وتجمع الاصـلاح بعد الانتـخـابات البرلمانيـة ١٩٩٧م التى أفرزت عن فوز حـزب المؤتمر بالغالبية المطلقة لمقـاعد البرلمان وعلى الرغم من فض التحالف إلا أن هناك بعض العلاقـات استمرت بين رموز قـيادية أو تيـار مستنفـذ فى تجمع الإصـلاح مع حزب المؤتمر



الحاكـم إلى انتخـابات ٢٠٠١م حيث يتـحمل مـسؤولية أو رئـاسة البرلمان رئيس حزب تجمع الاصلاح.

وكـانت رؤية الحزب الحـاكم ضـيـقة بالنسـبـة لتوسـيع الهـامش الديمقراطى وتوسيع المشاركة السيـاسية أو طرح رؤية اصلاحية شاملة للوطن، ورؤية الحزب الحـالية تقـوم على أساس عدم تشـجيع تنمـية وتفعيل القوى السياسية اليمنية وكذا منظمات المجتمع المدنى بهدف أن يظل مـحتكراً لـلسلطة والقوة عـلى حسـاب إضعـاف بقـية القـوى السياسية.

بعد إعلان الوحدة كان الناس مشغولـين بمتابعة الاحداث السياسية والاختلافات التى نشبت بين شركاء الوحدة من جهة ومحاولة ترتيب أوضاعهم بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة من جهة أخرى.

الفصل الثامن

كان أمـين قد إنـقطعت عنه أخبـار بعض زملائه وبالذات بـعد الحرب وحاول جـاهداً البحث عنهم حينمـا دعا المتبقى مـن أعضاء مجموعته مع عائلاتهم إلى وليمة غـداء أقامها بمناسبة استقباله لأبنه رقم «٤» والذى أطلق عـليـه إسم مـصطفى أمـين تيـمنـاً بالكاتب الصحفى العربى الشهير مصطفى أمين، وفاجأته سحر قائلة:

خذ هذه الـوريقات وستـعرف من خـلالها على كل تـساؤلاتك وهى بالمناسبة آخر ما سطره قلمى وأنتجته ذاكرتى.

بشغف يسحب منها الورق ثم يرد عليها:

إنك تذكـرينى بأيام الجامـعـة حينمـا كنا نعـتمـد على تدوينك للمحاضرات وتحليلها.

«بعد الوليـمة» وأنفـراد الرجال لتعـاطى أوراق القات ومـغادرة ضيوفه ينفرد أمين مع باقى مذكرات سحر ويبدأ بقراءتها على النحو التالى:

● شكرت اللّه وصليت ركـعتين بعـد عمليـة إخلاء طرفى من وظيفتى وكنت أكثر سعادة لأن الغمة التى علقت معى بدأت تتحلل وتنفرط عُقدها... وكتبت رسالة شكر لصديقتى زينب رئيستى فى العمل عـلى تبنيها لـقرار يمنحنى مكافـأة مالية بمقـدار راتب ثلاثة أشهر نتيجة لخدماتى مع الجـمعية وهى المرة الأولى التى أستلم فيها

راتبى بالكامل من دون خصومات واستقطاعات.

● بعد تركى للعمل كنت أعد نفسى للدراسة العليا حيث كنت أطوف المكتبات لشراء بعض المراجع وأيضا التبضع للمولود الجديد الذى كنا ننتظره بفارغ الصبر.

وبعد أيام زارنا الضابط حسام وعائلته من دون موعد سابق ولكنى قمت بإعداد عشاء بسيط وتسامرنا معاً حتى منتصف الليل ومن خلال حوارنا أكتشفت أن حسام فى حالة قلق غير طبيعى فيما أذا تحدثنا عن الإجراءات السياسية فى البلد تحضيراً ليوم الوحدة، فحاولنا التخفيف من قلقه ولكن دون جدوى ومن دون ان يفصح لنا عن سبب أو دوافع قلقه.

● بعد أسبوع من تركى للعمل شعرت بفراغ كبير لم أتعوده وخفت أن يصيبنى القلق وأنا حامل فاخبرت سمير بأنى أفكر بدراسة اللغة الانجليزية بمعهد المدراسى بمدينة كريتر فوافقنى وشجعنى وذهب ليسجل اسمى بالمعهد دون ابلاغى وبدأت الدراسة حتى موعد الجامعة، كما أكثرت من زيارة أسرتى ومراجعة الدروس مع دينا وعبدالرحمن وأخوانى.

● فكرت بكتابة المقالات كما فكرت بأرسالها للصحف ولكن تراجعت عن الفكرة الثانية وبدأت أكتب فى النثر واحفظ ما اكتبه



عن عيون الآخرين حتى سمير وإذا بى أكتب قصة قصيرة فتشجعت وكتبت أكثر من خمس قصص قصيرة وكانت السادسة هى اول عمل ينشر لى تحت اسم مستعار فى صحيفة ١٤ اكتوبر اليومية ولم اصدق نفسى يوم قرأتها فى الصحيفة فكتبت غيرها ونشرتها مجلة الفنون.

● كنت أحب قراءة مجلة العربى الكويتية والحكمة اليمنية والصحف الاخرى ومنها صحيفة "صوت العمال" حيث كنت اعتبرها مشاغبة وجريئة وشدنى لها ان احد زملاء الجامعة كان مواظباً على الكتابة فيها وبجرأة يحسد عليها.

حتى سمير وسعيد وفيفى كانوا يشاطرونى الرأى فى ما يكتبه ذلك الزميل رغم أن نصف مقالاته تتعرض للنقد القاسى والجارح من دون أن يغير من اسلوبه فى الكتابة.

وفكرت ان اكتب لصوت العمال مساهمة مشجعة لزميلى ولكنى عدلت وكتبت تعقيب على احد مقالاته الجريئة التى تطالب بالقيام ببعض الاصلاحات الضرورية فى السياسات الاقتصادية للسلطة ونشرتها الصحيفة بعد ارسالها بأسبوع بنفس الصفحة التى حملت أيضا مقالة لذلك الزميل وتوقعت أن تعقيبى المشجع لاطروحاته لن تثيره ولن تدفعه للرد ولكنه خالف توقعاتى حيث كتب مقالة جديدة

له بعد أسبوع من مـقالتى يشكرنى على موقفى واعتبـر تعقيبى هى رؤية جديدة لجيل الثورة والاستقلال.

● أول يوم لى ولسمير فى الدراسـة لم نصدق انفسنا بأننا عدنا لحياة الدراسـة فتحركنا ومعنا سعـيد وفيفى.. طبعـاً أنا وفيفى كنا منقبات رغم أن فيفى لم تكن موافقة على النقاب ولكنها جاملتنى، واتفقنا ان لا نندمج مع زمـلائنا فى ظل الظروف التى نمر بها، وفى أول محـاضرة لـنا شاهدت بعض الزمـلاء القدمـاء وكنت وفيـفى مشتاقـين للتعرف عليهم وتبادل الحوار مـعهم والسؤال عن أحوالهم وضغطنا على انفسنا كما ضغطنا على سمير وسعيد بأن لا يتصرفوا بدوافع عـواطفهم فنحن لازلنا تحت المراقـبة... وبـصورة سريـعة تعرفا سـعيد وسمير على زمـلائهم وقاما بمصافحتـهم والسلام فقط ورأينا الدهشة فى عيـون الزملاء القدماء ومـا أن دخل الزميل أمين بطريقته البـشوشة والبسيطة التـى عرفناها فيه حتى اعـترتنا الدهشة وكانت فيفى أكثر منا دهشة بل وفرحا فحاولت ان اهدئها لكنها لم تبالى.. فهى كانت اكثر الزمـلاء قرباً لأمين والجميع كان يعرف أن فـيفى كـانت تعـز أمـين كـثيـرا وهى التى رشـحت أمـين لسلمى والعكس، وعندما نظرت الى عـينيها احســست بفرحتهـا وان قلبها يتحرك بســرعة بل وان كل جسمهـا يكاد يهتز فرحاً برؤيتـها لأمين

بعد غياب سنوات.

● بعد المحاضرة لمحت امين ببشاشته المعهودة بعد نهوضه من مقعده ليسلم على اصحابه القدامى ويحتضن كل واحد منهم وما أن وصل إلى سمير وسعيد وعانقهم بحرارة رأينا فيفى تنزل النقاب عنها وتنهض لتسلم على امين، انا كنت فى حيرة وتوقعت ان يكون سعيد اكثر حيرة منى ولكنى لم الحظ فى ملامحه ما يشير الدهشة والحيرة بل كان مبتسماً لأنه كان يعرف طبيعة العلاقة بين فيفى وامين وبينى وبين امين.

ولمحت الدهشة على وجه أمين مصحوبة بالابتسامة وهو يرى فيفى تنزع نقابها وتتجه للسلام عليه فاتحة ذراعيها له كأخ أو أب.

وشعرت بالندم حينما مد يده لى مصافحا بعد تقديم فيفى لى اليه وخصوصاً عندما ظلت يده ممدودة لى من دون ان أمد يدى اليه، وزاد شعورى بالندم عندما رأيت عينيه تكاد تكون مستعدة لانسكاب دموعها... لا ادرى ماذا حدث لى فالذى بينى وبين أمين علاقات صداقة قوية وجميلة؟

● فى كافيتريا الكلية وحينما رأيت بعض من مجموعة الزملاء السابقين وفيفى تجلس بجانب أمين من دون رؤية أى ملامح غيرة على وجه سعيد، بينما كنت وحدى رافضة مشاركتهم رغم

توسلات سعيد وسمير وفيفى، وسبب تصرفاتى هو انى لازلت مرتبطة بعملى فى الجمعية واعرف أنهم يلاحقون اعضاءها وموظفيها وينقلون لمرؤسيهم تقارير كيدية تقشعر لها الابدان وقد سمعت ذات يوم عن شاب وفتاة من اعضاء الجماعة وقد تزوجوا بعد التعارف فى اطار الجماعة وحينما كانوا فى رحلة جماعية لأحد الشواطئ العدنية جلسوا على ظهر حجر سطحه فى طرف البحر يتبادلان الكلمات والنظرات ثم نسوا انفسهم حينما اندمجوا فى تبادل القبلات فرآهم بعض زملائهم وكتبوا تقريرهم الكيدى الذى أدى الى تحويلهم للجنة تحقيقات داخلية خاصة بالخروج عن الآداب رغم انهم متزوجين شرعياً وخرجت اللجنة بعدد من القرارات مثل: تحذيرهم بعدم تكرار ذلك فى العلن، اجبارهم على تاديتهم لعمل تطوعى فى أحد المخازن الخاصة لأحد شيوخهم لمدة ثلاثة شهور.

● أنا كنت حينها ضعيفة ومترددة فى التعامل مع الزملاء وبالذات امين رغم احساسى الداخلى بأن عقلى يرفض تصرفاتى وقد دعوت ربى ان يهدينى ويساعدنى على تجاوز هذه المرحلة التى امر بها ويجعل زملائى متفهمين لوضعى فى مسامحتهم لى وبالتحديد أمين.

١٠- بعد نهـاية الدوام انهالوا عليـا- سمـير وسعـيد وفـيفى- بالعتاب واللوم وقد ظللت صامتة على اعـتبار ان صمتى عبارة عن اعترافى بخطأى ولكنى لا اعرف ان كانوا يعرفوا دوافع تصرفاتى.. ومن الكلية حـتى البيت كنت صامـتة وبعد أن اعـددنا الطعام- انا وفيـفى- وتغدينا، ذهب سمـير وسعيـد الى غرفهم للقـيلولة بينما بقيت وفيفى نتكلم لوحدنا وقد بدأت الكلام:

الحمـد لله ان ابعالنا تركونا لوحـدنا لانى كنت اود الانفراد بك لكى افضفض معك براحتنا.

ترد عليَّ فيفى وهى مشـغولة بتنظيف الاوانى بينما انا كنت اعد الشاى:

وبالتأكيد الفضفضة خاصة بما حدث اليوم.

لم اعـقب عليـهـا لانى غـادرت المطبخ حـاملة ثلاجـة الشـاى "ترموس" مع الاكواب باتجاه الصالة وقـمت بصب الشاى وفتحت التليفـزيون كما قمـت بتشغيل جـهاز التكييف وناديت على فـيفى بالتوقف عن العمل ولكنهـا حضرت بعد خمس دقائق من اكـمالها لعملهـا وجلست فى مقعد مـقابل لى... ناولتها كـوب الشاى ثم قلت لها:

لقد حسدت شجاعـتك اليوم وشعرت انى غلطت وظللت ادعو

ربى بأن يسامحنى وتسامحونى كلكم.. أنى فعلا ندمانة من تصرفاتى وانتى وحدك ستقدرين ذلك لأنى فى الحقيقة لم اكن اتوقع رؤية أمين وعند رؤيته كان الارتباك مسيطراً على تصرفاتى.. لقد كنت خائفة من العيون الخفية لاصحاب التقارير الكيدية لأنى لازلت مرتبطة بعمل مع الجمعية، ولا أدرى ان كان امين سيتفهم موقفى ويسامحنى لأنه هو الذى يهمنى فقط خصوصاً وأنى لم أقدر شعوره حال رفضى لمصافحته.

تجيبنى فيفى:

جميعنا كنا متفهمين لموقفك وخصوصا امين وقد طالبنى ان انقل لك تحياته وسلامه لك وهو يرغب فى لقاءك سواء فى بيته او فى بيتكم أو أى مكان يعجبك. اما حكاية شجاعتى فإنى استلهمها منك ولكنى لم استطع تمالك نفسى حينما رأيته أولاً وثانياً عندما كان مقبلاً أمامنا... وأمين بالنسبة لى كأخ ان لم يكن والد هو الوحيد الذى اشعر بالتلقائية فى احاديثى وتصرفاتى معه، صحيح انى تعرفت عليه من خلالك وتعمقت علاقتى به وبك وكلنا نتفق على انه الوحيد الذى نجمع على حبه واحترامه.

سألتها:

وماذا قال لك؟ يعنى هل سألك عنى؟

اجابتني :

بصراحـة كان مشـغول التفكيـر بك من خلال تسـاؤلاته عن ما جرى لك واسباب تغير تصرفاتك الغريبة وهل هناك امكانية لتغييرك واللقاء بك؟ فشرحت له وضعك ووضعي وابدى استعداده لمساعدتنا وابلغنا تحيات سلمى و

قلت :

وبماذا تنصحيني؟

ردت : ندعوه لزيارتنا .

قلت : اعتـقد ان اللقـاء في أماكن أخـرى غير السكـن سيكون أفضل ومن دون حضـور أحد غيرنا واقصـد أمين وانا وانت فقط ، لاني اريد ان اتحدث مـعه بصراحة مع مناقـشته في موضـوع خاص ستـعرفينه أثناء اللقاء ثم قـولي لي . . كيف تصرفـتي مع امين من دون ردة فعل رافضة من سعيد ، هل تتوقعي ان يناقش الامر معك؟

ردت عليَّ :

كيفـما شئت؟ اما ردة فعل سـعيد فأعرفـها لأن الذي بيننا أقوى من كل شئ ثم ان سعـيد يعرف طبيعـة العلاقة التي تجمـعنا بأمين واعرف مسبقاً اننا لن نتناقش في ذلك .

● في اليوم الثـاني تغيبت عن حضور الـدوام تحت أعذار واهية

رغم ان سببى الخاص هو فى عدم وقوع مواجهة جديدة مع امين الذى سأل عنى من سمير وفيفى وبدورها ابلغته فيفى عن طلبى فى رؤيته فأبلغها سلامه وتحياته لى وموافقته على اللقاء، وقد استغليت فترة غيابها فى مراجعة مذكراتى قبل تسليمها لأمين لكونى قد قررت عرضها عليه لابداء رأيه فيها كما انى ارادت ان اهيىء نفسى لمقابلة امين.

وبينما كانت اراجع مذكراتى رن الهاتف وما ان رفعت السماعة حتى نطقت باسم زينب التى قالت لى: لقد كنت احاول السؤال عنك فربما فرضت أن لا اجدك فى المنزل لانى بصراحة اشتقت اليك كما انى عاوزة افضفض معك..

فرديت عليها: احلى صوت سمعته فى هذا اليوم وانا نفسى مشتاقة لك بصورة لا تتصوريها ولهذا فأن سأنتظرك الليلة.

ترد على: سأحاول اليوم ان اكمل اعمالى واعيد تنظيم مواعيدى واذا انا كنت قادمة اليك فلن اتصل بك حتى الساعة السادسة مساءا اما اذا اتصلت بك فأعرفى انى لن أحضر..

وظللت بعد المكالمة أحلل وأفكر بحديث زينب... المهم لفيت حول نفسى أكثر من ساعتين فكرة تنزل وأخرى تطلع ولكن سيطرت علىّ الهلوسة بإعداد وجبة الغداء، ولأنى توقعت حضور

فيفى وسعيد فقد اعددت الغداء لنا جميعاً وبالفعل حضرت فيفى مع سمير وسعيد وسررت كثيراً بحضورهم فقامت فيفى بواجب التحضير للسفرة بينما سعيد توجه للحمام للاغتسال ثم تبعه سمير وبقيت مع فيفى على الكرسى فى المطبخ أتحدث معها وأبلغتنى بما دار من حديث بينها وبين أمين، وأخبرتنى بمكان اللقاء وهو منتزة نشوان فى مدينة التواهى وهذا المكان يطل على البحر وقريب لميناء عدن والميناء الحربى، كما أخبرتنى بأن أمين قد قرر أن يدعونا إلى زيارته كما أن حرمه سلمى سعيدة برؤيتنا وتتمنى أن ترانا وقد أبلغنى بنقل تحياتها إليك وإلىّ وعلى فكرة هى أم لطفلين وحامل فى أيامها الأولى وأثناء تناولنا الغذاء تكلم سمير بلغة هادئة.. ويقول:

أول مرة فى حياتى أشعر بالحرج أثناء اللقاء بالأخ أمين وكان كعادته سباقاً فى ازالة الحرج منى وحاول جاهدا تجاوز حيرتى بأن سألنى عن احوالنا وعنك- يقصدنى أنا- ووجدت فى هذا الانسان صفات فريدة ومتميزة قلما تجدها فى انسان اليوم.

حاولت ان اقاطعه لكن فيفى تدخلت وقالت:

كلنا نتفق على انسانية أمين وهو متفهم لاوضاعنا وهذا ما وجدته بحديثه معى اليوم وامس وقد وجه لنا دعوة خاصة لزيارته

نهاية الاسبوع بمناسبة عقد زواجنا، ثم ان علينا أن فكر جيدا بوضع سحر بدرجة اساسية.

يرد سمير:

اتفق معك بوضع سحر ولكن لا يعنى هذا ان لا نتواصل مع أعز الأصدقاء، وأنا اعتقد انه لابد لنا من التفكير بكيفية التخلص من ذلك الرعب الذى يسيطر علينا وأنا سئمت من الاستسلام للخوف.

حاولت الحديث لكن سعيد سبقنى بالحديث قائلا:

اتفق مع فكرتك وأؤيد البدء بها من الآن واعتقد أن البحث عن اعمال اضافية لنا ضرورية فى هذا الوقت وأنا لا أمانع فى مفاتحة أمين بالأمر وهو بالتاكيد لن يقف صامتا.

ساد الصمت للحظات كنا جميعا مشغولين بتناول الطعام ولكنى لم أكن أشعر بذوق للطعام لأنى كنت أريد الكلام وأحسست ان الجميع لا يريدونى بأن أتكلم ولكن سمير فاجأنى بعد تلك اللحظات بأن كسر جدار الصمت قائلا: عفوا حبيبتى سحر اعرف انك تودين الكلام خصوصاً وأنك لا تستطيعى تحمل الصمت فى حديث مهم وأنتِ الطرف الرئيسى فيه..

فشعرت أن سمير قد قرأ ملامح وجهى وتصرفاتى فبادرته

بالقول: كنت أود تأجيل الحديث لما بعد الطعام ولكن مادمت طلبت ذلك فإنى أود القول بأننى اكثر منكم ندماً على تصرفاتى الغبية مع صديقنا أمين ولكنى على ثقة بأن أمين سيتفهم لأمرى وأمركم ولا تعتقدوا أننى مرتاحة من اوضاعى الحالية وربما أكثر منكم شوقاً وتطلعاً للتحرر من القيود التى تكبلنا جميعاً، وأنى الآن لا أرى مانعاً من اللجوء إلى أمين لحلحلة أوضاعنا وعلى فكرة زينب اتصلت بى اليوم وطلبت زيارتى والحديث معى وقد احسست من حديثها انها تود ان تقول لنا شيئاً جديداً، وهى ربما تكون هنا مع الساعة السادسة وهذا يعنى ان عليكم الخروج وتركى وفيفى لاستقبالها وبعدها نعاود الحديث عن النتائج.

وواصلت حديثى قائلة:

أريدكم أن تتعاملوا وتتصرفوا بثقة مع أمين بتلقائية ومن دون حساسية فى المراحل الأولى وأعدكم بأن أغير من تصرفاتى مع الأيام وربما ستكتشفون المفاجأة منى والتى لم تتوقعوها.

ثم يتدخل سعيد فى الخط ويقول:

أكثر من مفاجأة حبيبى فيفى التى ادهشتنى لا اعتقد، لقد كانت أكثر منا شجاعةً وصواباً وجسدتها حينما نزعت منى الخوف من المواجهة.

ثم قاطعته فيفى بسؤال أضحك سعيد:

هل يعنى أن تصرفى آثار غيرتك عليَّ.. قل الحقيقة ولا تخف؟

أجابها بعد إطلاقه لضحكات معبرة:

فسريها كما تشائين وللحقيقة يا حياتى إننى شعرت بالغيرة من شجاعتك وليس من شئ آخر لأنى اعرفك جيداً واعرف أن أمين هو الذى كان سببا فى حبنا وأنك تنظرى إليه كأخ كبير ومثل أعلى..

سألت بدورى فيفى إن كانت جادة فى سؤالها فردت:

بالطبع أنا جادة ولكنى كنت اعرف مسبقا بجواب سعيد ويكفى انه للمرة الاولى يعبر عن احساسه بالغيرة على وان كانت بطريقة غير مباشرة.. وصدقينى انا مسرورة من حديثه الذى يسحرنى دائما ويذكرنى بأيام الجامعة وقبل الزواج.

ثم وجهت لنا سؤال وهو:

بالله عليكم قولوا الصدق ألم تكونوا سعداء برؤية أمين؟ ألم يحس كل منكم بأنكم كنتم تودون لو ترجع أيام زمان يوم كنا نتعامل بتلقائية وبراءة؟ ألم تشعرون أن أمين بأخلاقه الدمثة اعاد فينا بعضاً من الروح الصادقة التى فقدناها منذ سنوات؟

يجيبها سعيد والابتسامة الهادئة مرسومة على ملامحه:

فى كل يوم اكتشف فيك حاجات جديدة تزيد من حبى لك
واتمنى لو تصدقينى.. واما تساؤلاتك فلا نقاش فيها فما شعرتى به
نحن ايضا شعرنا به وأمين بالمناسبة الوحيد من مجموعتنا القديمة
الذى ظل يحافظ على طباعه وعاداته وهذا على حد علمى عائد
الى طبيعة نشأته والعالم المحيط به وأيضا لثقافته الراقية.

وكان لابد من تدخلى حتى امحى سوء الفهم من قبلهم عنى
فقلت:

نفس الاحساس والمشاعر راودتنى عندما رأيته ولعلكم تعرفون انه
كان مخزن اسرارى وكنت ولازلت احبه واحترمه كأخ وأب ومثل
أعلى وصديق عزيز وهو الوحيد الذى كان يخفف عنا الأحزان
وأيضا الأخوة سيف وهارون... لعلنى لا أبالغ بوصفى له...
دعونا نفكر كيف ننسى الماضى وكيف ننطلق للمستقبل؟

الفصل التاسع

الساعة السادسة ولم تحضر زينب... احسست بالقلق لتأخرها... الساعة السابعة أيضا ولم تحضر... فزاد القلق واشتد بى الخوف عليها وعلينا... كما كانت فيفى قلقة من قلقى ولكنها أكثر منى هدوءا وعقلانية فى التفكير... وحينما دقت الساعة الثامنة مساءا.. قلت لفيفى: ماذا حدث؟ وما العمل؟ فردت على: الصبر والهدوء والدعاء بحسن الخاتمة و... قبل أن تكمل سمعنا طرقات على الباب ولم نتوقع أنها زينب وتوقعنا أزواجنا.. لكن توقعاتنا طلعت فشنك لأن الطارق كانت زينب التى باشرتنا بالاعتذار عن تأخرها لأن سيارتها تعطلت فى الطريق قبل الساعة السادسة وعادت بسيارة أجرة إلى أحد معارفها الذى ساعدها على احضار مهندس سيارات وظل يصلح فى السيارة حتى السابعة والنصف وبسبب الارتباك نسيت الاتصال بنا...

رحبنا بها وقدمنا لها العصير والقهوة ثم وضعت يدها على بطنى بصورة تلقائية وسألتنى عن أحوالى وأحوال الجنين وتمنت لى السلامة والصحة والسعادة بعدها بدأت تتحدث وقالت:

بصراحة أنا اشتقت إليك وإليكم جميعاً، أشتقت إلى الفضفضة الحرة معكم.. لأنكم أصبحتم قريبات إلى عقلى وقلبى...

رديت عليها:

ونحن يا زينب أكثر شوقاً لك واعذرينا على التأخير فى زيارتنا

لك كمـا وعدناك ولازلنا عنـد وعدنا لك. . . اهلاً وسـهلاً بك. .
الشقة منورة بك.

قالت:

ربنا وحـده عالم بأنى سـعيدة بعـلاقتكم. . . المهم هـناك أمور جديدة استجدت بعد خروجك من العمل وأولها أن أصحاب وملاك الجمعـية قرروا تخـفيض الاقساط الشـهرية وبالتالى التخـفيض من قيمتـها الأساسية، وثانيهـا أنهم استغنوا عن خدمات فيـفى وسمير المتواضـعة والقليلة وهم الآن يعتـبرون فى حل منها، وثالثـها أنهم متمـسكين بك- تقصدنى- بسبب متـبقى الاقساط من قيمـة الشقة التى منحونى اياهه.

ردت فيفى بالشكر لله ولها ثم تدخلت:

أخبار مشجعـة وسارة ولكننى أود أسألك عن رأيك فى موضوع دفع كامل القيمة قبل أوانها وفيما اذا كنت استطيع ترك الجمعية فى حالة دفعى للمتبقى؟

أجابتنى:

لا اعتـقد ان الجماعـة سيوافقـون على تركك الجمعـية بإرادتك ولكن اصـرارك وباستـخدام المـساعـدة القانونيـة يمكن يتـراجعـوا وخصـوصاً اذا تم ذلك خـلال هذا العام- ١٩٩٠م- ومن ناحـيتى سأحاول قدر الإمكان على مسـاعدتك. . لأنكم للأسف لا تعرفون

حقيقـة هذه الجماعة.. انتم على نياتكم ولأنى لا أتمنى ان تـضيعوا كما ضعت فإنى سأعمل لأجلكم وربنا يوفقنى.

وأضافت بنبرة صادقة موجهة كلامها إلى:

أنت باللذات يا سحـر خلى بالك من صحـتك ونفسك من أجل طفلك القادم..

ماذا تعنى؟

قالت بصراحة:

عيشى حـياتك طبيعى.. واعنى انتبـهى على صحتك... بماذا تفكرين يا سحر؟

قلت:

يعنى هل سأظل مرتبطة بالجماعة وتحت مراقبتهم؟

قالت:

ما قلته أننا سنعـمل معاً وبهدوء حتى نـتمكن من فك ارتباطك بهم، اما المراقـبة فلا ادرى ولكن دعـينى أسأل عن ذلك من بعـيد وسأبلغك بها حالما أصل لإجابة لها ولكن شريطة ان لا تنفعلى ولا ترتبكى.. لأن ذلك ليس مـفيد على صـحتك وصـحة الجنين... أنت مؤمنة بالله وهو لا يـنسى عباده المؤمنين والصـادقين لأنه على كل شئ قـدير.. عيشـى حياتك بتـلقائية والـله وحده كفـيل بك وبعبـاده لا تجعلى الوسـاوس تسيطر عليك... أنا واثـقة من أنك

ستنجحين فى كل حياتك الخاصة والعامة لأنك طيبة وصادقة مع نفسك ومع الجميع..

قلت لها:

معك حق... لنتوكل على الله وهو وحده قادر على كل شئ... كما اعدك بأن ننسق الامر معاً وانى ممنونة منك ومش عارفة كيف أرد لك الجميل.

بعدها تسألنا عن نوع العشاء الذى نعده ونسيناه مع الحديث وبدأنا التحضير للمائدة وكان عشاؤنا شربة عدس وفول وبيض مشكل وكبدة غنم وعيش اعددته مع فيفى.. تناولنا العشاء ثم الشاى وقبل مغادرة زينب لنا حضر أزواجنا وعرفناهم عليها وتحادثت معهم نصف ساعة ثم غادرتنا فى الساعة ١٢,٣٠ بعد منتصف الليل وسبق أن طلبت من سمير وسعيد وفيفى بأن يأخذوا بالهم منى، شكرتها وودعتها مع سمير حتى باب العمارة وركوبها سيارتها.. وجدت فيفى فى غرفة نومنا تنظفها وترتبها فعاتبتها لكنها نهرتنى بحنية صادقة.

لم أكن اشعر بالرغبة فى النوم ولكن فيفى وسمير وسعيد ظلوا معى ساهرين حتى غلبنى النعاس.

صباح اليوم التالى صحينا على منبه الساعة فاعددنا انفسنا وفطرنا ثم تحركنا جميعا الى الكلية بالمواصلات العامة.. وصلنا الى

الكلية قبل موعد المحاضرة بنصف ساعة واتجهت مباشرة الى الحمام بمرافقة فيفى.. ثم دخلنا معاً قاعة المحاضرة وعلى الباب من الداخل كان يقف امين مع سمير وسيف وهارون وسعيد فلمحنى كما لمحته فاتجهت نحوه مباشرة وسط ذهول من صحبه وخصوصا سمير وفيفى وسعيد فرفعت النقاب عن وجهى ورأيت الفرحة على وجهه ومد يده لى مصافحاً فصافحته بحرارة وظللت ممسكة بيده وهو فى غاية البهجة فقلت له:

كيف الحال يا أعز الأصدقاء وكيف سلمى والاولاد؟

حاول ان يتكلم ولكنى قاطعته:

آسفة.. تصور كم انا سعيدة برؤيتك ورؤية الاصدقاء الاعزاء..

ثم سلمت على بقية الشلة وامسك سمير بيدى وشدنى الى مقعدى بجانبه فطلبت من أمين أن يجلس بجانبى وفعل... وأثناء المحاضرة كتب لى أمين العبارة التالية:

سحر وسمير... سعادتى اليوم ليس لها حدود... ولا تنسوا دعوتى لكم نهاية الاسبوع فأنا وسلمى منتظرين قدومكما بكل شوق وحب وترحاب.

ناولنى الورقة وقرأتها مع سمير فحاول سمير التعليق عليها لكنى سحبتها منه وكتبت عليها العبارة التالية:

ليس أكثر من سعادتنا برؤية إنسان غالى علينا... مشتاقة لك

ولسلمى والاولاد... نفسى اشوف الاولاد وطالعين لمن ودعوتك مجابة ومن دون نقاش وان كنا سنمثل ضيوفاً ثقال عليكم..الله وحده يعلم ما فى القلوب... وربنا يسعدك ويصحك ويطول بعمرك ويوفقك.

قرأ عبارتى ثم علق بالعبارة التالية التى اسعدتنى كثيرا وهى (انت كما عرفتك صاحبة لسان عفيف وعقل نظيف وقلب طيب) بعد المصافحة كنت قد اعدت النقاب الى حاله وعندما التفت نحوه ضحك وكأنه يقول لى: المهم العلاقة التى تجمعنا، فاحسست انه يكبر أمامى.

قبل زيارتنا لمنزل أمين تلبية لدعوة من عائلته التقيت وفيفى بأمين بمنتزة نشوان بمدينة التواهى واستمر اللقاء لثلاث ساعات كاملة وكان امين سعيدا باللقاء وقد استأذنت برفع النقاب عن وجهى فقال لى بأدب جم وبتواضع:

هذا شأن يخصك يا سحر فأنا لا يهمنى الشكل بقدر ما يهمنى الجوهر كما يهمنى يا أختى وصديقتى العزيزة أن لا تتأثر علاقتنا لمجرد الاختلافات فى الرؤى والمواقف الفكرية والسياسية.

فأجبته من دون تحفظ:

أنا اعرفك أكثر من نفسى وأعرفك أكثر من بقية الزملاء ولكنى حبيت افتتاح الموضوع لنجد مدخل مناسب للحوار، وقبل كل شئ



أود أسألك إن كنت مستعدا للاستماع إلينا؟

رد:

كلى آذان صاغية وعقل صاف وقلب مفتوح.

فبدأت أشرح له حكايتى من بعد التخرج وزواجى وحصولى على عمل والمشاكل التى واجهتنا ولازالت ثم حكت فيفى بدورها... ظللنا نحكى لمدة ساعة ونصف وهو منصت لنا بكل جوارحه وما ان انتهينا من الحكى حتى عقب علينا معلقاً:

لا أدرى ألوم من.. أنتم أم نفسى... أنا قلت لكم بعد التخرج وقبل التخرج عليكم أن لا تغيبوا عنا وخاصة الذى لن يجد عملاً فى الجهاز الحكومى... ومع كل هذا فأنا لا أستطيع توجيه اللوم إليكم فقط ولكن إلينا جميعاً... أنا بصراحة انشغلت فى ادارة الشركة مع الأسرة وبالذات بعد أن كان الوالد ينتظر تخرجى بفارغ من الصبر وزواجى من سلمى التى أصبحت أحد الأركان الأساسية للشركة... وعملنا أنا وسلمى أخذ كل وقتنا... بعض الزملاء طرقوا أبوابنا ولم نتأخر عن التفاعل معهم ومنهم من يتحمل مسؤوليات كبيرة فى الشركة وفروعها وهذا بالطبع يعود إلى كفاءاتهم وأماناتهم حتى باتوا أقرب إلى قلب وعقل الوالد الذى منحهم صلاحيات واسعة والحمد لله أنهم أثبتوا ذاتهم..

وعلى أى حال انا أقترح عليكم أن تفكروا جيداً الآن ماذا

تريدون؟ وما هى استعدادتكم للمرحلة القادمة؟ هل تريدون مواصلة الدراسة فقط أم الدراسة مع العمل؟ بعدها نبدأ عملية التخطيط ووضع الأفكار لتحقيق الأهداف المرجوة..

بعدها سلمته المفكرات التى خططتها بنفسى ورأيت الفرحة على ملامحه وتقاطيع وجهه وحركات عينيه وقلت له إنى أريد معرفة رأيه ولا مانع لو أطلعت عليها سلمى أو إبلاغها بالمضمون، كما أخبرته أنه الوحيد الذى قررت أن أعطيها له حتى أن سمير وفيفى لا يعرفون عن تلك المفكرات، وقد اعتذرت من فيفى لعدم ابلاغها بقرارى وموضوع المفكرات، فقبلت الاعتذار بعد عتاب رقيق وصادق منها وجهته لى وقد تقبلته بصدر رحب.

أوصلنا أمين بسيارته ذات المحركات الكبيرة إلى منازلنا... فى البدء أوصل فيفى وكانت تسكن فى مدينة كرتير ثم أوصلنى إلى مدينة المنصورة وحينما كنت لوحدى معه بعد ايصال فيفى سألنى إن كنت خائفة بوجودى لوحدى معه فرديت عليه:

لا أشعر بالخوف وأنا معك حتى وإن رآنا سمير فلن أشعر بالخوف لأنى أعرفك كأخ وصديق عزيز وإنسان طيب، بل أن سمير لن يشك لحظة لو عرف بوجودى أو لقائى معك.

بعد أن عدت إلى السكن وجدت سمير مع دنيا بانتظارى على الغداء ففرحت برؤية دنيا ورحبت بها واعتذرت لهم عن تأخرى ثم



توجهت الى غرفة النوم لتغيير مـلابسى فدخل على سمير وانا اغير مـلابسى وهى المرة الاولى التى يرانى فـيـها أغـيـر ملابـسى فقـام بمساعـدتى على ترتيب ملابسى بصورة طبـيعيـة من دون ان يسألنى عن سبب تأخرى أو أين كنت ومع من ولكنى وجـدتها فرصة وهو واقفاً أمـامى يحاول مساعـدتى ايضاً فى ارتداء ملابسى فسـألته عن سبب عدم سؤالى بالأسئلة التى ذكرتـها سابقاً فرد على أنه يعرفنى جيـدا وهو لا يشك بأخلاقى وتصـرفاتى، فـقلت له بأنى كنت مع أمـين وفيـفى بناء على طلبى وهو الذى أوصلنـى بسيـارته الى هنا فعاتبنى لأنى لم ادعوه للدخول فعاد يطلب منى تأجيل مناقشة ذلك إلى وقت آخر ثم غمرنى بكلمات الحب والعشق.

- آه. . . نسيت أكـتب عن اعلان الوحدة ولكنى ترددت كثـيراً لأن المؤشرات المتـوفرة وطريقة الاعلان وتـاريخ العلاقات فيـما بين نظامى الشطرين غير مريحـة ولكنى قررت أن يتم ذلك بالكتابة عن ما تيسر لى مـن متابعة لأحداث ما بعد الوحـدة رغم أحساسى بأن تلك القيـادات السابقة والجديدة لن تتـوانى فى العمل ضد بعـضها البعض على حساب مصالح الوطن لأنها فشلت فى السابق وبالتالى يصـعب لهـا النجـاح للوطن وللمـواطنين، ولعـمـرى أن أصـدق شعارهم الخاص بانتهاج الديمـقراطية قولا وفعلا وهى التى وصلت الى مواقعها عن طريق الانقـلابات والقوة العسكرية، كما أنهم منذ

ثلاثة عقود أو أقل لم نر فيها أى تغيير يذكر وعلى كل المستويات... كان يفترض أن تكون الوحدة مؤسسة أو قائمة على استفتاء شعبى لطبيعة نظام الوحدة وانتخابات حرة ونزيهة ومصالحة وطنية سياسية على مستوى كل شطر أولا ثم على مستوى دولة الوحدة، ثانيا والرحيل المشرف لكل القيادات السابقة للشطرين بعد تكريمها والعفو عنها وتسليم القيادة لعناصر شابة ومؤهلة- نتيجة انتخابات حرة- لأن القيادات السابقة وبرغم دورها الوطنى قد شاخت فكرياً وعملياً وعمرياً هذا من جهة ومن الجهة الاخرى لتاريخها السياسى والقيادى الفاشل.

● يوم الجمعة الاخيرة من شهر سبتمبر ١٩٩٠م كنا- أنا وسمير وسعيد وفيفى- فى ضيافة أمين وسلمى، ولأول مرة نلتقى بسلمى التى حافظت على بنيانها الجسمانى بل رأيتها أكثر نضارة وحيوية.. سنوات عجاف بالنسبة لنا نحن الضيوف... عانقت سلمى طويلا كنت خلالها أبكى ولم أتركها الا حينما نادتنى فيفى تطالبنى بمنحها فرصة لمعانقة سلمى، ومثلى بكت فيفى ثم لحقتنا سلمى بالبكاء فتدخل سمير بأن طلب من فيفى فرصة للسلام على سلمى فشاهدته وسعيد يعانقان سلمى عناقاً اخوى... وعلى فكرة انا نزعت نقابى عندما وصلنا بوابة فيلا امين وسلمى... وبعدها أندفعنا لمعانقة امين ثم قمت باحتضان أطفالهم واجلستهم فى

حضنى أقبلهم وأتأمل ملامحهم... تجلس سلمى بجانبى.. أى تتوسطتنى وفيفى... بصراحة ضاعت منى الكلمات ولكن دموعى عوضت صمتى بعد دقائق حضر زميلنا سيف مع زوجته فقط وبدت عليهما علامات التعب من السفر.. سلمنا عليهم بحرارة وشوق وتعرفنا على زوجته الطيبة والعشرية... تأخذهم سلمى إلى إحدى الغرف ليغيروا ملابسهم ويغتسلوا استعدادا للغداء والمقيل.

تحاول سلمى توزيع وقتها بين المطبخ وبيننا ولكننا- أنا وفيفى- قررنا مساعدتها فى المطبخ رغم رفضها ذلك ووجود شغالة ماهرة فى الطبخ معها ولكننا صممنا على قرارنا... ساعدناها فى تجهيز بعض الحاجات ولكن فيفى كانت الأكثر نشاطا منى لأن سلمى وفيفى تذرعتا بحملى وضرورة الاقلال من الاجهاد وحاجتى للراحة فى الأشهر الأولى من حملى.

أعدت طاولة الطعام بما لذ وطاب وللأمانة لأول مرة أشعر بلذة الطعام ربما لأنى لم أتعود على اللمة العائلية وربما لأنى كنت متشوقة لرؤية سلمى وأمين وأخذت مقعدى بجانب أمين وفى حضنى ابنتهما التى رفضت تركى رغم طلب والديها وأحسست بإحساس الأمومة وأنا أطعم الطفلة وقد ظلت فى حضنى إلى أن غلبها النوم...

على الطاولة تكلمت سلمى والابتسامة الرائعة تعلو ملامحها:

إلى هنا وتبدأ الغيـرة... بصراحة إنى اليوم أشعـر بالغيرة على زوجى لأنك- تقصدنى- مهتمة به أكثر منى... ثم قالت:

تعال يا سمير وأجلس بجانبى عناداً لها.

فأشرت لهـا بعيونى كأن الأمر لا يهمنى لأنى أعـرف أنها تحاول أضفاء المرح علينـا بوجه عام وعلى بوجه خاص.. فـضحكت من قلبها وضحك معها سمير وأمين وإذا بفيفى تغير موقعها الى الجانب الايمن لأمين وقالت لها والآن سترتفع درجة غيرتك وأنت يا سعيد تقرب إلى جانب سلمى ونشوف من ينتصر..

سلمى بهزار تقول:

وأين الغيرة الذكورية؟

يجيبها أمين ضاحكاً:

هنا على اليـمين واليـسار- يقـصدنى وفـيفى حـيث يرفع يديه ويضعهما على أكتافنا- ثم يتكلم:

المهم أهلا وسهلا بكم... بصراحـة سعادتنا بوجودكم اليوم لا توصف...

يقطع حديثه سيف وزوجته حينما يسلمان علينا ويسأل سيف عن موقعه فـيقول وهو يجلس على مقعد بجانبـى بينما زوجته جلست على رأس الطاولة:

إيه دا يا بنات... أنا أحس بالغيرة من أهتمامكن بأمين

سلمى تعقب:

صوت فى صفى... اللهم زيد من هذه الاصوات...

فيقاطعها أمين بكلمات الترحيب بنا ودعوته لنا بتناول الطعام بكل حرية ومن دون رسميات..

ساعة قضيناها بتناول الطعام الشهى والمعبر عن كرم أصحابه... كنت آخر من ترك الطاولة... لا أتذكر أننى تناولت ذات يوم الطعام لمدة ساعة خلال السنوات الماضية... ثم قدم لنا الفواكه والحلويات وبعدها الشاى.

فقلت:

سفرة دائمة وعامرة... ضيافة تعبر عن طيبة وأصالة أصحابها وربنا يسعدكم ويرزقكم ويحفظ لكم أولادكم... وأنا لأول مرة أشعر بشراهة للأكل.

ترد سلمى وهى ممسكة بيدى وبيد فيفى:

لا تنسوا يا صديقاتى أنكما أنتما من قربانى وعرفانى على أمين وأختارانى له ثم أخترتموه لى، ومن اليوم لا أريدكم ان تغيبوا عنا ولابد من التواصل أم أنكم لا تنوون دعوتنا لزيارتكم.

فقلت:

أهذا كلام يقال؟! ومن بكرة أنتم ضيوفى إلى أن أقول لكم كفاية.

ينفرد الأزواج فى غرفة خاصة وجانبية لتعاطى القات بينما قادتنا سلمى نحو غرفة نومها بعد تعريفنا على غرف الفيللا فعطرتنا وبخرتنا وأهدت كل واحدة منا كيس مغلق ترجتنا أن لا نفتحه إلا بمنازلنا كما ناولتنا كيس آخر لكل منا لأزواجنا وكررت رجاءها.. حاولنا جميعنا ان نرفضها لكنها صممت وهددتنا بغضبها وعدم التواصل معنا..

● مع الساعة السادسة مساء اقترحت علينا سلمى الخروج بنزهة مشتركة بسيارتها فوافقناها وتحركنا نحن الاربع الى حيث يجلس أزواجنا وأخبرناهم عن مشروع نزهتنا واستأذناهم... فخرجنا مع الاولاد وكان يوما رائعا وجميلا بالنسبة لى واحسست فى داخلى بعدم الرغبة فى العودة الى شقتى والرغبة فى العيش معهم، وتعرفت أكثر إلى زوجة سيف وأعربت لها عن سعادتى بالتعرف عليها وتمنيت إدامة تعارفنا وعلاقتنا وبادلتنى نفس المشاعر كما أفصحت لنا عن ارتياحها عند اللقاء بسلمى ومدى اشتياقها لرؤيتها ووجهت لنا دعوة لزيارتها وقبلناها بسرور مع تحديدها لاحقا.

● الساعة الواحدة والنصف صباحاً نغادر فيللا امين وسلمى بسيارة امين وقيادته برفقة سائقه ووصلنا الاربعة- أنا وزوجى وفيفى وزوجها- الى شقتنا بعد عشرين دقيقة، وتواصلت لقاءاتنا وتعمقت علاقاتنا اكثر فأكثر.



● وبعد أيام من ذلك بدأت أشعر بمعـاملة هادئة من بقية الزملاء وكأنهم متفقين على تفهـمهم لوضعى وبالتأكيد أن أمين يقف خلف ذلك، ثم تعرفـت على عائلات بعض الزمـلاء مثل هارون وممدوح وحمزة وغيرهم كما تحسنت علاقتى مع زميلاتى القديمات.

حيث كنا نـتبادل الزيارات ولكن ظلت سلـمى هى الاقرب الى عقلى وقلبى ومعها فيفى.

وكـان أمين وسلمى أول مـن جمـعوا الشلـة القديمـة أى شلة الجامعة وقد شدنى الحوار الذى تم فى تلـك السهرة المتميزة وكانت بداية لعودة الروح لتلك الشلة بمخـتلف تبايناتها الفكرية والسيـاسية والاجتمـاعية، وعرفت سلـمى ان امين وهارون يفكران فى ترتيب أوضاع بـعض أفراد الشلة كـما اخـبرتنى ان اسـمى موضـوع على القائمة فابلغـتها عدم استعدادى فى المرحلة الحالية نـتيجة لارتباطى بعملى مع الجمعـية من جهة ورغبتى فى مـواصلة الدراسة من جهة اخرى، وعرفت ايضاً ان امين حاول اقناع زمـيلنا صلاح كونه قريباً من مراكز القرار لكونه أحد أبناء رموز مركز القرار.

● فى نوفـمبـر ١٩٩٠م بدأت أفكار أمـين وهارون فى ترتيب أوضاع الزملاء تتـحول إلى الواقع فقد تم مـثلاً اختيار فـيفى مديرة لمكتب أمين، وقد انقطعت عن الدراسة وسجلت بالمراسلة كما نجح سعيد وسمير فى الحصول على وظائف فى شركات استثمارية اجنبية

وتوقفوا عن مـواصلة الدراسة لأنهم يريدون تحقيق ذاتهم خـصوصاً أن الوظائف الجديدة مغرية مادياً ووظيفياً واجتماعياً، وبعد اسبوعين من التحاق فيفى بعـملها الجديد سألتها عن وضعها وكيـفية معاملة صاحب العـمل معها فـأخبرتنى أنهـا سعيدة بـعملها كمـا أن أمين يعاملها طبيعى وبصورة جدية، وعرفت منها ان راتبها يتجاوز راتب مدير عام فى مـؤسسة حكومية وهذا يعنى ان هناك امكانية لـتحقيق استقرارها العائلى.

● ومنذ ذلك الحـين بدأ الخمول يلاحـقنى ويضعف مـن همتى للدراسة كونى كنت اذهب لوحدى الى الجامـعة رغم استعداد أمين وهارون لنقلى مـعهـم الى الجامـعة وبهـذا زاد من تغـيبى لبـعض المحاضرات.

بنهاية شهر نوفمبر قمنا "أنا وسـمير وفيفى وسعيد" بأول زيارة لنا الى العاصمة صنعاء عبر البر وقضينا ثلاثة أيام متتالية فى ضيافة زميلتنا هنـاء وقد اعجبـتنى مدينة صنعـاء من حيث جوها وعـراقة مبـانيها القديمـة، ولكن الذى لم يعجبنى هو كـثرة نقاط التفـتيش الامنية والعسكرية ووجود المعسكرات حولهـا وقد استضافنا الضابط سامح الذى كان غير سعيد بعـمله الجديد لأنه لا يشعر بذاته نتيجة عدم وجود الجدية والانضبـاط فى العمل وطريقة تعامل رؤسائه مع كل كادر مؤهل ومجرب ونظيف قادم من الجنوب وأخبرنا بأنه يفكر

بتقديم طلب نقله إلى عدن كما أنه يسعى إلى البحث عن شخصية كبيرة ليتوسط له فى انجاح طلب النقل، كما وجدت زوجته واولاده غير سعداء بوجودهم فى صنعاء لأنهم يحسون أنهم غرباء عنها ومن الصعب عليهم التواصل مع جيرانهم أو زملائهم فى المدارس، وشعرت بفرحتهم أثناء وجودنا بينهم.

● بينما كنت فى مطبخ شقة سامح مع زوجته حاولت اختلاس وقت قصير مع سامح وسألته إن كان يستطيع السؤال عنى من زملائه فطمأننى بتلبية طلبى مع تأكيده بأن لا شئ عنى واذا كان هناك شئ فإنه سيعرف عنها وأكد لى على ضرورة عدم التفكير فى ذلك.

● فى طريق عودتنا لعدن بعد ثلاثة أيام من زيارتنا لصنعاء مررنا على قرية سيف فى الضالع واستقبلتنا زوجته مع عائلة زوجها استقبالاً حاراً ومتميزاً فقد قاموا بذبح خروف أمامنا وتحضير القات... وبعد الغداء وكالعادة انفرد الرجال لتناول القات بحضور الكثير من اهل القرية كما حضرت النسوة الى بيت سيف وتعرفت علينا وكانت كل واحدة منهن تحمل هدية لنا موزعة بين السمن والعسل والعيش البلدى والبن وغيرها. وسررنا بتلك العادات التى تعبر عن الترحيب بالضيوف والتفاعل مع مضيفيهم، ومع الساعة السابعة مساءا غادرنا قرية سيف الذى لم يكن موجودا يومها برغم اتصاله بنا وسعادته بزيارتنا لقريته وأسرته.

● وفى الطريق استوقفتنا نقطة تفتيش عسكرية لم نجدها أثناء مغادرتنا عدن ومن كلامهم عرفنا أنهم من القوات العسكرية الشمالية التى تموضعت بعد الوحدة فى تلك المنطقة.. حاولوا تفتيشنا لكن ما أن عرفوا بأننا عائلة تركونا لحالنا وكأنهم غير مرتاحين مننا ربما لأننا لا نشكل صيدا ثمينا لهم من خلال قيامهم بابتزاز المسافرين مادياً وعينياً كجزء من سلوك تعودوا عليه فى مهنتهم، وصلنا عدن الساعة الثانية وخمسين دقيقة صباحاً، طبعاً السيارة كانت تابعة للشركة التى يعمل بها سعيد... واستغرق وقت ادخال عفشنا والهدايا لأكثر من نصف ساعة ثم قرر سمير وسعيد بأن يوصلوا بعض الحاجات لمنزل أمين بعد اتصالهم به وعرفوا أنه لازال ساهراً ويتعاطى القات، وما أن وصلوا إليه حتى احتجزهم عنده الى الفجر وقد اتصلوا بنا ليخبرونا عن تأخرهم بسبب إصرار أمين على بقائهم معه.

● فى اليوم التالى من عودتنا دعتنا سلمى لزيارتها وقبلها ذهب سمير وسعيد لأخذى ومعهم فيفى وتوجهنا الى فيللا امين وسلمى، سهرنا وتعشينا وانبسطنا ليلتها وحكيت لسلمى كيف استقبلتنا عائلة سيف وعن عادات أهل القرية.

● قرأت فى الصحف ان الخلاف قد استفحل بين العليين "الرئيس ونائبه" وبات من العسير الصلح بينهما وأن اتفقا بعدها فإنى اعتقد ان

الخلاف سيستمر حتى يرحل احدهما عن الحكم لان الخلاف قديم ومزمن ومما يؤسف له ان العليين صدقوا انفسهم بأنهم قد تجاوزوا الماضى بإثاره السلبية، وكذبوا الوقائع التاريخية، ويبدو لى أنهم أى العليين- على عبدالله صالح وعلى سالم البيض- كانا يحاولان صناعة مرحلة تاريخية لأشخاصهما بدرجة أساسية رغم جسامة الحدث التاريخى الذى شاركا بانتاجه وهو قيام الوحدة اليمنية.

ومن وجهة نظرى الشخصية أرى بأن الايام القادمة ستكون أيام عجاف على الوطن والشعب وربنا يستر.

● وقرأت ايضا بأن معظم الأحزاب السياسية غير متفائلة نتيجة لخلافات العليين واعتبرت تلك الأحزاب أن تلك الاختلافات طبيعية كونها ناتجة عن احتكار مقدرات البلاد والعباد من قبل الحزبين الحاكمين.

يقولون إن أهل اليمن يتميزون برقة القلوب والأفئدة والحكمة... كما وصفها الرسول وخاتم الانبياء سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.. فأين هى الحكمة اليمانية من وصف الحبيب المصطفى؟، لقد حزنت كثيرا عندما سمعت من بعض الناس ان بعض السياسيين اليمنيين يتندرون على وصف الرسول ويقولون انه وصف غير دقيق وصحيح كما انه وبسبب ذلك يتحمل ابى هريرة مسؤولية ما قاله على إنه قول الرسول، ولهذا فإن أبى هريرة

قد حول للتحقيق بسبب ذلك القول... آه من السياسة ورجالها حينما لا يجيدون إدارة البلد وإدارة خلافاتهم وما أعجبهم حينما يتلاعبون بالألفاظ والعبارات والشواهد التاريخية وهذا يبدو أنهم لا يجيدون قراءة التاريخ.

ان رجال السياسة دوما ما يسعون الى حرق المراحل التاريخية في محاولة منهم لصنع تاريخ خاص بمرحلتهم وينسوا أن غيرهم قد يعاملوهم كما عاملوا سابقيهم وهذه هى سمة دنيئة ومدمرة فى عالم السياسة فى عالمنا العربى والاسلامى.

● بدأت بطنى تبرز واحساسى بالضيق منها رغم فرحتى بالمولود القادم، كما تغيرت ملامح وجهى وجسمى مع استمرارى بنصائح الاطباء، ومنذ ذلك الحين أبلغتنى فيفى بأنها وسعيد قد قرروا بالعيش معنا حتى ولادتى وأنهم أبلغوا عائلاتهم بذلك، تقدمت لامتحانات الفصل الأول وبالكاد نجحت بتقدير جيد بينما تخلف سمير وسعيد وكذلك فيفى، أما أمين فقد حاز على تقدير جيد جدا مع زميلتنا أمانى ولكن أى منهما لم يحصل على المراكز الاولى "من الاول الى الرابع" وفى آخر ايام الامتحانات قمنا- أنا وسمير- بزيارة مفاجئة لشقيق سمير أبو دنيا عبد القادر الذى رحب بنا هو وعائلته وكانوا سعداء بزيارتنا لهم وامضينا وقت طويل معهم واسعدنى قرار فيفى وسعيد.

● ومع إجـازة الفـصل الاول زارتنى سلمى بصـورة مـفاجـئـة وحضرت مع أطفالها ومعها هدايا كثيرة وبعد وصولها بنصف ساعة كان هاتفها الجـوال يرن فردت عليه وعرفت من كلامـها انها كانت تجيب عن سؤال لأمين عن مكان تواجدها، وقالت له أنى فى زيارة مفاجئة لإنسانة تحبك أكثر من نفسها.. فحزر وفزر من هى؟

شاهدتها تضحك وهى ترد عليه: صح يا أبو النباهة... ونحن فى انتظارك لو فكرت بالمجئ.

قلت لها: أكيد كنت تكلمين أمين.

ردت: نعم وهو يسلم عليك كـثيرا ومن المحـتمل جـداً ان يأتى إلينا.

وقلت لها: أنت عظيـمة ومن كل قلبى أدعو الله ان يسـعدكم ويحفظكم ويصحكم ويوفقكم.

ثم فـاجأتنى بسـؤالها الذى اثـلج صدرى ورفع من مـعنوياتى.. سألتنى:

ما رأيك يا حبيبتى وصديقتى أن تنتقلى للعيش معنا خلال الفترة المتبقية من الحمل؟

وكمـا تعرفين ان الفـيلا واسعة وسنخـصص لكما طابقاً كـاملاً أن شئتما.. وعلى فكرة القرار درسته لوحدى نتيجة وضعك وأنا واثقة بأن أمين لن يمانع بل سيكون مسروراً ولا تخافى سأكون معك دائما.



بصعـوبة رديت عليها خاصـة وأن الدموع قد غلبتنى فـاندفعت نحوها وحضنت رأسها وقبلتها بحب وحنان، فأجبتها:

لا تتصورى حجم سعادتى بعلاقتى معك ومع أمين، واعتقد أنى اعـيش فى حلـم لكن لا... ليس حلم... أنتـم عـزوتى واهلى وجمائلكم مغرقانا...

ترد سلمى:

لا تقولى ذلك...

قلت لها:

وماذا أقول غير الواقع والحقـيقة؟ والله هذا كثير ويكفى ان الله قـد وفـقنا بعـودة العـلاقـات من جـديد... والله هذا كـفـاية يا سلمى...

وحاولت اقناعهـا بأن فيفى وسعيد انتـقلوا للعيش معنا ولو أنى احتجت مساعدتهم فلن اتأخر باللجوء اليكم، ثم سألتنى عن فيفى وقبل اجابتى كـانت فيفى تفتح البـاب ومن خلفها سعيـد محملين بأكياس وكراتين مملوءة بالاغذية المتنوعة وما أن شاهدت فيفى أولاد سلمى حتى قـفزت من الفـرحة واسقطت مـا كانت تحمله وقـفزت لاحتضان الاولاد وسلمى وتبعها سـعيد... اقترحت على فيفى ان تهيـأ نفسهـا لاعداد العشـاء فرفضت سلمى لأن أمـين وعدها بأن يحضر معه العشاء فحاولنا الرفض لكنها علقت علينا.

ذنبكم على جنبكم اذا غضب منكم أمين وطبعاً انتم لا تحتملون غضب حبيبكم.

تدخلت فيفى قائلة:

اتصلى به وانـا من سـيكلمـه ويقنعـه... أريـد أن اذيقكم من طبيخى الذى سيعجبكم وتظلوا تتذكرونى كلما افكرتم بالطعام.

ترد سلمى:

هو قرر ذلك رغم انى مـتشوقة لطبيـخك ويا ويلك لو كان... كانت حينها سلمى تضـغط على ارقام هاتف امين وسألتنى ان كنت احتفظ برقمـها ورقم سمير فأجبتـها بالنفى... ثم يتكلم أمين مع فيـفى التى حاولت اقناعه من دون جدوى بـرغبتنا بإعدادنا للعـشاء اخـبرها بأنه خـلال سـاعة سـيكون حاضـرا... ثم تفـتح سلمى حقيـبتها وتسـحب كروت صغيرة خـاصة بالتعريف الشـخصى بها وكانت مطـبوعة بصـورة ممتازة وكـتبت عليـها ارقام هـواتف امين الخـاصة بالمكتب والمحـمول ووزعـتهـا على وعلى سـعيـد وفيـفى وطرحت واحدة لسمير وبينما كانت تناولها لنا قالت لنا:

فى أى وقت ومكان تريدون الاتصال بى أو بزوجى لا تـتأخروا ولا تخجلوا فنحن أخوة.

شكرتها كمـا شكراها سعيد وفيـفى... ثم حولت السؤال الى سعيد وفيفى:

لماذا توقفتم على مواصلة الدراسة؟

أجابها سعيد:

أصحاب العمل طلبوا منى تأجيل موضوع الدراسة للسنوات القادمة خاصة وأنا لازلت جديداً كما أنى لا أريد أن أخسر العمل بهذه الشركة.

تقاطعه فيفى قائلة:

أما أنا فلا أستطيع التوفيق حتى وإن كان صاحب العمل متعاون معى لأنى أريد اثبات ذاتى مع الثقة التى منحنى أياها ولكن فى السنة القادمة باذن الله سأحضرها بالمراسلة، رغم أن أمين حاول أقناعى بالمراسلة لكن التوفيق فى أول سنة عمل سيكون صعبا علىَّ.

● خلال الساعة التى حددها أمين للحضور وكعادته فى احترام مواعيده اتصل بسلمى وطلب سمير أو سعيد لملاقاته أمام باب العمارة، فتحرك سعيد وبعد دقائق عاد مع أمين محملين بأطباق العشاء من المطعم الصينى ومطعم آخر.. سلم علينا جميعا بحرارة ثم سألنا عن سمير فأخبرته أنه سيحضر متأخراً من العمل.. تبادلنا أطراف الحديث على طاولة العشاء ووعد فيفى بأن يتذوق من طبيخها مع الأيام، وأبلغته سلمى بعرضها علىَّ ورفضى للعرض، فكرر عرضه عليا وعلى فيفى وسعيد مع محاولة التمسك بعرضه لكننا بالكاد أقنعناه وبعد حلفانه بأولاده.

● بعدها بأيام عـادت فيـفى من عملها حـاملة هاتف محـمول أبتاعـه لها أمـين بصفـتهـا مديرة مكتـبه مسـاواة بمدراء الدوائر فى الشركة وكانت فى قمة السرور لحيازتها جهاز محمول، ومن فرحتها أسرت لـى بمفاجـأة كانت تحـضرها لى وهى أنهـا اتفقت مع أحـد المحلات لإحضار جهـاز استقبال للقنوات الفضائية مـع تركيبه وأنها قد دفعـت قيمته كـاملاً من راتبها. . فـرحت لها بالجهـاز المحمول ولكنى عاتبتها على شراء جهـاز الاستقبال الفضائى. . قالت لى إن أى شىء فى شقـتنا تعتـبرها ملكاً لهـا وهى لذلك لا تقبل المعـاتبة وزادت بالقول:

لو معى المال الكافى لاشتريت بيت كبير يسعنا كلنا لأنها لم تعد قادرة على العيش من دوننا. . لقـد أصبحتم - تقصدنـى وسمير - جزء مكون من حـياتها لا غنى عنه وأدعـوا الله أن تستمر عـلاقتنا لآخر العمر.

حاولت مقاطعتها لكنها أضافت:

ومصاريف الولادة واحتياجات فرحتنا الكبرى على حسابى، ولو كنت تعزينى فلا تحاولى مجادلتى. . نحن أخوات وأكثر. .

أنا وفيـفى منذ الجامعـة وتخرجنا لم نفتـرق رغم المصاعب وكنا معـا نشـعر بأن مـصيـرنا واحد وربما أن توحـد معـاناتنا هى التى حافظت على علاقتنا وزادتها تماسكاً.

● فى إحدى الجلسات حيث كان سمير وسعيد يتعاطيا القات بينما نطالع بعض الصحف التى تكاثرت بصورة عجيبة ومن كل شكل ولون وظهرت أقلام لكتاب وصحفيين لم نتعود على القراءة لها قبل اعلان الوحدة شد انتباهنا موضوع عن الفساد الحكومى والسياسى وما أثمر ذلك من بسط غير مشروع على أراضى حكومية وخاصة فى مدينة عدن والتى لم يستفيد منها أهلها المحرومين والمستحقين للتعويض عن حرمانهم من بعض حقوقهم التى صودرت تحت راية القطاع العام.. بل أن الفساد أيضاً نشر عن طريق البسط على ممتلكات بعض مؤسسات القطاع العام وبالتالى تشريد وتجويع آلاف عن العمال وعائلاتهم.

ولأن الموضوع حساس ومخيف كان مثار حوار بيننا، أنا التزمت قراءة موضوع جديد لم نألفه فى عدن وهو ظاهرة الاختطافات والتقطع مما دفعنى للتركيز عليه من غير المشاركة فى الحوار، وما أن أكملته حتى شدنى موضوع آخر عن الفتاوى الصادرة من بعض الشخصيات الدينية، وتقول تلك الفتاوى:

بعض الزيجات وخصوصاً المدنية غير شرعية.. يعنى أنها حرام.. وأشار كاتب المقالة لحادثة وقعت لأحد الشباب المنتمين لجماعة دينية متطرفة حينما جادل أبويه وأبلغهم بضرورة تجديد عقد زواجهم لأن العقد السابق حرام وعلاقتهم الزوجية التى أنتجته

وأنتجت إخوته حرام، وكيف أن والديه حاولا اقناعه بشرعية زواجهما ولكن من دون جدوى مما دفع بالشاب لترك المنزل وتقدم والده بشكوى رسمية ضد الجماعة التي ينتمي لها ومن دون أمل.

- يعتبر حلب البقرة - استخراج الحليب - حرام لأنه يشبه عملية جنسية مما قد يثير النساء جنسياً ويدفعهن لارتكاب المحرمات.

- عدم تناول الخيار والباذنجان وأيضاً الموز لأنها قريبة من شكل القضيب الذكرى للرجال ولهذا فتناولهم حرام فى حرام.

فى الحقيقة لم أستطع اكمال قراءة المقالة لأنى أحسست بالضيق والغثيان وحملت نفسى بصعوبة إلى الحمام العلنى أخرج من جوفى ما استطعت، وعندما تأخرت عن العودة إليهم تنبه سمير لتأخرى فنادانى بصوت عال ولما لم أجبه تحرك ومعه فيفى للبحث عنى فوجدونى فى الحمام أحاول ازدراء ما بجوفى فامسكوا بى وسألونى عن صحتى وما جرى لى.. هدأت من روعهم وقلت لهم لا تقلقوا لأن الأمر عبارة عن غثيان عابر وسينتهى ولكنهم رفضوا تركى فعدت معهم وجلست على مقعدى بمساعدتهم وقامت فيفى بصب كأس من الشاى وتحركت لاعداد بضعة من اكواب الليمون الطبيعى التى كنت أحبها وأتناولها يومياً وبالاوقات الثلاثة وربما قبل النوم.. على فكرة لا أتذكر أن حبات الليمون غابت عن مطبخنا - وشربت الشاى ثم الليمون بينما



سميـر كان قلقاً فحـاولت تهدئة قلقه أما سـعيد فقد كـان لحوحاً ولتـوتاً فى طلبه لـنقلى الى المستـشـفى أو الاتصال بأى طبـيب، فخففت من توتره ثم تـناولت كوباً كبيراً من الليمون والصـحيفة لازالت بيـدى.. فسألـتهم إن كانـوا مستـعدين للانصـات الىَّ؟ فأجـابونى بالايجاب.. أعدت قراءة مـا قرأته فى تلك الصحيـفة وكنت أتطلع إلى مـلامحـهم فاجدها فى أوج حـالات الاندهاش والريبـة.. توقفت عن القـراءة الى حيث توقـفت سابقـاً والذى سـبب لى الغثـيـان وأنتظرت ردودهم ولكنى لم أسـمع منهم أى كلمة.. وجدتهم كأصنام فقط تتحـرك إلا عيونهم وكلها حركات قلق فقطعت صمتهم المطبق بالقول:

وهذا هو سبب حالتى.. لقد انتابنى الغثيان وكدت أختنق.. لا أحد يعلق.. فيـفى ظلت قابضة بقوة على كـأس شاى وهى شاردة بتفكيرها.. سمـير وسعيد أيضا كانوا قد توقـفوا على مضغ القات حـتى أن القات الذى كـان داخل أفـواههم تغيـر طعـمه وتوقـفت أفواههم عن التحرك فرفعت صوتى علهم يخرجون من شرودهم.. ردت فيفى وحالة القلق مسيطرة على حـديثها وكامل جسدها، لقد كنت أشعـر بها من خلال النظر إلى عينيـها وحركات أصـابعها.. قالت:

إنها لكارثة.. نهاية الانحطاط الفكرى وبداية جهنم.



يقول سمير:

وهل سيتقبل المجتمع لمثل تلك الترهات والنزقات الفكرية والسياسية.. إنه استغلال بشع للقيم الدينية والانسانية.. اعتقد أنها ناتجة عن تأزم الأوضاع السياسية والاقتصادية.

تقول فيفى معقبة:

يعنى هذا أن الدين سيتحول الى أداة للصراعات الفكرية والسياسية.. لا.. لا.. وهذا يعنى أن المجتمع كله غير شرعى.. على فكرة لو أن المجتمع سيلتزم الصمت تجاه هذه الخزعبلات فسوف تصدق تلك الفتاوى ومن ثم تطبق.. لا.. لا.. لا..!!

يتدخل سعيد:

أوافق سمير على وصفه لتلك الفتاوى بالنزقات الفكرية والسياسية.. عندى انطباع بأنها سترفض من الجميع لأننا لم نعد نعيش لوحدنا فى هذا العالم أو بعيدين عنه.. هذه جماعات متطرفة وعدوانية وعقيمة التفكير والاسلام الصحيح براء منهم.. فكاتب المقالة شجاع وهذا بحد ذاته دليل على الرفض لمثل تلك الأفكار السوداء.

ساعة ونصف ونحن نتحاور فى تلك الأفكار حتى هدأت أعصابنا وعدنا لممارسة حياتنا بشكل طبيعى رغم استمرارى بالتفكير بها وبحالتى وحالة صديقتى الحميمة فيفى.. كان سمير قد قرر



عدم قراءة الـصحف وقرر متـابعة التليفزيون وسـحب الصحف من أمامه وأمـام سعيد ورماها بعيـدا عنهم.. فضحكت فسألنى سـعيد عن سبب ضـحكى فأجبتـه ستكون المرة الأولى التى لن يقرأ فـيها سمير الصحف وهو مخزن - تعاطى أوراق القات - فوعدنى سمير بأن لا يقرأ مـثل هذه الصحف وسيكتـفى بصحف الحيـاة والقدس العـربى والشرق الأوسط اللواتى تصـدر من العـاصمـة البريطانيـة لندن، ومجلة روز اليوسف المصرية والعربى الكويتية فقط.

وفجأة ومن دون موعد سابق حضرت دنيا إلينا وبحضورها أنستنا همنا حـيث انشغلنا بالسـؤال عن أهلها ومن حـضر مـعهـا وسبب حضورها فقالت لنا مداعبة:

هل يعنى أن حضورى عكر عليكم الجو؟- كدر-

أجبتها بصراحة:

على العكس.. حضورك أضفى علينا البـهجة والسرور.. فقط أنك لم تبلغينا بالحضور كعادتك.

قالت:

أقترحت على أبى وأمى أن أعيش معكم خـلال فترة الحمل وقد وافقانى فحضرت بأسرع فرصة وقلت لما لا أفاجئكم وأفرض نفسى عليكم بالقوة.. وبالطبع هذا القرار غير قـابل للنقاش وبالتأكيد إن غرفتى غير مشغولة.

قلت لها بسرور:

أعرف أنك عنادية ومن الصعب مجادلتك فى قراراتك.. أهلاً وسهلاً بك، ووجودك معنا بالتأكيد سيغير من حياتنا.

ردت عليَّ بحركتها الشبابية والأنثوية:

أذن دعو الرجال لوحدهم يستمتعون بجلستهم ونحن الستات نأخذ حالنا فى نزهة للسوق.

فجأة وجدت نفسى مستعدة للخروج وكذلك فيفى وكأننا نتحرك من دون شعور ربما للاحساس بالملل والرتابة فى حياتنا وحاجتنا للحركة وتغيير طريقة حياتنا، فوضعت ما بيدى من صحف على الطاولة وتحركت لتغيير ملابسى وكذلك فعلت فيفى.. كانت دنيا تطالع الصحيفة التى رميتها وما أن أعلنا لها عن استعدادنا حتى بادرتنا بابتسامة هادئة قائلة:

أكيد قرأتم هذه المقالة التى أقلقتكم.. شىء طبيعى أن تقلقوا ولكنى أود القول لكم بأنها لن تمر هكذا بسلام ومن دون مقاومة.. أطمأنوا المجتمع كله يرفضها وسترون.. لأن الذى يحاول تزييف نصوص القرآن وسنة رسوله لن ينجح ولن يمر بسلام والتجارب الدالة على ذلك كثيرة ومعروفة.

عقب عليها سمير:

دائماً وأنا أقول عنك بأنك ذكية ولبقة.. أنا فرحان وفخور بك..

● لمدة ساعتين ونحن نمشى على الاقدام فى الأسواق القريبة من السكن وقد شعرت حينها بارتخاء أعصابى ونسيت مؤقتاً موضوع الفتاوى. .ابتعنا بعض الحاجات مثل الشراشف والوسائد والعيش.

فى الشقة انشغلت فيفى ودنيا بترتيب الغرفة الثالثة والفارغة وتم تنظيفها وفرشها وجعلها صالحة للاستخدام من قبل دنيا بينما كنت جالسة أتابع وقائع فيلم تليفزيونى للفنان المصرى اسماعيل ياسين، وانشغل سمير وسعيد بكتابة تقاريرهم الخاصة بأعمالهم.

كما انشغلت فيفى بالمطبخ ودنيا فى الغسيل وتنظيف البلكونة مع استمرارها بين الحين والآخر فى القاء نكاتها التى كانت تضحكنا. . تناولنا عشاءنا الخفيف من دون سمير وسعيد اللذان انهمكا فى جلستهما ومع تقاريرهما. . وأعتذرنا لهم عن عدم قدرتنا السهر معهم فافترشنا غرفة نومى ودنيا لازالت بحيويتها فى اضفاء المرح علينا.

● وعصر اليوم التالى اتصلت بى زينب بعد غياب قرابة الشهر فسألتنى عن صحتى وأحوالى وناقشتها فى موضوع الفتاوى وهل للجمعية أى صلة بها وختمت حديثها معى باطمئنانى على وضعى فهى حالياً تسعى لاصدار قرار بالاستغناء عن خدماتى وعلىَّ الانتظار لأشهر قليلة أقلها ثلاثة وأكثرها خمسة.



وعدت لإخبار سمير وسعيد اللذان كانا يستعدان للخروج باتجاه هارون بعد أن اتصلوا به وأعلموه عن مقدمهم إليهم. عرضوا علينا توصيلنا إلى أى مكان ولكن دنيا بادرتهم بالرد:

خذوا هاتف فيفى ولو احتجنا لكم سنتصل بكم.. دعوا زوجاتكم في عهدتى ولا تخافوا.. الحركة صحة وبركة للجسم وبالذات لعمتى وحبيبتى سحر..

شقاوة دنيا كانت تخفف عنا بعض الآلام والأحزان.

● استلمنا مكالمة من فاطمة زوجة سيف تسأل عنا وتسلم علينا.. بعدها سألتنا دنيا عن صديقاتنا وأقربهم الينا.. ومع الفسحة تحدثنا اليها عن كل صديقة وصديق.. ثم سألتنا عن سبب عدم تواصلنا معهم خلال الفترة الماضية فأجبناها بانشغال الجميع فى أعمالهم وحياتهم الخاصة ولكنها لم تقتنع بالاجابة فأخبرناها أن التواصل عاد فيما بيننا مع الأيام الأخيرة فاستحسنت الأمر وشددت على أهمية التواصل مع الأصدقاء.. فالمرء يحتاج الى صديق ولا صديق إلا وقت الضيق.. والحكمة تقول اختار الرفيق قبل الطريق.

الفصل العاشر

انتقال دنيـا للعيش فى بيت عمـها لمساعدة عمـتها زوجة عـمها ساعد كثيرا على تغيير الكثيـر من طرق حياة عمتها وصديقتها . . . حيث فرضت عليهم- عمتها وصديقتها- الخروج شبه اليومى للتنزه أثناء فترة العصر للتنزه والتسوق على اعتبار أن الحركة للمرأة الحامل مفـيد جـداً، كمـا أضفت دنيـا على أصحـاب البيت روح النكـتة وكذلك الحيوية فى طبيعـة حياتهم . . . وتصف سلمى في مفكراتها عن إحدى فسحاتها مع فيفى ودنيا بما يلي:

● مررنا فى طريقنا بأرض خـالية وواسعة ولكنها مـسورة بسور حجـرى أخبرتنا دنيـا بأنها سمـعت من زملائهـا بأن الأرض تابعة لاحد رموز الحكم والمتنـفذين وهو من المناطق الشماليـة وقد تملكها بالمجان هكذا عمال على بطال وكأن الأرض والبـشر ملكيات خاصة بهم، وأسهبت فى حديثها مـعنا عن حالة الجشع فى السيطرة بالقوة على الأراضى فى مدينة عدن من قبل رمـوز الحكم بعد اعلان قرار عدن منطقة حرة . . وهو اعلان فضفاض مثل غيره من الاعلانات أو القـراءات السيـاسيـة التى يضحـكون بها على عـقول الناس حـتى يستطيعون فى النهاية من الالتفاف عليهم . . الناس تعرفهم ولكن ما بيدهم شىء لـيعملوه وهذا بحـد ذاته يعتـبر جُبن وخوف لا مـبرر له . . إنما مهمـا تجاوز الظلم مداه فلابد من يوم لكشـفه ومحاسـبته كالحق الذى لا يمـوت ولو بعد مائـة عام، والغريب أن الفـاسدين

مهيمنون على كل الأجهزة وتلك آفة مزمنة فى بلادنا والله يستر.

● فى قاعة المحاضرات حيث حضرت متأخرة وبالكاد سمح لى الاستاذ بالدخول بعد أن لحظ بطنى وتعذرت له بالمواصلات فكان متسامحا معى بل عقب بعدالسماح لى بأن قال لى بصورة مبتسمة:

أنت الوحيدة المسموح لك بالتأخر عن محاضراتى لمدة نصف ساعة عن المحاضرة:

وكان حينها أمين قد حجز لى مقعداً بجانبه يتوسطه وسيف وما أن جلست حتى سألنى الاستاذ عن أبرز نقاط المحاضرة السابقة وأبرز المراجع التى قرأتها فكنت مرتبكة حينما نهضت من مقعدى ولكنى سيطرت على حالة الارتباك بأن بدأت بتحديد بعض المراجع وبالذات المجلات والدوريات وكنت قد ذكرت له مجلة لم يحددها لنا ولكنى قرأتها بالصدفة وأسمها «الأهرام الاقتصادى» وهى مجلة مصرية تصدر عن مؤسسة الاهرام المصرية، فأوقفنى عندها وسألنى عن الموضوع الذى قرأته وأجبته باسم الموضوع الذى كان من واقع الحركة التجارية العربية فشرحت له جوهر الموضوع بينما كان منصتاً لى وفجأة يتدخل قائلاً:

شكرا لك ولهذا فأنت تستحقى سماحى لك بالحضور المتأخر.

ثم أشار الى اهمية اقتناء المجلات والدوريات والكتب التخصصية الذى يحددها لنا المحاضر أو نراها مناسبة ثم غير سؤاله لأحد

الزملاء.

وبينما كنت أرتب كراستى وجدت صفحة الفتاوى وناولتها لأمين الذى كان مندهشا من العناوين وتفاجأ بسؤال الاستاذ له ولكن الاستاذ تقدم نحوه وسأله عن الموضوع الذى بيده فأستاذنه أمين بأن يقوم بقراءة الموضوع إنما الاستاذ سحب الورقة منه وابتسم ووضعها جانباً على الرف وواصل محاضرته حتى النصف الساعة الأخيرة فحول النقاش الى الفتاوى الجديدة التى نشرت وسبق الإشارة إليها وكان قاسياً فى تفنيده الرافض لتلك الفتاوى وقد تدخل بعض الطلبة فى النقاش بين الرافض للفتاوى والمتحفظ والمعارض، كما شارك سيف بالنقاش وهارون وأمين وغيرهم وفى الدقائق الأخيرة طلب منى الاستاذ تحديد موقفى وتحدثت باعتدال.. اختيار الاستاذ لى ربما لأنى كنت منقبةويشتبه فى انتمائى لجماعات دينية متطرفة.. وحديثى كان فى الجوهر معبر عن رفض مثل تلك الفتاوى وان الاسلام الحق براء منها مما أدهش الاستاذ التى لمحتها فى حركات وتعابير وجهه وعينيه.

بعد انتهاء المحاضرة سمعت همسات وغمزات بعض الزملاء المعارضين وفيها من التهديد المبطن وما أن سمعها الاستاذ حتى طلب من الطلبة التزام أماكنهم وتحدث بلهجة قاسية عن ما سمعه من تهديد فحذر من لغة التهديد لمجرد الاختلاف الفكرى. ولكنى

كنت مدركة لحقيقة تلك التهديدات وقد قررت على مواجهتها مهما كانت النتائج لكونى أردت انتزاع الخوف من داخلى.

شجعونى بعض زملائى وأثنوا على موقفى، ومنذ ذلك تقربت إلىّ أكثر كل من أمانى وهند وغيرهما.

● أبلغنى هارون أن هناء اعتذرت عن مواصلة الدراسة نتيجة وجودها فى صنعاء وأنه قد سلم طلبها اليوم لادارة الكلية.

وفى الكافيتريا قرر أمين أن يمر علىّ أيام الدراسة لنقلى معه أو مع هارون وحاولت إثناءه عن قراره لكنه رفض التعليق وكرر الرفض هو وهارون ولم يكن أمامى من مفر غير القبول بقرارهما، وبالطبع عودتى من الكلية كانت معهم وقد أبلغت سمير بذلك فسر للأمر وشجعنى على زيادة ثقتى بأمين وهارون خصوصا أننا نعرفهم كأشخاص مستقيمى الأخلاق والوفاء لاصدقائهم.

بدأت أحس بالضيق من توسع وكبر بطنى وقد رفضت الفحص لتحديد نوعية الجنين - ذكر أم أنثى - وقد تركت ذلك لارادة الخالق لانى لم أكن أميز بين الذكر والأنثى فالارادة الألهية فوق كل الرغبات والتمنيات، وكنت أخاف أن يأتى موعد المخاض قبل الامتحانات وحاولت على تنسيق الأمر مع ادارة الكلية فى حالة حدوث تضارب فى المواعيد والحمد لله أنهم يسروا لى الأمر وحددوا لى مواعيد الامتحانات فى حالة تخلفى عنها والتى تبدأ



مع الدوام الدراسى للعام الجديد.

● قبل الامتحانات بأسـبوعين وضعت طفلتى الأولى بعد مرحلة مخاض قاسية لكنها لم تؤدى إلى تعرضـى لعمليةقيصرية أو عملية جراحية ولله الحمد، وقد أسمـيناها «سلمى» براءة لوعدنا بتسميتها باسم زميلتنا العزيزة «سلمى»، وكان من أوائل زوارى شـقيق سمير وعائلـته وسلمى وأمين وهارون وزوجـته وسـيف وزوجتـه وأمانى وهناء وهند وجميلة وممدوح وفـضل، وقد حاولت سلمى نقلى إلى مستشفى آخر ولكنى رفضت لأن بقائى لن يطول فى المستشفى أكثر من يومين.

سألت عبدالقادر: إن كان عـمى وعمتى - والدة ووالد سمير - سيتـراجعون عن موقفـهم؟ وما ذنب الطفلة من حرمانهـما لحنانهم وحبهم؟ وهل يتوقع أن تكون طفلتي فرصة لرقرقة قلوبهم؟

أجابنى: إنشاء الله تكون سلمى فاتحة خير وأمل.. والأهم الآن هو الاطمئنان على صحتك وصحتها والباقى على الله.

دنيا رافقتنى فى المستـشفى ووجودها هون علىَّ الألم والتعب.. دنيا ساعدتنى كثيراً وقد وعدتها بأن البنت الثانية لو قدر الله لنا بها فى المستقبل ستكون باسمها..

فيـفى طلبت اجـازة أسبـوع وتفرغت لشـراء متطلبـات المولودة حسب وعـدها وهيأت غـرفة نومى لى وللطفلة فى الأشـهر الأولى

ونقلت لوازم دنيا الى غرفتى ونقل بعض لوازم سمير إلى غرفة دنيا، ونسقت مع سعيد على شراء جهاز تكييف مركزى وركبته على غرف النوم الثلاث ونقلت جهاز التكييف الصغير من غرفة نومى إلى غرفة الضيوف، وأعلمنى سمير بأنه فى خصام مع فيفى وسعيد على شرائهم للجهاز لأنهم رفضوا أخذ قيمته منه، فعلا صدمت خاصةً لأنه حضر إلى من دون سعيد على غير عادته فهونت الأمر عليه وأن يجعل معالجة ذلك بينى وبين فيفى كما أنه يعرف عنادها ونظرتها نحونا ورجوته أن لا يغضب منهم خصوصاً وأنهم بعد نقاشه الحاد معهم لم يغادروا شقتنا. . عقبت دنيا على ما جرى قائلة:

والله يا عمى أنكم محظوظين بمثل هذه الصداقات. . أرجوك يا عمى اعتذر لهم حتى لا تخسرهم.

وأكدت على ما قالته دنيا بل ترجيته لأنى أعرف عناد سمير كما قلت له:

فيفى وسعيد أصدقاء أوفياء ويحفظون المودة والعلاقة التى تجمعنا بهم وهم يحاولون قدر الامكان على مساعدتنا لشعورهم أنهم مدينين لنا بجميل لذا لا نحاول استفزازهم. . وعندما يستقرون ويكون لهم بيت نعمل معهم كما عملوا وأكثر إن امكننا.

خلال نصف ساعة من حضور سمير يحضر سعيد وفيفى فينهض

سمير كالطفل البرىء ناسياً كل شىء مرحباً بهم ويحتضنهم ثم يقول:

عملتها فيكم وسبقتكم لانى كنت مشتاق لسلمى وأم سلمى.

يبتسم سعيد فيرد عليه:

من غير ما تقول يا صديق عمرى وأخى العزيز ومن يعرفك أكثر منى غير سحر وفيفى.

كنت خورانه - مشتهية - لحليب ساخن وخبز ساخن مع العسل، فأسرع سمير بسحب هاتف فيفى وضغط على بعض الأرقام ثم تكلم مع زوجة شقيقه عبدالقادر وحكى لها طلباتى التى يبدو أنها سعدت بطلبى وقال لها فى ختام المكالمة:

ما بين نصف ساعة الى الساعة واكون عندكم.

فعاتبتنى فيفى لأنى لم أطلب منها ذلك قبل حضورها.. فخففت عنها عتابها لى بأنى لم أشعر بالجوع والخورة للحليب والخبز إلا قبل لحظات على أن لا تنسى أن تزودنى بالطعام من اليوم الثانى، كما طلبت من سمير أن يبتاع لى بعض الصحف والمجلات فاجابنى سعيد أنه قد قام بذلك فشكرته وشكرت فيفى ثم يعقب سمير بالقول:

خلاص يا حبيبتى الجميع رهن إشارتك.. اللهم يديم الحب فيما بينا.

أمين وسلمى لم يتخلفوا عن زيارتى خلال الأيام الخمسة التى قضيتها فى المستشفى وكانوا يحضرون محملين بالهدايا من كل الأنواع والاشكال وزادوا بكرمهم الذى لن أنساه حينما حضروا ذات يوم برفقة والدى كل منهما وبعض أقاربهم.. تلك الزيارات خففت من حدة عتابى من والدى سمير اللذان لم يكلفا نفسيهما حتى بالاتصال التليفونى.. كما أن نصائح أمين وسلمى لى بالصبر والهدوء والأمل كانت كالبلسم على الجراح.

كانت زياراتهم تترافق دائماً مع غياب دنيا التى كانت تتمنى التعرف عليهم من كثرة كلامى عنهم معها لأنها كانت تذهب لتأدية امتحاناتها بعد العصر حينما تكون فيفى معى، حتى أن سلمى الكبيرة كانت متشوقة لروية دنيا والتعرف عليها.

عدت لشقتى وسط استقبال حافل شارك به عبدالقادر وزوجته وأمى وإخوتى ووالدة فيفى وأحدى شقيقاتها.. ذبحت الخرفان - أثنين - وفرحت بالحاضرين وبعد ساعة أو ساعتين ومغادرة معظم المستقبلين ومنهم أسرتى حضرت فجأة الشقيقة الصغرى لسمير مع عبدالرحمن ابن أخيها عبدالقادر.. سلمت عليَّ وعلى سلمى وحاولت الاعتذار وطلب منا العفو عنها وعن والديها.. فرحت كثيراً بحضورها وأمضت معنا أكثر من ساعة وهى محتضنة سلمى ووضعت تحت رأسها بعض النقود ثم أستأذنت لأنها لم تخبر أحد

عن مجيئها فرافقها سمير وسعيد لتوصيلها إلى الدار وأخبرنى سعيد أن سـمـيـر قد غـاب عنه لدقائق ذهـب فيـها للسـلام على والديه وأبلاغهم بمولودتنا كواجب لابد منه، كما أخـبرنى سعيد أنه شاهد الدموع على عينيه بعد عودته وعندما سأله عن السبب رد عليه:

إنه قام بواجبه وإبلاغ والديه مع أنه كـان يتمنى لو أنهم صفحوا عنه وعنى من أجل أبنتى وفكروا بزيارتنا.

لم أرغب فى أن أسأل سميـر عن ذلك حتى لا أزيد من همومه وأرفع من حدة حزنه، كما فعلت دنيا نفس الشىء..

● كنت مـتابعـه دائمة لاخـبار أمـتـحانات دنيـا رغم أنى كنت مطمئنـة على قدرتها على الـنجاح.. وبعد أسـبوعين أكـملت دنيا الامتحانات وأبلغتنا أنها واثقـة من نجاحها.. خلال هذه المدة كانت دنيا تنام فى غرفة الاستقبال نتيجة لبكاء سلمى كل ليلة وكنت أشعر أن الجـميع لا ينامـون جيـداً بفعل بـكائها.. أرضـعت سلمى من حليـبى.. فيفـى تعبت مـعى كثيـراً.. فهى تسـاعدنى فى رعـاية الصغيرة عندما أكون مرهقة.. سـمير أخذ اجازة لاسبوعين ثم عاد لعمله.. فيفى عادت للعمل بعد أن أكملت دنيا امتحاناتها.

فاطمة زوجة سيف زارتنا وباتت عندنا ليومين أسـعدتنا بطبيخها الرائع، أمين وسلمى كانوا يتواصلوا معى بالهاتف وأعتذروا لى عن عدم الحضور بفعل مرض أحد أطفالهما واعتذارهما فى كل الحالات

مقبول ولا يحتاج لتعليق.

● ذات يوم وبينما كنت ودنيا نشاهد التلفاز ومع الظهر سمعنا دقات باب الشقة ولم نكن ننتظر أحد فموعد عودة الجماعة لم يحن بعد.. قامت دنيا لتفتح الباب بينما أنا ذهبت لارتداء ملابس أخرى لعل الطارق ضيفا جديداً وسمعت دنيا تتكلم بحدة مع الطارق وما أن أدركت طول مدة حوارها حتى أسرعت نحوها للاستعلام وإذا بى أتفاجأ بأمين على الباب فقفزت نحوه لاحتضانه والترحيب به وكان محملا مع سائقه بصناديق وأكياس كهدية لنا.. طلبت منه العفو لأن دنيا لا تعرفه وعرفته عليها رغم أنها كانت مندهشة أثناء أحتضانى له وعدم ارتدائى الحجاب ولكن دهشتها تلاشت حينما عرفت شخصية الضيف.. أتجه أمين إلى سلمى وحملها وقبلها ووضعها فى حضنه.

أعددنا له الشاى وارتاح لدنيا والحوار معها، ودنيا أيضا كانت سعيدة لمعرفته والحوار معه.. ثم فاتحنا عن موضوع الصلح بيننا وبين عمى وعمتى وأولادهم وكيف كانت زيارتهم لبيت عمى وسألنى عن موقفى.. فرحت كثيرا بما سمعت وطلب منا عدم مفاتحتنا لسمير ووعدناه بذلك ولكنه لم يخبرنا بالوقت وتركه مفتوحا.. قبل مغادرته لنا، وجه أمين سؤالا عابراً ووديأ إلى دنيا:

أنت مشغولة أم مرتبطة؟



ردت دنيا ببساطة وهى تضحك:

لو أنك لـم تكن مـــرتبطا ومن سلـمى بالذات لقلـت لك أهلا وسهلا أو ربما خطبـتك من أهلك.. ولو هناك شخص مثلك دلنى عليه.

رد عليها مبتسماً:

هل تعرفين أنك شقية؟! وسلمى مـعها حق عندما حدثتنى عنك وعن تشوقها لرؤيتك.

ثم يتركنا ويؤكـد على عدم إبلاغ سمـير بحضـوره خلال الأيام القليلة القـادمة وأحـسست بعـدها بالفرح وقـمت باحتـضان دنـيا وتقـبيلهـا، وشكرت الله على حكمتـه فى تعرفنـا وعودة علاقـتنا بأمين.

● كل يوم قـبل لقاء الـصلح كان يمر علىّ طـويلا ودنيا كـانت تعرف ذلك.. فاتحت فيفى بزيارة أمين ونصائحه ففرحت ووعدتنى بكتم ذلك على سعيد وسميـر.. كل ساعة كانت بمثابة عام.. كل رنة هاتف كنت أعتقد أنها من أمين يطلب سمير أو يطلبنى كل يوم كنت أسأل فيفى إن كان أمين قد أفشى لها بالخبر أو شاهدت حركة غريبـة فى مكتبه أو تصرفـاته. كنت فى قرارة نفسى استـعجل يوم الصلح من أجل ابنتنا واحتياجى لاعتراف أسرة زوجى بزواجنا.

● تواصلـت مع أم دنيـــا مـن دون الاشــارة الى خـطة أمين،



وتواصلت مع سلمى لعلنى أخرج بنتيجة ولكن الجميع لم يكن مطلعا على الخطة لأن أمين يريدها كما يبدوا أن تكون ناجحة ومقبولة من الجميع.

● بعد زيارة أمين لنا بأيام رن هاتف المنزل وردت عليه دنيا ومن حديثها عرفت أنها تحدث أمين، طلبت منها السماعة لكنها عاندتنى حتى أكملت حديثها معه ثم ناولتنى السماعة وأخبرنى بضرورة إبلاغ سمير وسعيد بالحضور إلى منزل هارون حالما يعودان.. حاولت أن أسأله لكنه طمأننى بسلامة الخطة ولابد لى من الصبر والتفاؤل.. وأخبرته أنهم ربما يتأخرون لأن سعيد أعاد السيارة للعمل فأخبرها بأنه سيرسل سائقه اليهم عندما يكونوا مستعدين.

أبلغت سمير وسعيد بطلب أمين وهارون وسيف وكان يوم مضنى لهم ولكنهم لبوا الدعوة وتحركوا بسيارة أمين.. ظلوا إلى الفجر ساهرين ونحن فى حالة قلق.. ومرة نقول إن سمير سيعاند أصحابه ومرة أخرى نقول إن والد سمير ربما يزرجن فى شروطه ومرة نقول ونقول.. حتى كان الفجر فحضروا قبل الصلاة بدقائق وعملت نفسى نائمة ولكنى لم استطع التحمل خصوصا بعد أن دخل علينا سمير وقبلنى وقبل ابنته.. وما كاد ينهى قبلته لى حتى فتحت عيونى رغم أنها مفتحة بالأصل وسألته عن سبب التأخير فقال لى إنه كان مخزناً مع أمين وسيف وهارون وأخوه

عبدالقادر . . وأضاف نامى وبعدين نتكلم ولكنى نهضت وتوجهت الى المطبخ لإعداد الحليب الساخن بعد أن توضأوا وأدوا صلاة الفجر ومعهم فيفى ثم دنيا . . جلسنا فى غرفة الاستقبال لتناول الحليب بينما فيفى تعد الشاى فسألتهم إن كانوا سيذهبون للعمل؟ فأخبرونى بالنفى لأنهم قد أستأذنوا من ادارات عملهم . . اقترب نحوى سمير واحتضنى ثم قبلنى ودنيا تعلق على حركته ووجدته يتكلم بهدوء عن ما تم فى بيت هارون من حوار عن وساطة صحبه للصلح بينه وبين أهله وأنه قد وافق من أجلى ومن أجل ابنتنا . . وطلب مني العفو لأنى تحملت معه النكد كل هذه السنوات . . ابتسمت بفرح وكأنى لا أعرف شيئاً . . ثم أضاف بأن الأمر لو تم سيتم بعدها الصلح بين سعيد وأهل فيفى . . بعدها شعرت بأن النوم يهاجمنى . . فغادرنا إلى غرفتنا بينما فيفى ذهبت إلى عملها قبل موعدها المعتاد بنصف ساعة لعلها لم تشأ أن تنكد على زوجها . . !

● فى الساعة الثانية ظهراً من ذلك اليوم صحيت وشربت الشاى ثم نهض سمير وسعيد وفطرنا من طبيخ دنيا الخفيف التى عادت للنوم بعد أن جهزت لطعام الغداء.

وقمت بإعداد الغداء رغم معارضة سمير وسعيد ولكنى أصريت على موقفى ثم تحدثت معهم حديث عابر عن ما يجب أن نحمله

من هدايا لأسـرة سميـر فردوا على بأن لا نسـتعجل فـلكل حادث حديث.. بصراحة، أنا كنت متلهفة أكثر منهم بقرب يوم الصلح.

● فى المساء تذهب دنيـا بصحبة سـمير وسعـيد لزيارة أمين فى منزله، وعادت مسرورة بفعل تعرفها على زوجة أمين وأطفاله، وقد عادوا مع أمين وطفليه حيث أمضوا معـنا أكثر من الساعة وكنا أكثر سرورا بوجودهم.

قبل أيام من اكمالى أربعين يومـاً من وضعى لطفلتى تحدثت مع فيفى عن رغبتى فى اتمام الصلـح فى يوم الأربعين وببيت عمى كما حدثتـها عن شوقى لممارسـة الجنس مع سميـر.. ضحكت ودعت لى.. فعـلا شعرت أنى بحـاجة لممارسـة الجنس مع زوجى ولكنى تماسكت مع نفـسى حـفاظا على الـعادات والتـقالـيد وفى التـاسع والثلاثين من يوم وضعى لطفلتى أتصل بى أمين وحدثنى عن أنه قد خطط ليكون يوم الصلح يوم الأربعين، وعليه يطلب سـمير لزيارته لاكمـال الاجراءات ومعه سـعيد وعبـدالقادر وشكرته على خطوته ودعيت لـه بالصحة والـسعادة والنجـاح والعمـر المديد. وكنت فى غمرة فرحى وسعادتى.

● فى الأربعين ومنذ الصـباح كنت وفـيفى ودنيـا ننظف الشـقة ونعد الفطور وتجهيز بعض الهدايا وكذلك تجهيز الطفلة وبعد الفطور قمنا بتغيير مـلابسنا ولم يكن أمامنا من الوقت سوى ساعة ونصف

كنا بالكاد نتـداول الحديث لأن كل واحـدة منا كانت مـشغـولة فى التفكير بالساعـات القادمة وأحداثها وحاول سـمير تلطيف الجو من خلال تصوره بـأن أكبر فرحة لوالـديه ستكون برؤيتى ورؤية سلمى الصغـيرة. . أنا فى الحـقيقـة ومن غمرة الفـرح كنت داخلياً أشـعر بالارتبـاك ولكنى قـررت التـمـاسك وليـكن مـا يكون. . المهم ان التصالح سيغير الكثير فى حياتنا الخاصة والعامة.

● قبل الوقت المحدد لمغادرتنا بدقائق حضر أمين يدعونا للتحرك وطلبت أن يحمل سلمى ويسـبقنا بها الى سيـارته. . حملنا هدايانا وبعض الأمتعـة الخاصة بسلمى وبى. . دنياَ أخذت مقـعدها بجانب أمين. . تحركنا باتجـاه سكن عائلة سمـير وفوجئنا بسـيارات هارون وسلمى زوجة أمين بـانتظارنا على قارعة طريـق الشارع المؤدى الى سكن عمى. . نزلنا من السيارات وفرحت عندما رأيت عائلة هارون وسيف وعائلتـه وأمسكت بيد صديقتى سلـمى والرعشة بادية على كل جســمى وأبتسـمت حينـما رأيت سيـف يقود الخرفـان وهارون وسائق أمين ينزلون بعض الكراتين المملوءة بالفواكه والخضار. . كان فى استـقبـالنا على بوابة العمـارة عبـدالقادر شقـيق سمـير والأخ المتوسط لسمير وما أن وصلنا باب الشقـة التى كانت مفتوحة وعمى وعمتـى فى الانتظار حتى قام سيف وبمسـاعدة سعيـد بذبح خروف على الباب وقالت لى عمتى بفرح:

على مهلك يا بنتى.. وبرجلك اليـمين.. بسملى الله يحفظك ويعافيك.

عملت كما أرادوا ومـا أن تجاوزت عتبة الباب حـتى كان الجميع يحاولون معانقـتى وعندما شعرت بحفاوة الاستـقبال لم أستطع من مقاومة دموعى، عمتى خطفت منى حفيدتها بعد أن عانقتنى بحرارة ثم كان الدور على عـمى وأولاده وبناته وأحفاده.. حـاولت حبس دموعى لكن دون جدوى حـتى الكلمات أصبحت عـسيرة علىَّ فى نطقها.. والجميع التفوا حولى وأتفقت تعليقاتهم على حسن اختيار سمير لـى.. كانوا كمن يحاول الاعتذار لى ولسـمير ولكن سلمى صديقـتى وزوجة أمين سيطرت على مـحاولاتهم فى محـاولة منها لكسر الحـواجز وكان لها مـا أرادت حيث تفهمـوا لمحاولتها حـينما قالت.

الحمـد لله على كل شيء.. وعمـر الدم ما يتحـول إلى ماء.. دعونا نوزع المهام بينما الرجال يذهبون لصلاة الجمعة المباركة..

توجـه عمى نحـوى حيث كنت أجلس وطلب من احـدى بناته الجالسات بجانبى إلى افساح مكانها له وجلس بجانبى وأعاد معانقته لى وكأنه يعـتذر لى فقمت وقـبلته على رأسه وطلبت منه السـماح ولكن بصـوت هادىء.. ثم جلست بينه وبـين عمـتى التى كـانت مشغولة بحفـيدتها فناداها عمى بأن تناوله حفيدته لتـقبيلها.. وقال



لسمير:

صـدق أصحـابك بوصفـهم لزوجتك.. وأنا مـسرور جـدأمن أصحـابك الذى أحسدك علـيهم.. ربنا يخليكم لبـعض ويصحكم ويسعدكم.

● ذهب الرجـال للصلاة وعـادوا بعد ساعـة ونصف وافتـرشنا جميعاً على مائدة الغذاء فى خطين مـتوازين بغرفة الاستقبال.. ثم انفرد الرجـال فى غرفـة أخرى لتـعاطى أوراق القات ثـم انفرد بى عمى فى غرفـة نومه مع حفيدته ومضى يحكى لى عن سـمير وهو صغيـر ثم حاول أن يعتذر لى عن مقاطعـتهم لنا وأسبابها وطبـيعة سمير العنادية لشعوره برجولتـه وقدرته على الاعتماد على نفسه فى حيـاته.. لكنى رفضت اعـتذاره وقدمت له اعـتذارى لأن العين لا تعلو على الحـاجب وترجـيتـه أن ينسى كل شىء حـتى لا يشعـرنا بالذنب ويعكر علينا فـرحة المصـالحة.. وقطع علينـا الحوار الأبوى دخول سمير يبحث عن والده لأن ضيوفه يسألون عنه.

أرضعت طفـلتى ثم تركتهـا نائمة والتـحقت بمجـموعـة النساء اللواتى كن يتبادلن الاحاديث مع جلسة الشـاى وأفسحت لى عمتى مكاناً بجانبها بعد أن سألتنى عن حفيدتها...

دنيا جلست بجوار سلمى وبين الحين والآخر كانت سلمى تطلق ضـحكاتها بسـبب نكات دنيـا والتى طلبت منهـا والدتها أن تتـرك

سلمى لحالها من نكاتها وهدرتها أو كلامها الذى لا ينتهى لكن دنيا رفضت طلب والدتهـا بل وأكدت عليهـا سلمى حينما عـبرت عن سعادتها بالتعرف على دنيا. . .

ومع الانسجـام تدخلت عمتى «حـماتى» بالحديث عن مـوضوع فيفى وسعيد وأبدت استعـدادها للقاء والدتها وأقناعها بأمر المصالحة ثم علقت سلمى عن استعدادها للمشاركة فى اللقاء. ولكن مشاغبة دنيا تركـتنا فى حالة ذهول حـينما قالـت: إن الأمر الآن بيد عـمو أمين، وأى تدخل آخر قد يؤثر على نجـاح المصالحة ولكى ترفع عنا حالة الذهول فقد واصلت باطلاق نكاتها.

أستمرت سهرتنا الى منتصف الليل ثم غادرها هارون وعائلته مع سيـف وعائلتـه وبعدهم أمين وعـائلته ومـعهم فـيفى وسـعيـد ثم عبـدالقادر وعائـلته. . وقد رفـضت عمتى وأيضـا عمى مـغادرتنا وأصروا على أن نبيت معهم وأنهم قد خـصصوا غرفة نومهم لنا. . قبلت البقـاء شرط أن لا ننام فى غرفتهم بل فى غرفـة سمير أو فى صالة الاستقبال. . قبلوا شرطى وكلفوا بعض البنات لتجهيز الغرفة لنا.

تركتنا عمتى لساعة كانت حينها تعد عشاء خصوصى لى ولسمير كما قامت بإحراق البخور فى الغرفة التى خصصت لى ولسمير كما قامت برش العطر على الـفراش، وقلدتنى بقلادة كـبيرة مركـبة من

الفل وهمست فى أذنى قائلة:

أرضعى سلمى، وهى ستنام اليوم معى ومع جدها.. أنت الليلة بالنسبة لنا عروسة وعلينا أن نوفر الراحة والهدوء لكما.. ومن أجل خاطر عيونى لا تجادلينى إن كان لى خاطر عندك..

قلت لها:

خاطرك عندى كبير وغالى.. طلباتك أوامر يا عمتى ولكنى لا أريد أن أزعجكم لأن حفيدتك دائمة البكاء على الرضاعة.

فردت عمتى:

لا عليك يا بنتى.. لو شعرت بأزعاجها سأحضرها لك لترضعينها.

مع الساعة الواحدة والنصف دخلت الغرفة التى كانت مكيفة بجهاز تكييف قديم ويبعث أصوات مزعجة - المكيف صناعة روسية - ومع ذلك فانه يؤدى مهامه.. ثم تبعتنى عمتى مع بنتها الصغيرة سميرة - ١٩ سنة - التى كانت تحمل صحن كبير فيه عشاءنا الذى أعدته عمتى خصيصاً لنا.. شكرتها على اهتمامها بنا وردت علىَّ بطلبها منى بعد الخروج خاصة وإنى قد أغتسلت، وقالت مازحة: عاوزاكى تشعرى بالحرية وكأنك فى شقتك.. واستغلوا شبابكم وحبكم قدر ما تستطيعون.

ثم تدخل علينا دنيا حاملة «ترموس» ثلاجة متوسطة فيها حليب

ساخن ومعها طفلتى التى كانت شبه نائمة ثم أرضعتها بوجود عمتى ودنيا وغيرت لها ثيابها وحفاظتها وسلمتها نائمة لعمتى التى تركتنى وأبلغت دنيا باستدعاء سمير للجلوس مع عروسته - المقصودة أنا - ثم قمت بارتداء ثوب نوم جديد كانت اشترته لى فيفى وكان خفيفاً ومثيرا، يدخل سمير علىَّ وما أن رآنى حتى قال لى:

ما شاء الله.. اللهم احفظ الأرض التى تقف عليها حبيبة قلبى وشريكة عمرى..

سألته إن كان يريد كوب من الحليب الساخن فسألنى عن سلمى فأجبته عن طلب والدته فى أن تنام معهم هذه الليلة، وقال لى: اذن صبى لى كوب لبن بينما أنا سأذهب للاغتسال.

عشر دقائق ويعود سمير وهو يمازح دنيا.. يغلق الباب ثم يتجه نحوى ويجذبنى لحضنه وظل لدقائق محتضننى فأشرت له الى كوب اللبن الذى أصبح بارداً وهذا يعنى لابد من اضافة جزء من الحليب الساخن.. يتركنى أتدلع بحركاتى لاحضار كوب اللبن بعد مزجه بحليب ساخن وعدت إليه وجلست فى حضنه وقمت بسقيه الحليب وما أن أفرغه سبحنا فى بحر الحب والجنس وكأننا كنا بعيدين عن بعض لسنوات.. شلحنى ثوبى ومارسنا الجنس أكثر من ثلاث مرات حتى حان آذان الفجر كنا قد اغتسلنا توضينا استعدادا للصلاة



وبعد الصلاة طلبت من عمتى تسليمى لطفلتى فحاولت الحفاظ بها لكى نستمتع بليلتنا ولكنى أقنعتها بأرضاعها وأعادتها لها ولكنى نسيت ذلك حتى الساعة ٣٠و١١ صباحاً حينما نهضت من جديد فقمت بأرضاعها ومن ثم أعطاءها لدنيا. مع الساعة الثانية بعد الظهر صحينا وأمضينا دقائق على السرير قمنا خلالها بممارسة الجنس وبعدها توجهنا للاغتسال كل على حده، ثم تناولنا الغداء بحضور عبدالقادر وعائلته.

فى المساء وتحديداً الساعة التاسعة والنصف حضر أمين فجأة وسهر معنا لساعة ثم غادرنا بيت عمى برفقته ووعدناهم بزيارات قادمة.. وفى الطريق ألقى علينا أمين بعض النصائح حيث كنا منصتين له ومن ثم شكرناه على تعاونه المخلص معنا.

يتوقف أمين عن متابعة قراءة مذكرات سحر على أن يواصلها فى اليوم التالى حيث قرر بعد عودته من العمل فى الخامسة عصرا فتناول غذاءه وافترش مكتبه مع ورق القات وبدأ يواصل قراءة المذكرات:

● بعد يومين أخبرتنى فيفى أنها تعانى من آلام مغص حاد فى بطنها مع غثيان ودوار فى الرأس وما أن سمعتها صرخت فرحةً بأعلى صوتى أنه الحمل. ولم أرى علامات الفرح عليها فسألتها عن سبب ذلك خصوصا وأنها قبل ذلك كانت تتمناه فردت:

صحـيح كنت أتمنى ذلك قبل عملى الجـديد ولا أريد لحملى أن يعرقلنى عن العمل والانثقال على أمين.

فعقبت عليها:

حرام عليك ترفضى مشيئة الخالق وأما بشأن عملك مع أمين فلا تقلقى وتقلقينا معك.. وعلى فكرة سمـعت أن دنيا ستلتحق معك فى مكتب أمين وهذا يعنى أنهـا ستغطى فـراغك.. أرجوك فكرى بصحتك وصحة الجنين وتذكرى فرحة سعيد حينما يعلم بحملك.

ردت فيفى:

معك حق.. ولكن ألا يجب أن نتأكـد بالذهاب للعيادة وإجراء الفحوصات الطبية اللازمة.

● أعـددنا أنفـسنا وقـبل ذهابنا كنا قـد اتصلنـا بدنيـا وطلبناها للحضور للبقاء مع سلمى فرحبت وعندما حضرت سألتنا عن سبب خروجنا ولكننا لم نبلغها حتى نتأكد من صحة الأمر طبيا.. غادرنا الشقة الى العيادة الخاصة بطبيـبتى والتقينا بها وأجريت لفيفى بعض الفحوصـات الروتينية المؤكدة لحملها فـباركت لها ولى وألقت علينا بعض النصائح الغذائية والطبية مع روشته خاصة ببعض الأدوية مثل الفيتامينات.

تصادف عودتنا للبيت مع عودة سعيد وسمير وحينما شاهدنا آثار التعب عـليهم تركناهم يغـتسلون ويغـيرون ملابسـهم وعلى طاولة

الغداء مع الساعة السادسة والنصف غمزت لفيفى بفتح الموضوع لكنها كانت خجولة ولكنى قطعت السكون بقولى:

مبروك يا سعيد.. فيفى حامل..

نهض سعيد فرحاً ووقف أمام فيفى ليسألها عن صحة قولى فاشارت له بالايجاب فقبلها وعانق سمير ثم عانقنى ودنيا وقال لنا:

إنه أحلى خبر سمعه بحياته.

ثم بدأ يلقى النصائح على فيفى ووعدها بأن يسعى خلال الأشهر القادمة لشراء بيت خاص بهم.

زعلت من حديثه لأنى لم أعد قادرة على تخيل حياتنا من دونهم وعبرت له عن مضمون زعلى فرد علىّ:

أذن نشترى أو نقيم لنا معاً بيتاً يجمعنا كلنا تحت سقفه.. ولا تنسى أننا نحن لا نستطيع العيش من دونكم فهذه الشقة لمتنى وفيفى ووفر لنا أصحابه الحب والدفيء والحنان الذى أفتقدناه.. خلاص لا تزعلى فأنا لا أقدر على زعلك.. ما رأيك يا صديقى وأخى - يقصد سمير - ؟

يرد سمير:

أنا أكثر غضباً من سحر لو أنكم تفكرون بتركنا.. وأتفق معك على فكرة أقامة بيت كبير يجمعنا معاً.. الأرضية موجودة وهذه الشقة سنقوم ببيعها وبقيمتها نكمل مشروع البناء ومن صباح الغد



نبدأ العمل بالفكرة والله يعيننا ولا يفرقنا أبداً.

● ليلتها اتصلت بسلمى صديقتنا وأبلغتها بحمل فيفى ففرحت وطلبت منى اغلاق سماعة الهاتف لأنها مشغولة وستعاود الاتصال بنا.. وبعد ساعة من اتصالنا بها حضرت برفقة أمين للمباركة لفيفى وسعيد وعملوا أوردر لوجبة عشاء من أحد المطاعم.. ثم أتصلنا بعائلة سعيد التى فرحت وطلبت من سعيد أحضار زوجته اليهم لرعايتها فرد عليهم:

انشاء الله خير..

ثم اتصلت بعمى وعمتى وعائلة عبدالقادر وأبلغتهم بالنبأ السار فباركوا لسعيد وفيفى.. وفكرنا طويلاً بأمر ابلاغ عائلة فيفى وأقنعتنا فيفى ان والدها سيفرح على عكس والدتها وهذا يعنى ترك إبلاغ عائلتها لها.

ثم فاتحت أمين بوضعية فيفى فى الشركة فرد علىّ غاضباً:

ما هذا الكلام يا سحر؟ هل تريدينى أن أغضب منكم؟ وضع فيفى لن يتغير وأن أرادت اجازة من اليوم فلا أمانع.. وعلى فكرة دنيا ستباشر عملها من أول الشهر القادم كمساعدة مديرة مكتبى الخاص.

رديت عليه طالبة منه أن يعذرنى لسوء اختيارى الالفاظ ولكن زوجته سلمى أبعدتنا عن الموضوع بسؤالها لى عن أخبارى مع عائلة

سمير وقد فهمت هدفها.

● بعـد ثلاثة أيام من بدء عـمل دنيا كـمسـاعـدة لمديرة مكتب الصديق العـزيز أمين الذى يرأس أحدى شركـات مجموعـة العائلة المكونة من أربعـة شركـات متـخصـصة فى المقـاولات والعقـارات وصناعة الجلود وأيضاً الأسفنج والأخـيرة تأسست مع بداية الوحدة متخصصة بالصرافة، وطبعا مديرة المكتب هى فيفى.. وفى اجتماع خـاص لبعض مـديرى الادارات برئاسة أمـين وبينما كـانت فيـفى تستعرض أبرز نشـاط مجلس المديرين لم تتمكن من إكمال مهـمتها حيث شعرت بالدوار ولم تدرى بنفسها إلا فى المستشفى.. أخبرتنى دنيا أنها كـانت تتكلم وإذا برأسها على الطاولة مغشيـة فأسرع أمين بصب الماء على رأسـها وهـو فى حالة قلق وتوتـر مما حملهـا على ذراعيه ولحـقه سيف مسرعـا لاعداد سيارة أمين وقامـوا بنقلها إلى المستـشفى، وما أن أبلغـتنى دنيا بالخبـر حتى طلبت منهـا الاتصال بسعـيد وسمـير وأبلاغـهما بالأمـر حيث سأكـون هناك.. وبنفس الوقت قمت بالاتصـال بزوجة عبدالقادر وطلبت منـها أن تبعث لى أحد الأولاد ليرافقنى ويأخذ منى طفلتى ليـضعها عندها حتى أعود من المسـتشـفى.. بعد سـاعة ونصـف كنت فى غرفـة فيـفى التى حجـزها أمين على حسابه ووصل سـعيد بعدى بنصف سـاعة وهو متوتراً وقلقا كما كانت حالتى.. كما طمأننا الدكتور على أنها حالة

إغماء بسبب الارهاق وعدم تناول الفطور.. لم أحتمل ما سمعته حيث تحدثت بقسوة وعتاب مع فيفى لأنى عندما سألتها قبل خروجها من البيت فى ذلك الصباح عما إذا تناولت فطورها والعصير الذى أعددته لها خصيصاً فاجابتنى بنعم.. فلماذا لم تأخذه معها - الفطور - ثم بالكاد أقنعتها ليلة أمس بالتوقف عن العمل لقد ظلت تراجع وتنظم الملفات لمدة خمس ساعات كاملة.

يغادر أمين وسيف غرفة فيفى لدقائق ثم يعود أمين لوحده، ولم ننتبه لذلك إلا بعد عودة سيف بساعة ونصف محملا ببعض الاغذية وبرفقة دنيا وطفلتى «سلمى» وكانت مفاجأة بالنسبة لى لأنى كنت مشغولة بفيفى.. حينما رأيت سلمى بحضن دنيا.. فبادرنى سيف بالقول:

كان لابد أن نحضر لك سلمى الصغيرة.. وسلمى الكبيرة فى الطريق إلينا..

قام أمين وسعيد بافتراش الغداء ثم جلس أمين بجانب فيفى وعمل على رفعها وقال لها:

اليوم ستأكلين غصبا عنك وأنا الذى سأطعمك بنفسى، خلاص زمن الدلع والهمجية انتهى يا أختى العزيزة.. أنا قررت نقلك للسكن معنا أنت وسحر.

فاعترضت عليه بالقول:

لأول مرة سأقـول لك لا يا أخى.. فيفى ستبقى مـعى وستولد على يدى.. عفواً يا أمين.

كنت حـادة فى حديثى فـرد علىَّ أمين بلهـجة هادئة وابتـسامـة معبرة:

حاضر يا أم سلمى.

● فى الساعة السـادسة والنـصف مسـاءا غادرنا أمين وسـيف وسمير وعادوا الينا مع الساعـة التاسعة ورأيت أمين يهمس فى أذن فيـفى وتمنيت لو أعـرف بماذا كان يهمس لـها أمين؟ ومع مغـادرتنا جذبنى أمين من يدى اليمين وانفرد بى جانبا وقال لى:

لقد قمنا بزيارة مفاجئة لعـائلة فيفى وأخبرناهم عن وضع أبنتهم بالتفصـيل وترجيناهم بنسيـان الماضى ونتوقع أن يزوروها بأى لحظة لأننا شعـرنا بأن والدة فيفى قد تأثـرت كثيراً عند سـماعها للخـبر ورؤيتنا لعيونها وهى تحاول حبس الدموع.

شددت بقـبضـتى على يديه وأقـتربت بجـسدى نحوه مـن شدة فرحى مما سمعته منه فأحتضنته كأخ فوضع يده على رأسى وحركها على شعرى حيث كنت، حينها غير مرتديه للنقاب فرد علىَّ قائلاً:

طول عمرك حنونة ورقيقة ووفية لأصدقائك...

● تركنا سـعيد مع فـيفى على أن تـعود دينا للبـقاء مع فـيفى فرفض سعيد تركها وطلب من سمير موافاته ببعض الملابس ثم سأل

عن ايجار الغرفة وكيف سيتم دفعها فأبلغه سيف أن شركتها هى التى تتحمل تكاليف الاقامة والعلاج، فتقدم بالشكر والتقدير لأمين وسلمى وكل الحاضرين.

● فى صباح اليوم التالى خرجت مبكرة برفقة سمير ومعنا طفلتنا ودنيا بسيارة خاصة بالشركة التى يعمل بها سعيد وكان يقودها سمير.. مررنا بدنيا إلى عملها ثم أوصلنى مع طفلتى إلى المستشفى وقابلنى سعيد على البوابة حيث كان فى انتظارنا فطلب من سمير تجديد أى «تمديد» إجازته لأسبوع كامل وقادنا محملا بالفطور.. دخلنا على فيفى فسلمنا عليها وساعدتها للدخول الى الحمام بينما سعيد وسمير يجهزان طاولة الافطار.. تناولنا الفطور وطلبت من سعيد أن يذهب للنوم بينما أنا سأحل مكانه وقد حاول الرفض لكن فيفى ترجته أن يذهب للنوم كونه ظل ساهراً بجنبها ولم تغمض له عين فأقتنع بطلبنا وطلب من سمير ايصاله للبيت ثم يتركونا بعد أن أخذوا معهم أوانى الطعام الفارغة ومع الساعة العاشرة كنت لوحدنا - أنا وفيفى وطفلتى سلمى - يحضر الطبيب المشرف على علاج فيفى برفقة بعض تلاميذه وبدأ يفحص مريضته ويضع عليها بعض الأسئلة ثم سألنى عن طبيعة علاقتى بمريضته فأجبته أنها أختى وصديقتى ورفيقة عمرى منذ الطفولة.. فابتسم لى قائلاً:

صديقـتك تحتاج لبـضعة أيام ربمـا أسبوع أو أقل للعـلاج والراحة والملاحظة الطبية ونقول الحمـد لله أن النتائج الأولية جيدة والجنين فى حالة طيـبة. . والمطلوب منكم توفيـر أقصى درجات الراحـة والهدوء النفسى للمريضة وهذا جزء أساسى من العلاج، ولعل وجود الأمورة الصغيرة سيساعـدها على الاحساس بالراحة والاطمئنان، وأكثروا من تغذيتها وبالذات الفواكه والخضراوات والعصائر الطازجة.

● بعد ساعة غفلت فيـفى ثم سلمى فبقيت أقرأ بعض الصحف التى أشتريناها من كشك خاص بـبيع الصحف والمجلات يقبع تحت عمارتنا كـوننا زبائن دائمين معه. . فى أول صحيـفة فتحتـها قرأت عناوين لمقالات وأخبار سياسية مثيرة مثل:

- بوادر أزمة سياسية بين العليين من الصعب التنبؤ بحلحلتها.

- اجتماع خاص بين الشركاء. . المؤتمر والاشتراكى. . يفشل فى التوفيق بينهما.

- فشل اجتماع الشركاء يترنح فى اختلافات الماضى.

وقرأت مقالة تتحدث عن أسـباب الفشل فى التوفيق بين الرئيس ونائبه «العليين» وتشير المقالة إلى بعض تلك الأسباب وأهمها:

- الرئيس يرفض مقـترحات النائب الخـاصة باصلاح الجـهازين الادارى والعسكرى، وعـمليات التلكؤ فى توحيد بعض المـؤسسات المدنية، وكذلك تحديد صلاحيات كل منهـما واحترامها كما ورد فى

دستور الوحدة.

- الرئيس يرفض اتهـامات النائب المتـعلقة بوجود شـخصـيات متنفـذة وقريبـة منه ترعى وتدعم جمـاعات ارهابيـة متطرفـة تقوم بتكفـير قـيـادات وكوادر وأعـضـاء الاشتـراكى وتعـرضهم للقـتل والاغتيال والاعتقال.

- الرئيس يناشد نـائبه بمحاولة اقناع قـيادة حزبه الاشـتراكى فى عمليـة توحيده مع حـزب المؤتمر الشعبى العـام وهو حزب الرئيس وشريك الاشتراكى فى صناعة الوحدة اليمنية.

● ثم تناولت صـحيفـة أخرى ووجـدت عناوينها قـاسيـة ضد الشركـاء مع أنها تميل فى بـعض القضايا الـى الرؤى والاطروحات السياسيـة للاشتراكى.. المهم أمضيت ثلاث سـاعات اقرأ الصحف وآخرها كانت صحيفة «صوت العمال» النقابية والتابعة لاتحاد عمال اليمن الديمقراطى سابقا، فأجلت قراءتها لما بعد عودتى للبيت.

● فى الساعـة الثانيـة ظهراً سـمعت طرقـات على الباب فـقمت مسرعة لفتحه كى لا أزعج فيفى ولكن من دون أمل.. فتحت الباب ولم أصدق عيـونى عندما شاهدت والدة فـيفى وعمهـا- زوج أمها- وبعض إخـوانهـا ومن خلفـهم أمين وهارون، رحـبت بهم وسلمت عليهم لأنى أعرفـهم من سابق ثم دخلوا وحاولوا الفوز بمعانقـة فيفى التى فرحت بحضورهم، ثم سألت أمين وهارون عن سعيد فأخبرونى

أنهم لا يعرفون فطلبت منهم سرعة احضاره فتجاوزونى من دون أن يردوا على طلبى.. أغلقت الباب وعدت الى طفلتى لحملها.. باركوا لى بالطفلة وطلبوا العفو من فيفى وسررت كثيراً بسماع والد فيفى - العم حيدرة - بيسأل عن سعيد، ووجدت الفرحة أيضا على وجه فيفى التى ردت أنه نائم فى شقتنا لأنه أمضى الليلة بكاملها سهران عليها.. ثم سألتها أمها عن أن كان سيحضر لأنهم يودون السلام عليه وتقديم التهانى له.. نظرت إلى أمين وعرفت من ملامحه أن الأمور ستسير على ما يرام.. بعد دقائق ربما تصل الى عشرين دقيقة فتح باب الغرفة ودخل عليها سعيد وسيف.. وكانت لحظة مؤثرة جدا عندما شاهدت طريقة سلام سعيد على عمته وعمه وبقية أقاربها.. ثم سادت لحظة صمت بعد السلام والتعارف وتبادل التهانى قطعها العم حيدرة بقوله:

لننسى ما فات ومضى، واللعنة على الأفكار الشيطانية.. ربنا كريم وغفور رحيم وسامحونا لو أننا أخطأنا.. ولا تنسوا تسامحونا - قالها وهو يضحك -

يتدخل سعيد قائلاً:

لا تقل ذلك يا عمى فنحن وخاصة أنا من يطلب منكم السماح والعفو.. أنتم كآباء معكم حق فى تفكيركم..كل ما أتمناه الآن هو كما قلت.. نسيان ما فات.. كما نتمنى أن نكون عند حسن

ظنكم.

فترد والدة فيفى بصوت هادىء:

منى عمرى أن أعيش لارى أحفادكم.. واليوم أقتنعت بعد كل سنوات الفراق بأن تمسكك بأبنتنا بأنك فعلا ابن ناس.. سامحنى يا ولدى.. سامحينى يا بنتى.

يتقدم سعيد نحوها ويجلس على ركبتيه أمامها ثم يسلم على ركبتيها يقول:

لا تقولى ذلك يا عمتى.. اليوم أحس أنه أول يوم فى حياتى مع فيفى.. فهى كل شىء بحياتى والله يقدرنى على إسعادها..

● أمضوا معنا أكثر من ساعتين ثم تركونا وأقترحوا أن تبقى ابنتهم احدى أخواتها ولكنى رفضت وكذلك سعيد، ويغادر هارون معهم والذى اقلهم بسيارته وبعدهم بدقائق قليلة حضر عبدالقادر وزوجته وعمى وعمتى ودنيا مع سمير الذى أبلغنا بأنه طلب إجازة طارئة لمدة ثلاثة أيام وموافقة عمل سعيد على منحه إجازة خاصة منهم لمدة عشر أيام.. أخبرناه بزيارة عائلة فيفى لها وتصالحهم مع فيفى وسعيد ففرح واستبشر خيراً كما فرحت عمتى وعمى.. أخبرتنى عمتى أنها ستزعل منى لو أنها تركت حفيدتها سلمى فى أى بيت حتى لو كان بيت ابنها البكر ووافقتها متذرعة بأنى لا أريد أن أزعجها هى وعمى.

تحضر سلمى مع فاطمة زوجة سيف ثم زوجة هارون، ثم والدة سعيد وبعض أفراد أسرته.. وقضيت معهم بعض الوقت ثم تركتهم مع سمير ودنيا وطفلتى بعد أن أكدت على سعيد بأن يهتم بتغذية صديقتى الغالية.

● وفى طريق عودتنا شرحت لسمير ودنيا ماحدث عند حضور العم حيدرة وعائلته وكيف أنى بدأت أشعر بالقلق فى حالة أن فيفى وسعيد تركونا لكونى أصبحت متعودة عليهم ولا أتصور حياتنا من دونهم.

● وصلنا الشقة.. قمت بتشغيل مكيف الهواء بينما سمير ذهب للاغتسال.. غيرت ملابس الطفلة وأعددت حليبا ساخنا لنا بينما دنيا كانت تقوم بتنظيم الشقة وغسل الملابس فى الغسالة.. تناولت كوب من الحليب واعتذرت لنا لأنها تشعر بالارهاق وأمامها عمل كبير فى اليوم التالى.. وطلبت من عمها سمير بعض النقود فهب لاحضار النقود ولكنى أوقفته وموجهة كلامى لدنيا:

ولماذا لا تطلبين منى؟! هل أنا غريبة عنك؟! أسمعى.. أفتحى حقيبتى هذه وخذى منها ما تشائين.

● ليلتها نامت الطفلة مبكرة ولأول مرة ربما لأنها تعبت معى من أثر تواجدنا فى المستشفى.. أخذتها الى سريرها ثم اغتسلت وأرتديت أحد فساتين النوم المثيرة وتعطرت وتبخرت وتوجهت إلى حيث

يجلس سمير فى غرفة الاستقبال يشاهد التلفزيون.. أطفأت الأنوار وأبقيت على نور خفيف خاص بالقراءة وكان موجوداً بجانب مكتبتنا المتواضعة وما أن رآنى سمير حتى فتح لى ذراعيه وقال لى بصوت خفيض:

يا أرض إحفظى ما عليك...

مارسنا الحب والجنس فى غرفة الاستقبال دون التفكير بوجود دنيا فى شقتنا نائمة فى غرفتها.. مارسنا الحب والجنس أكثر من مرة على كل الأشكال والأوضاع.. وكررنا العملية مرة أخيرة فى غرفة نومنا.

● فى اليوم التالى نهضنا متأخرين وأنهمكت فى اعداد الفطور لنا ولفيفى، ثم غيرنا ملابسنا وخرجنا باتجاه فيفى وفى الطريق أرضعت سلمى وطلبت من سمير بالمرور على منزل والده لكى أضع سلمى عندهم لبضع ساعات وبعدها يعود لأخذها واحضارها إلىّ ففعل وما أن طرقت الباب وفتحت لى عمتى فرحت بحضورى فسلمت عليها بحرارة وناولتها حفيدتها وذهبت للسلام على عمى وأبلغتهم بأنى سأترك لهم حفيدتهم لكى تزعجهم لأنى سأذهب إلى فيفى كما أن سمير سيحضر لأخذها منهم.. سألتنى عمتى عن من يطبخ لنا ونحن مع فيفى فأجبتها أن سلمى زوجة أمين هى التى ستعد لهم الغداء.. عاتبتنى على ذلك لأنها تود أن تعمل شىء لاسعادنا.. فقلت لها بسرور:



أنا سعيدة بوجودى معكم.. وأعرف أنكم لن تقصروا معنا..

وجدنا فيفى فى صحة جيدة وأحسن من اليومين السابقين.. ففرحت وساعدتها على الاغتسال وتغيير ملابسها ومن ثم تناول الفطور معاً.. بعدها يغادرنا سعيد إلى غرفة مجاورة قام بحجزها لوقت راحته.. وبعد ساعات يتركنا سمير فى اتجاه مقر عمل أمين كما أخبرنا وأشرت عليه باحضار بعض المتطلبات والمرور على والدته لاحضار ابنتنا.

لم يكن الهم العام.. هم الوطن والمواطن.. غائب عن أى من الناس على مختلف مشاربهم الفكرية والسياسية والاجتماعية.. الهم العام كان أكثر وجودا في تفكير الشباب المثقلين بهموم لا تحصى ولا تعد... هموم الدراسة والعمل والزواج والسكن والاستقرار واثبات الذات... سحر ونتيجة لطبيعتها في حب الإطلاع والتحليل كانت تمثل الشريحة الكبرى من الشباب... ولم يكن أمام سحر إلا التعبير عن تلك الهموم على أوراق مفكراتها كتنفيس طبيعى ومشروع لها ولأمثالها من الشباب... سحر بتحليلها كانت تتجلى بتلقائية على أوراقها وفى قلبها وعقلها وضعها وحياتها التى تتقارب مع غالبية شباب الوطن... فنجدها تمزج الهم العام بالهم الخاص... وتقول في مفكراتها الآتي:

الفصل الحادى عشر

● جلست بجانب فيفى أمشط لها شعرها الطويل والرفيع وما أن أكملت تمشيط شعرها حتى اكتشفت بأنها قد نامت.. غطيتها وأخذت مقعدى بجانب التلفاز وشاهدت حينها لقاء جماهيرى حضره الرئيس ونائبه مما استغربت من حضورهما معاً بعد أن قرأت بأنهم مختلفون، وبعد لحظات قام الرئيس على صالح بالقاء كلمة أمام الجماهير وأشار فيها إلى نائبه وشريكه علي البيض بأنه رجل الوحدة الأول بلا منازع ولولاه لما قامت الوحدة اليمنية.. وغيرها من كلمات المديح حتى كدت أحس بأن الغثيان يداهمنى والسبب يعود لهذه المراوغة السياسية المركبة على مصالح سياسية آنية على حساب الشعب.. فقلت لنفسى يا لها من وقاحة سياسية يحاولون الضحك على الناس وكأن الوطن ملكية خاصة بهم لا يستقيم إلا على أشخاصهم وأفعالهم.. وأضفت القول وكأنى أحدثهم أو أحدث مجموعة من الشباب بجانبى أو أمامى:

مهما بلغت درجة مراوغاتكم فلن تستطيعوا إخفاء طبيعة الاختلافات الحادة فيما بينكم والأيام القادمة بيننا شاهدة.. هل يتوقع هؤلاء بأن الناس تجهل حقيقة العلاقة التى تجمعهم وأسباب اتفاقهم أم أنهم يحاولون تزييف التاريخ وتجاوزه بكلمات وشعارات ممجوجة ومفضوحة؟

وقلت:

بالتأكيد إن كل طرف منهم يحاول التخلص من الآخر.. ولومني لقلت للناس لا تصدقوهم وتصدقوا أبواقهم.. أنهم أس التخلف والفقر وغياب العدالة والمساواة لبلادنا.. هم من جربناهم لأكثر من ثلاثة عقود وأذاقونا العذاب والويلات والآلام والتقهقر.. هم وحدهم يتحملون المسؤولية الأولى عن إزهاق أرواح المئات من أبناء الشعب ونهب ممتلكاته.. هم بؤرة الديكتاتورية وإن تقمصوا أو لبسوا أقنعة الديمقراطية والحرية التى يتشدقون بها اليوم رغم أنهم بلغوا مواقعهم بالتآمر والقوة العسكرية.. والله عجيب أمر هؤلاء!! إنه - الله - يمهل ولا يهمل.

● أسبوع وتتعافى فيفى فتعود معى ويزورنا يوم عودتها أمين مع سيف وعائلاتهم.. يتركنا أزواجنا الى منزل عائلة سعيد لترتيب عملية إقامة حفل صلح بين عائلتى سعيد وفيفى.. يرحبون بالأمر ويطلبون من سعيد احضار زوجته للعيش معهم لكنه يعتذر ويقنعهم بأن صديقتها أم سلمى وصديقه سمير يرفضان تركهم.. فرحت بما أخبرنى به سعيد وتعهدت له بأن أرعى فيفى وأضعها فى عيونى وقلبى وعقلى.

● تقام الحفلة فى فيللا أمين وسلمى نتيجة ضيق سكن عائلة سعيد ويحضر الحفل العائلتين بالاضافة إلى عائلتى وعائلة سمير

وعائلات سيف وهارون وكذلك حمزة وفضل وكانت المرة الأولى التى أتعرف بها على عائلات حمزة وفضل وشقيق أمين الذى قدمه لدنيا قائلاً:

وعدتك بعريس وها أنا أوفى بوعدى.. هذا أخى خريج كلية الهندسة وعازب ولا يفكر بالزواج وبالكاد أقنعته بالتعرف عليك والتخلي عن أفكاره العنيدة الرافضة للزواج. شعرت دنيا بالاحراج من ذلك الموقف ولكنها كعادتها تماسكت على نفسها وسلمت على شقيق أمين وأسمه بسام وقدمت نفسها إليه ثم قالت:

أنت وعدت ووفيت لكنى لم أعلن لك حينها عن قبولى ومع كل هذا فأنا أتشرف بالتعرف على بسام وما فيش داعى للاحراج أكثر من ذلك.

حاول أمين الرد ولكن بسام تدخل قائلاً:

أنا الذى أتشرف.. وبصراحة أنا سعيد جداً من التعرف عليك وأشكر أخى أمين على هذه الفرصة الثمينة.. وبصراحة أكثر أنا منذ اللحظة قررت التخلي عن كل أفكارى السابقة والمثل يقول: أطرق الحديد وهو ساخن.. أنا رجل عملى وواقعى وهذا يعنى أننى لا استطيع التأخير أو التردد فى التعبير عن مشاعرى وأفكارى.. أنا وبالمفتوح أقول.. هل تقبلينى زوجاً لك؟

لم تستطع دنيا الرد فتدخل أمين معاتباً أخوة:

يا أخى قلت لك تعـرّف عليها أولاً ثم تقـرب اليهـا وتعرف على آرائها ثم قرروا معاً . . تدخلت بابتسامة هادئة راضية وقلت:

أمامكما وقت للتعرف وبصراحة أنا شايفة أنكما لائقين لبعض.

فترد دنيـا مما فاجأتنا ورسمت ملامح السـرور والفرح على وجوه الشقيقين قالت:

وأنا موافقة . . خطوبة أولاً ثم الزواج . .

باركت لها ولبـسام كمـا بارك لهم أمين وأمسك بيده اليـمنى دنيا وبيده اليسرى بسام وقادهما الى صالة الضيوف وأنا من خلفهم فطلب أمين من الجـميع الإنصـات إليه وطلب من والده بأن يطلب دنيـا من أبوها عبدالقادر لأبنه بسام . . ساد الهدوء على الجـميع وكأن شيئا قد وقع على رؤوسـهم ولكنهم فى سرائرهم كـانوا سعـداء وخصـوصا والدى دنيا . . فقام والد أمين وطلب دنيا لابنه من أبيها وجدها اللذين وافقا إن كانت دنيا موافقة والتى بدورها أومأت لهم برأسها كتعبير عن الموافقة، وبعد قراءة الفاتحة تكلمت دنيا قائلة:

لى بعض الشروط يا عـمى وأمامك وأمام الجمـيع . . أى محاولة من قبل بسام للعب بذيله أو المراوغة فأنا فى حل من هذا الارتباط . .

فقفز بسام نحوها وقال لها باسماً:

وهل يعقل أن أفكر بمثـل هذا ومعى أحلى من القمـر . .أقبل بكل شـروطك من دون مناقـشـة لكن بشرط أن تـبتـسـمى لأنى لم أرى

ابتسامتك بعد.

يضحك الجميع وبالذات دنيا، وقام الحاضرون بمباركتهم وتوجه بسام إلى عمه عبدالقادر والد دنيا وطلب منه أن يحدد موعد الخطوبة فرد عليه عمه: هذا الامر متروك لكما فأنتما المعنيين بذلك.

كانت لحظات سعيدة وممتعة.. وشكرت أمين وسلمى على جهودهم الصادقة والمخلصة، طلبت من سمير وسعيد أن يتكلموا أمام الحاضرين ويشكرون أصحاب الدار وأيضا سيف وهارون وقد فعلوا.

بعد السهرة ومغادرة الجميع بقيت مع سمير وسعيد وفيفى وأيضاً دنيا التى أخذت أحد الأركان وجلست مع بسام يتحدثان فيما بينهما.. سألت أمين ان كنا قد اثقلنا عليه ثم سألت سلمى نفس السؤال فاتفقوا ان يرد على سؤالى أمين حيث قال: أرفض فكرة سؤالك شكلاً ومضموناً.. لأن هناك ذكريات جميلة جمعتنا مما تحتم علينا على التعاون مع بعض قدر الامكان هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك أمور أخرى تنتظرنا وهى أكثر تعقيداً وحددها بوضعى مع الجمعية صاحبة عملى ومالكة شقتى أنا وسمير...

فقلت له إن هذا كثير علينا.

لكنه واصل الحديث:

محامى المجموعة تبنى الموضوع وينتظر مقابلتكم ووثائقكم وهذا الأمر راجع لكم وفى الوقت الذى تودوا اللقاء به.



تدخلت فيفى:

نحن نفكر ببيع شقة سحر وسمير أو شقتنا حتى لا يزعلوا ونجمع ما معنا مع قيمتها ونبنى عليها بيتاً مستقل على قطعة أرض لسعيد سنقوم بتسجيلها بأسمنا. . فما رأيكم بذلك؟

رد أمين:

فكرة ممتازة وسارة ونحن من جانبنا سنقوم بمقاولة البناء وبأسعار خاصة لكم.

يعقب سعيد:

لا. . بنفس أسعار السوق. . .

يرد أمين:

لكل حادث حديث يا أصدقائى الاعزاء. . الفكرة بحد ذاتها عظيمة وستساعدنا كثيراً على التخلص من عقدة الجمعية.

● قرأت ذات صباح فى أحد الايام خبراً عن تعرض الشخصية الوطنية والسياسية والثقافية البارزة الاستاذ/ عمر الجاوى لمحاولة اغتيال فى أحد شوارع العاصمة صنعاء وقد نجى من الموت ولكن زميله المهندس حسين الحريبى أحد قيادات حزب التجمع الوحدوى اليمنى الذى يترأسه الجاوى قتل فى الحال كما أصيب نجله، تعددت الاخبار عن الجهات المنفذة لمحاولة الاغتيال او الداعمة لها. . خصوصاً وأن الاستاذ الجاوى يعتبر من الشخصيات السياسية اليمنية البارزة الداعية

للوحدة منذ سنوات طويلة قبل الوحـدة. . وأشارت بعض الاخبار ان جـهات مـتنفذة في السلطـة هي التي تقف وراء المحاولة الآثمـة وان اسبابها هي نتيجة لجدل حاد تم بين شخص رئيس الدولة علي عبدالله صـالح وعمـر الجـاوى في لقـاء مقـبل قـات بحـضور الكـثيـر من الشخصيـات السياسية والوطنية بدأها الرئيس ثم عـقب عليها الجاوى الذى تأثر منهـا الرئيس، طبـيـعـة الجـدل الحاد نعـتـذر في الكتـابة عنها، لأنني لست متأكداً منها لأنها تمس الحياة الخاصة بالشخصيتين - الرئيس والجاوى - وأنه نتيجـة لذلك تم تأديب الجاوى بسبب تطاوله على شخص الرئيس. والـبادىء كما يقـال أظلم. . وأعتبـرت القوى السياسـية اليمنية أن محـاولة اغتيال الجاوى بداية لمسلسل الاغـتيالات الذى كان معلقا لأسباب سياسية وعامة.

● أجهزة التحقيق الرسمية أتهمت جـهات سياسيةوقبلية واعتبرت أن المحاولة هي نتيـجة لثأرات سياسيـة وقبلية. . اعتقد أنهـا اتهامات جوفاء لأن الشعب اليمني يعرف بأن الاسـتاذ الجاوى وزميله اصحاب صفحات بيضاء وخالية من الانتقامات السياسية والثأرات القبلية لأنهم لم يتحملوا يوماً أى مسؤولية سياسية أو أمنية أو حكومية.

● محاولة اغـتيال الجاوى زادت من حدة الخـلافات بين الشريكين الحاكمين وقـد برزت هذه الخلافات في تصريحات عناصـر قيادية من الشريكين وصـحفهم الرسـمية والتـابعة، واعتـبر الحزب الاشـتراكى

الشريك محاولة اغتيال الجاوى والحريبى محاولة استهداف للقيم الديمقراطية والوحدة اليمنية الوليدة، وحذر الاشتراكى من مغبة الانجرار وراء قيم الانتقام السياسى ذات الأفق الضيقة.

- الجاوى قامة وطنية سامقة ومن العناصر اليمنية الأولى التى أعتنقت الفكر الماركسى ولكنها لم تنضوى تنظيمياً لأى حزب سياسى يتخذ من الماركسية منهجاً فكرياً وسياسياً. ولكنه ظل يتبنى مواقف علمانية وعصرية. ورغم ما تعرض له الجاوى من مضايقات سياسية وفكرية فقد ظل ثابتاً فى مواقفة السياسية الوطنية، وقد شارك بفعالية فى مفاوضات وحدة اليمن.

● بعد محاولة اغتيال الجاوى بدأت سلسلة الاغتيالات تمتد لعناصر وكوادر وقيادات الاشتراكى الشريك الحاكم الذى فشل فى تحقيق أى من أهدافه نتيجة لانشغال قياداته بترتيب أوضاعهم الشخصية وبالخلافات الداخلية وكذلك خلافاته مع الشريك الآخر فى الحكم وصناعة الوحدة وطالت تلك المحاولات قيادات بارزة مثل الدكتور ياسين نعمان القيادى الاشتراكى ورئيس الوزراء السابق ورئيس أول برلمان يمنى موحد وأكثر شخصية سياسية يمنية مقبولة من جميع فئات وقوى المجتمع اليمنى وأيضا المهندس حيدر العطاس رئيس هيئة الرئاسة سابقا وأول رئيس وزراء لحكومة الوحدة، وأنيس حسن يحى والعقيد ماجد مرشد سيف وغيرهم مما عقد من حلحلة الأزمة

السياسية بين الشركاء وأصبحت مسألة اصلاح السياسة الأمنية لدولة الوحدة أبرز قضايا الخلافات السياسية فى الوطن.

وبفعل الأزمة السياسية تدهورت الأوضاع الاقتصادية للبلد.. فقيمة العملة الوطنية تراجعت بالنسبة للعملات الأجنبية مما قاد الى تدهور وانخفاض مستويات المعيشة للمواطنين وكذا مستويات دخولهم.. وتقلصت فرص الاستثمار الانتاجى نتيجة غياب الأمن والاستقرار والقضاء العادل فالرأسمال كما هو معروف عنه جبان وهذا من حقه لأنه - الرأسمال - يبحث عن مواطن آمنة ومستقرة وقضاء عادل وادارة خالية من الفساد لكى يعمل ويربح. ودائماً الرأسمال يبحث عن الاستثمار فى ظل مناخات دولة النظام والقانون. وانتشرت ظاهرة الفساد وظاهرة التقطع والاختطافات.

● وضعت سلمى مولودها الثالث - ياسين - كما وضعت فيفى مولودها الأول - أمين - وأنا حينها كنت حامل فى شهرى الثامن.. وفى نهاية العام ١٩٩٢م بدأت المفاوضات بين الشركاء حول تحديد موعد أول انتخابات تشريعية فى البلاد خلال العام ١٩٩٣م.

بعد شهر وضعت مولودى الثانى وكانت بنتاً اسميتها - فيفى - تيمناً بصديقتى فيفى.. بعد أن طلبت منى دينا تسمية طفلتى باسم فيفى وبلغتنى أنها رغبتها الصادقة وهى بذلك تحلنى من وعدى لها بتسمية الطفلة باسمها.

تزوجت دنيا من بسام بعد أقل من عام من الخطوبة كما تزوجت كريمتى الصغرى من ابن شقيق زوجى عبدالقادر - أى عبدالرحمن -.

● فى أبريل ١٩٩٣م تمت أول انتخابات تشريعية شاركت فيها عدد من القوى السياسية اليمنية الحاكمة وغير الحاكمة وقد فاز فيها الشركاء بالاضافة إلى التجمع اليمنى للاصلاح وبعض مقاعد للقوى الناصرية والبعثية والمستقلين، ومنذ فرز النتائج توترت العلاقات بين شركاء صناع الوحدة وحدث اصطفاف سياسى جديد أفرزته العملية الانتخابية فقد تحالف حزب المؤتمر الشعبى الشريك فى الحكم مع حزب الاصلاح وتشددت أطراف الأزمة فى مواقفها حتى بات من المستحيل حل الخلاف داخليا مما استدعى لتدخل أطراف إقليمية ودولية أثمرت عن التوصل لصيغة توافقية باسم وثيقة العهد والاتفاق التى تم التوقيع عليها من قبل جميع القوى السياسية وباشراف عربى وخصوصا من ملك الاردن الذى رعت عاصمته استقبال واحتضان تلك القوى والوثيقة.

فى أبريل ١٩٩٤م أى بعد عام من الانتخابات التشريعية الأولى.. بعد التوقيع وقبل أن يجف حبر التوقيع أعلنت الحرب من قبل الرئيس اليمنى على صالح ضد الحزب الاشتراكى الذى أعاد تمركزه فى الجنوب ولم تنفع محاولات التهدئة المحلية والاقليمية والدولية وكان أن استمرت الحرب لمدة سبعين يوماً انتهت بهزيمة

الاشـتراكى والذى حـاول بعد شـهـر ونيف من قيـام الحرب اعـلان جمهورية اليـمن الديمقراطية وقد حشد الرئيس صـالح أنصاره وقواته وأنصار تجمع الاصلاح اليمنى وصدور فـتوى دينية من قبل أحد قادة الاصلاح الشـريك الحليف لحزب الرئيس كفـرت اعضاء الاشـتراكى وأباحت دمـاءهم وأعراضـهم وممتلكاتهم ومن والاءهم.. سـقط فى الحـرب الاف القتلى والجـرحى من الشـعب كـما دوت مـؤسسـات وممتلكات خاصة وعامة وبلغت حجم الخسائر المادية أكثر من ١١ مليار دولار يتحمل مسؤوليتها الرئيسية العليين وحزبيهما.

الفصل الثانى عشر

● بعد انهيار الاشتراكى تشردت غالبية قياداته وكوادره واعضائه من أبناء الجنوب فى المنافى العربية والأجنبية وعرفت بعد شهرين أن بعض من زملائى قد نزحوا من البلاد وعددهم أربعة، عاد منهم اثنان بعد عام، وبقى اثنان أحدهما فى بريطانيا والآخر فى أمريكا.

● بعد الحرب تغيرت الخارطة السياسية اليمنية فقد أصبح تجمع الاصلاح شريكاً جديداً لحزب الرئيس فى الحكم «المؤتمر الشعبى العام» وتم اجراء تعديلات دستورية أعطت صلاحيات واسعة للرئيس والغاء مجلس الرئاسة الوحدوى، وشكلت حكومة جديدة من الشركاء الجدد وبدأت مسيرة الديمقراطية تتقلص وكذا الحريات الفكرية والصحفية.

● تعرضت مدينة عدن وبقية مدن الجنوب الى النهب والسطو كون ذلك يعتبر مبدأ للمنتصر ومن وقف معه.. وبسبب تلك الحرب تعرض الكادر الجنوبى المؤهل والمجرب للمضايقة والطرد تحت مسميات كثيرة وغير عسير، فى البحث عنها فى القاموس السياسى للمنتصر.. وتعرضت ممتلكات خاصة للمصادرة اللا قانونية والبسط العشوائى ومن دون مراعاة لأى تقاليد وأعراف.

● أجواء الحرب ظلت مستمرة وخاصة فى مناطق الجنوب وحدث زحف بشرى على معظم مناطق الجنوب وخصوصاً عدن وحضرموت ولحج وغيرها وزادت همجية رموز الانتصار على عدن بالذات والكادر الجنوبى الذى أصبح متهماً بالانفصالية بسبب أو من دون سبب.

أوضاع أبناء الجنوب زادت سوءاً باستثناء من وقف مع المنتصر أو اعاد ترتيب مواقفه بما تتوافق وتوجهات المنتصر.

● سمعت أخبار مؤلمة عن كوادر فقدت وظائفها رغم أنها لا تنتمى للحزب الاشتراكى ولكنها تنتمى للجنوب.. كوادر مؤهلة ومجربة ووطنية مخلصة ونظيفة تقاعدت وهى لازالت شابة فى تاريخها الوظيفى.. واستعيض عنهم باشخاص معظمهم من دون مؤهلات وخبرات وكل ما يملكون أنهم ينتمون للطرف المنتصر إما سياسياً أو قبلياً أو عائلياً وبدرجة أساسية انهم من المناطق الشمالية، وسمعت أخباراً متضاربة عن فقدان عائلات حاولت الهروب يوم دخول عدن فى ٧ يوليو ١٩٩٤م خوفاً على حياتهم، سلكت البحر والبر والجو.. الذين سلكوا طريق البحر يبلغ عدد العائلات ٧٥ عائلة فيها الاطفال والنساء والشباب والشيوخ وفيهم كوادر شابة.. أعرف عائلة من

ضمنهم قريبة لاحـد الزملاء ومكونة من الأم وابنها ذات الربيع العـشرينى وخـريج هندسـة طيران مـدنى لم تسعـفه الأوضـاع الاقتـصادية والسـياسـية والإدارية من الحـصول على وظيـفة..

غادرت عدن يوم ٧ يوليو ٩٤م على ظهر قارب بحرى - يسمى صنبـوق - وتلاحـقت الاخـبـار أن مـحـافظ عـدن حـينهـا السيـد/ صالح السيـلى وأحد قيـادات الحزب الاشتـراكى البارزة وأحد المدرجين فى القائمـة المطلوبة من قبل النظام والمكونة من ١٦ شخـصاً على رأسـهم نائب الرئيس على البـيض، قد ركب مع بعض أفـرادها فى ذلك القـارب ثم ضـاعت أخـبـارهم بين التهام البحـر لهم من جهة ومن جهة أخرى اعـتراضهم من قبل قوات النظام واعتقالهم او اعتقـالهم من قبل أرتيريا أو جيبوتى بالتنسـيق مع أجهـزة النظام اليمنى ومن جـهة ثالـثة أن السـيد المحافظ سيطر على القارب ووجهه نحو دولة افريقية غير محددة لا تستطيع اجهـزة النظام - الاهتداء اليه مع حمـايته للآخرين، ركاب القارب ورعايتهم.

● ومـرت السنوات من دون ظهـور أى مـن تلك العـائلات رغم ورود بعض الاخبار عن عودة بـعض الافراد الذين التزموا الصمت خوفاً على حياتهم وهـذا يعتبره بعض الناس أن أجهزة

الأمن تحتفظ بالسيد المحافظ السابق ومن كان معه بهدف الضغط على المحافظ للحصول على معلومات خاصة عن مالية الاشتراكى والذى كان السيد المحافظ السابق واحد من ثلاث شخصيات كانت مسؤولة على مالية الاشتراكى واستثماراته فى الداخل والخارج.

وحكى لنا أحد الزملاء الذى يعرف تلك العائلة من أن بعض أفرادها حاولوا جاهدين فى السؤال عن ذويهم المفقودين وقد أرسلوا الرسل الى كل من الصومال وأديس بابا وجيبوتى ولكن من دون توصلهم الى نتيجة ايجابية، وأضاف انه سمع عن أحد المقربين من العائلة عن أنه سأل أحد ضباط الامن من أبناء صنعاء وأخبره أنه لا يعرف عنهم شيء ولكنه - الضابط - سمع من بعض زملائه أن هناك موكب سيارات عسكرية بعد الحرب بيومين وصلت الى صنعاء قادمة من مدينة الحديدة وعددها يقارب ما بين ١٨ - ٢٠ سيارة اتجهت مباشرة إلى أحد المواقع العسكرية الحساسة وأنه ربما يكون فيها بعض من الشخصيات القيادية الاشتراكية المتهمة بالانفصال والذين تم اعتقالهم، رغم أنه لا يوجد دليل مادى على اعتقال أو أسر أى من القيادات المطلوبة أو غيرها، وهو لا يستطيع الوصول إلى أى معلومات مفيدة.

وأضاف زميلنا: أنه ربما أن الموكب يحمل السبيلى ومن معه وفى حالة الافراج عن تلك العائلات فلربما مع الأيام يفصحون عن حقيقة وضع ومكان السبيلى الذى ترجح كل المؤشرات أنه لن يقدم للسلطة المنتصرة أى معلومات تريحهم.

● بصراحة لم تحصل أى تصفيات دموية بعد ٧ يوليو ١٩٩٤م على عكس الاحداث الدموية التى شهدتها البلاد منذ «١٩٦٢ و١٩٦٧»، وهذا عائد ربما الى حساسية تلك الحرب وما شهدته من تدخلات اقليمية ودولية أججت من الأزمة السياسية وأوصلتها الى مرحلتها الأخيرة وهى الحرب.

● بعد الحرب المؤلمة والمدمرة تعاظم دور التجمع اليمنى للاصلاح بتياراته المختلفة لكونه أصبح شريكاً فى الحكم بدلا عن الحزب الاشتراكى اليمنى الذى تحول للمعارضة وبالكاد يستطيع لملمة نفسه.. واستغل التجمع الفراغ السياسى فى الجنوب نتيجة انشغال شريكه وحليفه القديم الجديد - حزب المؤتمر أو حزب الرئيس - فى عمليات الفيد وتوزيعها، فتوسع تنظيمياً وجماهيرياً وأسس قواعد جديدة له رغم تنافر تياراته المختلفة المكونة له.

● الحمد لله أنى قد تخلصت نهائياً من ارتباطى الوظيفى

بالجمعية بعد أن قمت بتسديد كامل أقساط الشقة من توفير سمير ومساعدة عمى أبو سمير وكذا فيفى وسعيد وأيضا الصديق والزميل العزيز أمين الذى أقرضنا مبلغ مالى بحوالى ٣٥٪ من القيمة المتبقية، وعندما تسلمت أوراق الملكية عرضناها للبيع كى ننفذ فكره بناء منزل مستقل «فيللا» لنا ولفيفى وسعيد وكان ذلك فى العام ١٩٩٣م وتحديداً فى شهر نوفمبر.

● رقى سمير بوظيفته من رئيس قسم إلى نائب مدير ادارة بالشركة الأجنبية كما رقى سعيد أيضا الى نائب مدير مكتب فرع الشركة النفطية وتحسنت دخولهم المادية وأقدم سمير على شراء سيارة صغيرة ومستعملة من نوع تويوتا كورولا ووضعها تحت تصرفى أنا وفيفى بينما هم يستخدمون سيارة سعيد الخاصة بالشركة.

● وعرفت من صديقتى زينب رئيسة الجمعية التى كنت أعمل فيها وبعد الحرب أنهم قد عزلوها وطلبوا منها الانتقال بعمل تنظيمى وسياسى ولكنها اعتذرت وطالبت بدورة دراسية وبصعوبة بالغة سمحوا لها باجازة والسفر إلى الخارج لمدة بسيطة وما أن سافرت الى الخارج مع ولديها وموافقة زوجها المشفر حتى استقرت فى احدى البلاد الأوروبية وطلبت فيها اللجوء

ومن ثم الانفصال من زوجها حتى تزوجت من أحد الكوادر العربية المقيمة فى تلك البلاد وتحررت بمساعدته من قيودها السابقة، ولم أصدق نفسى حينما تسلمت رسالة منها مع مجموعة صور لها بأنها زينب، حتى فيفى لم تصدق ما شاهدته.

وللأمانة كانت زينب معى وفية وصادقة فى علاقتها بى بعد تلك الحادثة فهى ساعدتنى كثيراً فى التخلص من ارتباطى بالجمعية وتملك الشقة كما أنها قبل خروجها من العمل باسابيع قامت بتصفية حقوقى المالية مقابل سنوات عملى، كما زارتنى قبل سفرها حيث قمت مع فيفى وسمير وسعيد بتوديعها فى المطار ومساعدتها فى بيع سيارتها بعد ثلاثة أيام من سفرها، وأمنتنى على قيمتها بأن اضع نصف قيمتها كأمانة حتى تبلغنى بعد أسبوع من سفرها فى كيفية التصرف بها والنصف الآخر تحويله إلى الدولارات ووضعه فى حسابها حيث أعطتنى دفتر توفيرها وقد أصبت بذهول حينما فتحته بعد أيام من سفرها وأنا فى البنك أودع لها نصف قيمة السيارة ٦٥٠٠ دولار ووجدت أن رصيدها يتجاوز ٧٠٠٠٠ دولار.. المبلغ بالنسبة لى كان كبيراً ولكنها بالتأكيد تستحقه نتيجة لتضحياتها وتعبها

وعـملهـا. . لم تتـصل بى زيـنب حـسب وعـدها وقـد قلقت عليـها. . تأخـر اتصالهـا لشـهر وأربعـة أيام. . ثم اتصلت بى وعـرفت صوتهـا بسرعـة. . سألـتنى عن كل شىء إلا الفلوس بالعملة المحلية وشكرتنى على ايداعى للعـملة وعرفت منها أنها لا تفكر بالعودة لانهـا قررت العيش خارج الوطن وقـد تقدمت بطلب اللجـوء السياسى وتتـوقع أن يوافقـوا على طلبهـا خلال أسابيع، ثم سألتهـا عن كيفية التصرف ببقـية المبلغ. . فاجابتنى بهدوء: ممكن تقبليها منى كهدية؟

فرفضـت فكرتها. . فقالت مـجدداً: إذن هدية لسلمى منى؟ رفضت مرة أخرى حتى لا أخسر صداقتها. . فقالت لى:

اذن ضعيها بحسابك وسلمى لأمى شهرياً عشرة آلاف ريال، وسألتنى ان كنت أستطيع القيام بذلك فرديت عليها بالايجاب.

وبعد ستة أشـهر من سفر زينب واستمـرار التواصل الأثيرى فيما بيننا طلبت منى أن ألاقيهـا لأحدى الدول العربية واختارت مصر أو سوريا أو تونس ومع أولادى وزوجى وعلى حسابها. . فقلت لهـا سأفكر بالموضوع. . بعـد سنة من سفرها وحصـولها على حق اللجـوء السياسى اتصلت بى وأخـبرتنى أنهـا تعرفت بأحد المواطنين العرب المقـيمين بتلك البلد حتى أحبوا بعـضهما



البـعض وأنه تقـدم لطلب الزواج منهـا وهى بانتظار رد أهلهـا ودخول أحد أقاربها ليكون وكيلاً لهـا ليقف بجانبها. . وعرفت منها أن زوجها رجـل أعمال متوسط ولكنه مسـتقر ويملك عدداً من المحلات والمطاعم ووكـالة عقارية ومنـزل ضخم وهو مطلق منذ خمس سنوات وأب لـولدين وفتاة أكـبرهم ١٥ سنة. . وأن أولادها «أولاد زينب» مـتعلقين به كـثيـراً. . وطلبت منى رأيى فباركت لها وقلت:

ولما لا. . أنت لازلت شـابة وجمـيلة والكل يتـمناك، وظل راجل ولا ظل حيط على قـولة إخوانا المصريين. . وعبـرت لها عن استعدادى لاقناع والدتها بذلك.

الفصل الثالث عشر

عندما تغيب هيبة ومكانة الدولة المؤسسية يكون رموز الفساد أول اللاعبين والمستفيدين.. وبأعمالهم اللامشروعة تنهار كل القيم والتقاليد والقوانين والأنظمة كما تنهار مستويات المعيشة وتزداد معدلات البطالة والفقر والإرهاب والخوف فتضيع وتتبخر معها كل الأحلام والأماني... وعندما تغيب الدولة تضيع المساواة والعدالة بالنسبة للمواطن والوطن... فغياب الدولة يكسر ميزان العدل وتصبح الوساطة والرشوة والقوة هى السائدة.. وهنا نجد سحر تتلمس بعض المواقف الدالة على ذلك من خلال ما أوردته في مفكراتها.

● ذات يوم عزمنا على القيام برحلة على ساحل الغدير بمدينة عدن الصغرى - البريقة - طبعاً نحن وسعيد وفيفى وأمين وسلمى وسيف وعائلته ودنيا وبسام بينما تخلف هارون وعائلته بسبب مرض أحد الاولاد.. ومع الحديث سألت أمين عن اوضاع شركته أو المجموعة.. التزم الصمت لدقائق قليلة ولكنها بالنسبة لى كانت طويلة لأنى أحسست كأنى أنكأ جرح أصابه لم يشأ ان يبلغ عنه أحد فحاولت تغيير الحديث ولكنه قاطعنى قائلاً:

أنا لا أدرى لماذا ترفضين العمل رغم عدم اعتراض سمير كما أعرف.. أنت بارعة فى التحليل وطرح الأفكار منذ الجامعة.. تصدقى أنى كنت أحسدك على ذلك ولكنه فى الحقيقة حسد أساسه

الاحساس بالفخر والاعتزاز بك.. ولأنى أعرف أنك أكثر حساسية من المجموعة فى حالة عدم اقتناعك بأى جواب أو فكرة أو رؤية تطرحيها فانا لن أسمح لنفسى بأن تظلى متوترة وقلقة من عدم ردى.

حاولت أن أنفى ذلك عن نفسى وأقسمت له اليمين بالله بأنى قد تغيرت لكنه أصر على موقفه بالرد عن سؤالى فأجابنى والاخرين منصتون.. قائلاً:

يا صديقتى واختى وأم سلمى... دوام الحال من المحال... نحن نحاول الحفاظ على انفسنا كما فعلنا فى السابق... نحن نواجه حملة شرسة ومنظمة قائمة على الفساد والهيمنة... قبل الاستقلال بالكاد حافظنا على كياننا ولم نتمكن من التوسع الكمى والكيفى وكنا ومازلنا حامدين وشاكرين الله على ما نحن فيه.. كلكم تعرفون انشطتنا السابقة وعلاقاتنا الحسنة بالجميع... كنا وكلاء معتمدين للعديد من الشركات الاجنبية واستطعنا ان نحافظ عليها بمصداقية تعاملنا معها رغم القيود المعقدة التى كانت سائدة حينها حتى قامت الوحدة، بعض تلك الشركات استمرت فى علاقتها معنا رغم الضغوط التى مورست من قبل بعض الجهات المحلية والشخصيات المتنفذة، والبعض الاخر كان يريدنا ان نتوسع على مستوى وطن ٢٢ مايو ١٩٩٠ ولكنهم لم ينجحوا لان هناك جهات اخرى تريد احتكار توكيلات كل الشركات بما فيها الشركات

التي لنا توكيلات.. خسرنا ما يقارب ٤٠٪ من اجمالى توكيلاتنا لحساب تلك الجهات التى طلبت منا ان نكون تابعين لها وليس مشاركين... هذا سبب لنا أزمة مالية دفعنا الى ان نعلق اعمال بعض الشركات مثل الصرافة والتجارة الخاصة بالمعدات الكهربائية... ركزنا نشاطنا على صناعة الاسفنج والعقارات وطرقنا نشاط السياحة والسفريات ونجحنا بتوحيدها مع اعمال الصرافة بعد أن صرفنا الملايين للحفاظ على نشاط الصرافة والتحويلات المالية... كنت شخصياً اتمنى لو أن هناك حرية اقتصادية اساسها المنافسة الشريفة لكن ليس كل التمنيات تتحقق... المهم ان القادمون الجدد والشرعيون لم يرحموا احد والكل بالنسبة لهم انفصاليين بينما الحقيقة تقول عكس ذلك... ممارساتهم العملية تؤكد انفصاليتهم... ممارساتهم القائمة على القوة والفوضى والنفوذ ترفض ان ترى الاخرين يعملون بضمائر مخلصة وصادقة للوطن.. نحن ندفع كامل التزاماتنا للدولة وهم لا يدفعون مثلنا لأنهم يعتبرون أموال الدولة حقاً خاصاً بهم... لا بأس إن نحن خسرنا وهم بربحون من دون مقابل طبعا هذه وجهة نظر رموز الفساد... دخلت فى خلاف حاد مع والدى واعتقد ان سلمى وبسام يعرفون ذلك وطبيعة الخلاف حول متأخرات مالية عندنا للحكومة عبارة عن ضرائب متنوعة ورسوم مالية متنوعة لمدة

عامين.. اقترحت ان نتوقف عن الدفع وتسوية ذلك بالمفاوضات مع الادارة المختصة التى قبلت التسرية بالمفاوضات رغم رفض والدى ولكنى صممت على موقفى فاعتكف والدى فى البيت على طريقة اعتكاف السيد على سالم البيض لكن اعتكاف والدى كان ايجابيا وافضل من اعتكاف السيد البيض... فدخلت فى المفاوضات ومعى سيف وبعض الكوادر وتمكنا من تقليص ديوننا او التزاماتنا المادية للحكومة الى النصف ومع استمرار المفاوضات مع ممثلى تلك الادارة تعرفنا الى بعض افرادها وربطتنا علاقات التفاهم ثم الصداقة ومنهم عرفنا ما لم يكن نتوقعه او نصدقه... عرفنا ان هناك شركات كبيرة ومعروفة واصحابها ايضاً معروفين بأنهم لا يدفعون للدولة إلا ١٥٪ مما يجب أن يدفعوها للدولة رغم ضخامة أموالهم وتعدد وتنوع انشطتهم وحددوا لنا طرق تلك الشركات فى معاملتهم مع اجهزة الدولة... سألناهم عن سبب صمت الدولة فردوا علينا: هم الدولة وهم الشركات... وسألناهم عن امكانية مساعدتهم لنا فحددوها لنا وعملنا كما قالوا لنا ونجحنا رغم عدم اقتناعنا ولكن ما باليد حيلة لأنه لا يعقل ان نكون نحن ضحايا من دون ذنب قمنا به واتفقنا على نصف المبلغ المتأخر علينا... وبعد شهر اتفقنا على تقليص الجزء المتبقى إلى نسبة ١٥٪ فقط... أى أن إجمالي نسبة ما دفعناه لم يبلغ سوى ١٢٪

ويواصل أمين حديثه:

طبعاً الوالد كان فى حالة خصام معى ولكنه بعد اشهر تفهم لموقفى وتصالحنا والان نحاول التمسك بما معنا حتى لا نسقط فى وحل الافلاس... بالطبع مفاوضات التسوية ونتائجها اثمرت عن وفر مالى ساعدنا على الصمود والمواجهة.

لقد ربانا الوالد على العمل بما يرضى الله ونفوسنا ومن دون طمع وجشع وبعيداً عن الفساد والافساد... ولازلنا على ذلك الطريق رغم ما تعترضنا من مشاكل وعقبات مؤلمة وقاسية وغير اخلاقية. احياناً حينما اكون مع نفسى افكر بما يدور فى الوطن واعرف ان هناك رجال اعمال اصبحوا كذلك من نهبهم للمال العام. ينتابنى الخوف من الايام القادمة والمستقبل المجهول... تصدقوا عندنا رجال اعمال ورجال سياسة بنفس الوقت... فالوزير او القائد الذى لا يملك شركات يعتبر مغفلا... رجال دولة لم يكونوا يمتلكوا الا رواتبهم قبل ان يصبحوا رجال دولة باتوا بين لحظة وأخرى يملكون الملايين والشركات هم واولادهم واقاربهم... والشاطر منهم من يهبر هبرته الكبيرة وينفع الاخرين معه لأنهم يعتبرون اموال وثروات المجتمع حلالاً وليس حراماً، هناك رجال دولة كبار اصبحت عائلاتهم تملك وتسيطر على الكثير من الانشطة وكأن الوطن اقطاعية خاصة بهم ولو كان كل واحد منهم يفكر بهذا التفكير فتخيلوا معى كم عدد الاقطاعيات؟

وكم يكون الوطن او الاوطان؟ وإلى متى سيظل المواطن صامتا عن ذلك؟ حتى ابناء الوطن المهاجرون والذين اصبحوا رجال اعمال كبار وجدوا فى النظام شخصيات متنفذة تريد مشاركتهم بالمجان وتحت شعار فرض حمايتهم على استثماراتهم ولأنهم يستطيعون تذليل الاجراءات الاقتصادية والقانونية المعقدة فى البلد... ومن يعقدها... هم أنفسهم رجال الدولة وقادة البلد... هم من يصدرون ويسنون التشريعات والقوانين وهم انفسهم من يعقدوها ويفسدوها ويخربوها... يعنى حاميها حراميها... خذوا مثلاً مشروع تحويل عدن الى منطقة حرة ولو نظرنا الى ما يعتمل فى هذه المدينة لوجدنا ان شروط تنفيذ المشروع غير متوفرة من كل الجوانب... الاراضى نهبت ووزعت على رجال الدولة ومحاسيبهم من الاقرباء والاصدقاء والشركاء... والجميع لازال يردد شعار عدن كمنطقة حرة لم ولن يتنفذ ولو بعد ١٥ سنة... تذكروا كلامى وفكرونى به بعد ١٥ سنة لو عشنا... انتِ يا سحر فقط من يتذكر الاحداث واتمنى ان لا تنسى تفكرينا بها.

يتدخل سيف فى محاولة منه لابعادنا عن جو التوتر وقد نجح بصعوبة عندما اقنع امين فى التوقف عن الحديث لاننا فى مشروع رحلة وليس مشروع تجارى... وتدخلت لدى امين بأن وعدته بتذكيره برؤيته بعد ١٥ سنة لو قدر لنا ان نعيش... وقد بدت

جو التوتر دنيا التى ابلغتنا انها حامل ففرحنا جميعاً لها ولبسام فباركناهم. . . وشهدت الفرحة الكبيرة على وجه امين وهو يحاول نصحها ونصح شقيقه بسام مؤكداً انه ينتظر منهم نصف دستة من الاولاد. . . فرد عليه سيف بسؤال عن سبب عدم انجاب سلمى لنصف دستة كما يرغب هو منه فاجاب وعيناه صوب سلمى:

نحن وسلمى كبرنا على ذلك. . . نحن نريد الان الاستراحة. . . ولا اريد ان احمل رفيقة عمرى وحبيبتى اكثر من طاقتها.

فردت عليه سلمى:

لا يا حبى لم نكبر ولاتحاول أن تكبرنى. . . لازلت فى قوتى وفى نيتى إنجاب ثلاثة اخرين لو قدر لى الله ذلك.

رد عليها امين:

مادمت كذلك فأنا لست كبيراً بل واصغر منك وكلى حيوية وشباب وحب لك.

● بعد الغداء فى ذلك اليوم حيث تناولناه على شاطئ البحر الجميل والرائع حدثنا سيف عن زوجة احد اخوانه وكيف تدينت وتشددت واصبحت كغريبة عن بقية اهله واهلها رغم ممانعة زوجها لذلك وتهديدها بالطلاق. . وحدثنا عن محاولاتها للتأثير على بعض افراد عائلته وعائلتها وكذلك بعض فتيات القرية وجهودهم

المبـذولة لاقناعهم ورفع تأثيـرها عليهم... قـال... انها اكـملت المرحلة الثانوية العـامة- علمي- بنجاح غير عـادى... وانها كانت طبيعـية... وانها بعد الزواج بسنة تغيرت... اول ضـحاياها كان جهاز تلفزيون قامت برميه الى الشـارع..!! باعتباره حرام ويساعد على الانحلال الاخلاقى وضياع الوقت و... و... ثم مـقاطعتها لوالد زوجها وهو والد سيف ثم سيف وأخوانه الذكور كانت ترفض مصافحـتهم والسلام عليهم.. كاد زوجهـا أن يطلقها ولكن والدى ووالدته رفضوا فكرة تطليقها.. سـافرنا بهم لمصر وسوريا لمدة شهر وبرفقة شقـيقتها وهناك ساعـدوها على التخلص من بعض أفكارها المتشددة.. عادت بعدها بصورة أكثر مرونة.. حبلت وبعد ولادتها بدأت تتراجع خطوة خطوة ومع المولود الثانى تمكنت من العودة الى حياتها الطبيعية والسابقة...

سألنا جميعنا سـيف عن سبب ذلك وكيف يحدث مثل هذا ولماذا مع الشباب ولمـاذا يرفضون الحوار؟ أجابنا.. سـيف: فى زمن الحرب الباردة بين القطبين الدوليين وهـما الاشتراكى - الذى سـقط فى نهاية ثمانينيات القـرن العشرين، والقطب الرأسمالى والسائـد حالياً سادت سيـاسة الاستـقطابات الدولية وكـان كما تعلمنـا وقرأنا ان كل قطب يحاول أن يستقطب الى جانبه أنظمة سياسـية وحركات وقوى سياسية وطبعـاً اليمنان قبل الوحـدة كانتا داخـلتان ضمن دائرة الاسـتقطابات

الدولية فاليـمن الشمالى كان محسـوباً على القطب الرأسمالى وعلى الجانب الآخر كان اليمن الجنوبى مـحسوبا على القطب الاشتراكى أو الشيوعى.

وبسبب ذلـك كانت النزاعات والحـروب بين الشطرين هى السـمة الرئيـسية لواقـع الشطرين وبالطبع حاول حـينها كل شطر أن يـفرض أسلوبه على الشطر الآخـر وبكل الوسـائل الممكنة.. ولم يكن هناك من خاسر سوى الشعب.

نظام الجنوب احتـضن المعارضين لنظام الشـمال والعكس.. وفى أواخر السبعـينيات من القرن العشرين أشتدت المعـارضة لنظام الشمال الذى واجهـها بقوة وأسـتماته ونجح فـى هزيمتها بمسـاعدة جمـاعات اسلاميـة التى استغلت محاربة الشـيوعية والكفر والإلحـاد المتمثل فى قوى المعارضة السياسيـة والمسلحة، وما أن هزمت المعارضة حتى كان استحـقاق تلك الجمـاعات بانشاء مدارس ومـعاهد دينية مسـتقلة عن جهاز الدولة وبدعم من ميـزانية الدولة وهذه المدارس والمعاهد أسست لفكر دينى مـتعصب ومـتطرف يسعى إلى اقـامة نظام اسـلامى، وقد استقطبت تلك المدارس والمعاهد أطفال وشـباب من كل فئات المجتمع وخصوصاً الأكثرها فقراً ومعاناة.

ويضيف سيف بنغمة متهدجة قائلاً:

بعد الوحـدة تعاظم دور المعـاهد التعليمـية الدينيـة نتيجـة لتوسع

الجغرافيا والارض الخصبة وخاصة فى الجنوب حيث كان ينعدم التعليم الدينى باصوله العلمية المعتدلة كمـا أن تعليم أصول الدين كان ضعيفا حينها.

ونتيجة لذلك بالاضافة إلى تقديم بعض التسهيلات المادية للطلاب المستجدين فقد تمكنت تلك المعـاهد والمدارس من استقطاب الكثير من الطلاب الذين تحولوا إلى حملة أفكار مـتطرفة ومجنونة لا تمت بصلة لتعاليم الدين الإسلامى الحقيقى.

زوجة أخى وقعت فى فخ شراكهم وكادت أن تنجح فى استقطاب مجموعة لا بأس بها وقد عانينا كـثيراً فى عمليات إقناعهم وتراجعهم عن تلك الأفكار.

تتدخل فيفى بالقول:

التيـار الدينى الذى كان موجوداً فى الجنوب قـبل الوحدة لم يكن متشددا مثلما كان فى الشمال، والحمد لله أننا لم ننجرف الى صفوفه وأفكاره لأننا كنا متوازنين فى أفكارنا وتعاملنا معهم.

يعقب سيف:

فعلاً كنا محظوظين فى عدم التعرف عليهم أو الإنضمام إليهم.

ثم تدخلت سحر وقالت:

أنا لولا تدخل ومساعـدة صديقتى ورئيستى الـسابقة لما تمكنت من الخروج من ارتباطاتهم، وهى بالمناسبـة نفدت بجلدها وغادرت البلاد

وقدمت طلب اللجوء السياسى فى النرويج وقد وفقت بطلبها كما وفقت فى حياتها الخاصة حيث تزوجت من رجل أعمال عربى، وبالمناسبة وجهت لى دعوة لزيارتها وقد أجلت تلبية الدعوة لأسباب كثيرة.

● ثم يتحدث سعيد عن بعض الزملاء الذين نزحوا من الوطن بعد الحرب الأهلية وكيف عانوا من نزوحهم بفعل تجاهل قياداتهم لهم التى كانت مشغولة بترتيب أوضاعها المادية والمعيشية وكيف حاولت بعض الجماعات الإسلامية فى دول الجزيرة والخليج على استقطابهم وكادوا ينجحوا لولا استدعائهم من قبل عائلاتهم وإقناعهم بخطورة ما ينوون الإقدام عليه فى إعتناق الافكار الجديدة المتطرفة.. وأحد الزملاء استقر هناك والآخر غادر إلى دولة أوروبية. الزميل الذى أستقر - صالح - وحصل على الاقامة فى السعودية زار البلد مرتين بعد غياب خمس سنوات، طبعاً حصوله على الاقامة تم بضمانة زوجته السعودية والتى تزوجها بطريقة «المسيار» والذى استمر لمدة أربع سنوات ثم تزوجها رسمياً بعد توافقهم وتعلق زوجته السعودية به رغم معرفتها بزواجه الأول وأبوته لثلاثة أولاد وبنت، وقد أنجبت له طفلان - بنت وولد - وقد ساعده أهل زوجته فى ايجاد عمل له وزارته زوجته الأولى وأولاده ووالديه كما تمكن من إدخال أحد أشقائه لمساعدته فى عمله التجارى الخاص الذى يملكه بالشراكة مع زوجته،

وللأمانـة إنه غير مـقصـر فى دعم أسرته، وعلى فكره عنـدما تزوره زوجتـه الأولى وأولاده يقيـمون فى بيت زوجتـه الثانيـة وعرفت من زوجته الأولى أن ضرتها تعاملها بإنسانية وكأخت، وأولادها كأولادها كما أنهـا حاولت أن تستخرج لهـا ولأولادها إقامة شرعـية لكنها لم تنجح ولكنها استخرجت لهم فـيزا لدخولهم بأى وقت. وعرفت أنها اعتمرت وضرتهـا معاً كما أديا معاً فريضـة الحج وزادت عمق العلاقة باقامة مصاهرة جديدة تثبيتـا للعلاقات العائلية من خلال زواج شقيق الزوجـة السعـودية من أخت زوجـة صالح ذات الربيع ١٩، وأيضـاً خطبة احـدى صديقـاتها السـعوديات لشـقيق صالح ويتـوقع أن يتم الزفاف خلال الأسابيع القادمة.

تدخلت (سحر) فسألت سعيد:

إن كان صالح وزوجته يستطيعـون مساعدتنا فى البحث عن زوجة لزوجى سمير؟! يضحكون.. فيعلق سمير:

لا تقولى هذا لأنك ستندمين لو تحقق طلبك.

يرد عليه أمين:

لو وجدت فتاة أجمل وأرق وأطيب من سـحر ستكون أمك داعية لك.. قل لصالح يبحث عن عروسة لأخوك أمين.

تدخلت سلمى:

وأنا موافقة ومستعدة للتوقيع على اتفاق بشأن ذلك.

يجيب سيف:

وهل تعتقدون أنى سأوافقكم على ما تقولون؟.. لقد فات أوانكم وأنتم جميعكم محظوظين بشريكاتكم.. قولوا لأخوكم سيف.. لأنه مؤهل قديم حيث سبق له التأهل قبلكم إما بعشر سنوات أو خمسة عشر سنة.. صحيح أن حضرتنا لا يستطيع الاستغناء عن رفيقة عمرنا حبيبتنا فاطمة.. لكن لو أن التأهيل الجديد فيه ثمار مادية وعلاقات طبيعية فلربما نفكر بالأمر.

تدخلت سلمى قائلة:

لو أن هناك امرأة مثل فاطمة فلن نعترض.. المهم دعونا من هذه الثرثرة لأننا نعرفكم جيداً فمصائركم أصبحت ملكنا وملك أولادكم..

ويعقب أمين:

هيا يا سلمى لا تعكرى هذا الجو اللطيف والممتع.. نحن بحاجة إلى بهارات وفلافل لابد منها. علينا أن ندرك بأن رتابة الحياة قاتلة ومدمرة لبنيان المجتمع بأكمله. فالهزار والزعل والاختلاف ضرورات صحية واجتماعية لابد منها.

● ثم يحدثنا سمير عن صديقه ضابط الأمن سامح الذى كان ضيفا فى أحد المعتقلات الخاصة منذ انتهاء حرب ١٩٩٤م بشهر تحت تهمة الانفصالية وقيادته لجماعات مسلحة تعمل ضد الوحدة والوطن، وهذه

تهم باطلة وغير مؤكدة أو مثبتة بدلائل وقرائن قانونية مادية.. ورغم الوعود الحكومية باطلاق سراحه إلا أنها كانت وعوداً كاذبة ويتوقع بعض أصدقائه أن يتم اطلاقه خلال الأسابيع القادمة. فقررنا القيام بزيارة مشتركة لعائلته والوقوف بجانبها لأن سامح كان طيباً مع الجميع.

حينها انفرد الرجال لتعاطى القات وقد شاهدت أمين منهمكاً بالكتابة.. ومع الساعة السابعة والنصف مساء كنا على موعد العودة إلى ديارنا وبينما كنا ننقل أمتعتنا ناولنى أمين رزمة من الورق فقال لى: هذه مجرد أفكار أريدك قراءتها ومراجعتها والتصرف بها وارسالها إلى أى صحيفة تريها مناسبة.

بصراحة وما أن تسلمت الأوراق حتى كنت مستعجلة فى العودة إلى البيت بهدف قراءتها ومعرفة ما بها.. ولاحظت سلمى ارتباكى فطالبتنى بالهدوء كون الأمر لا يستحق العجلة والربكة.

بدأت بقراءة موضوع أمين بعد أن نام الاولاد وكذلك فيفى وأولادها بينما واصل سمير وسعيد سهرتهم فى منزل هارون، واكتشفت أن لغة أمين فى الكتابة راقية وواقعية فى التحليل، وأكثر ما أضحكنى هو اختياره لاسم مستعار «شهريار اليمن» تضمن الموضوع بعض النقاط التى حاولت تذكرها وهى كالتالى:

- الحاجة للاستقرار العام.. أهى حاجة الحاكم أم حاجة الشعب؟ أم حاجة الأثنين معا؟



- من يقف وراء إضعاف اليمن؟ وهل لازال العقل السياسى اليمنى مغرم بنظرية التفسير التآمرى؟ و. . . و. . .

- هل اليمن بحاجة إلى مصالحة عامة وشاملة. . مصالحة الحاكم مع نفسه ومع مساعديه ومناوئيه والأهم مع الشعب؟ ماذا تعني المصالحة وما دوافع رفضها؟ ولماذا لا تكون فى اليمن خطة مصالحة وطنية كغيرها من الخطط؟

- ما هى ضرورات المكابرة ومن المستفيد من ذلك؟

- متى يدرك ساسة اليمن أن مقياس تطور أى مجتمع تتحدد بتحقيق العدالة من خلال قضاء عادل ونزيه ومستقل. . والمساواة والحرية من خلال احترام التعدد الفكرى والسياسى وصندوق الاقتراع النظيف. . وتشجيع الاستثمارات الانتاجية ودعوة الرأسمالية اليمنية المهاجرة للاستثمار فى وطنها والقضاء الحقيقى على مكامن وبؤر الفساد. . وعدم التداخل بين السلطات واحترام خصوصية كل سلطة وخضوعها للمحاسبة والعقاب. . ودعم السياسات الاجتماعية والقضاء على البطالة و. . . و. . . و إلخ؟

- من المستفيد من هجرة الأيادى العاملة الماهرة والكوادر المؤهلة والنوابغ الوطنية؟ وهل يعنى أن هجرة هؤلاء مفيدة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً لليمن وأين تكمن الاستفادة؟ ولماذا لا يكون المجتمع أولى بها؟



- متى يـحين وقت الفصل بين سلطات القـوة العسكرية والأمـنية والسلطات الأخرى ومـا هى الضرورة من وجود المعـسكرات فى مدن غير حدودية؟

- و. . . . و. . . . غيرها من النقاط التى تعبر عن مـعاناة حقيقية لحاكم لا يعـيش معاناة مواطنيـه. . تدخلت قليلاً فى تعديل وأضـافة بعض العبارات والأفكار. . ووجدت أن الموضوع سـيتحول الى مقالة من حلقـتين. . وفى الصبـاح سلمت الموضـوع لفـيفى وطلبت منهـا تسليمها إلى دنيا لطباعتها وأعادتها إلى بنفس اليوم. . قامت مشكورة بما طلبت منها وأعـدت مراجعـتها لآخـر مرة ومع مسـاء ذلك اليوم طلبت من سمير أو سعيد أخذنا إلى فيللا أمين وسلمى. . ذهبت مع الأولاد وفيفى وولدهـا وأستقبلتنا سلمى بفـرح ثم تبعتهـا دنيا وبسام وبعدهم بدقائق أمين. . شـربنا معا الشاى فى حديـقة الفيللا وطلبت من أمين الانفراد لدقائق تناولت معه أطراف الحديث عن موضوعه وما تحمله من معـانى راقية وتحليل عمـيق وصادق وحددت له صحـيفتين وهما: الثورى أو الشورى.

وخلال أسبوع من إرسالها عبـر الفاكس من أحد المحلات الخاصة وبعد محاورة منى لصحفيين فى تلك الصحف نشرت صحيفة الثورى الموضوع على حلقتين وباسم «شهريار اليمن» ولاقت المقالة ردود فعل متبـاينة بدا لى أن ساسة البلد لا يحـبون أو يرغبون بسـماع أو قراءة

أفكار الآخريـن حتى وإن كانوا من عـامة الناس.. وقلت لـنفسى ان العقل اليمنى فى استراحة طويلة وراكده.. كما أن قادة النظام خالفوا الحكمة اليمانية التى وصف بها خاتم المرسلين وسيد الخلق نبينا محمد ابن عبـدالله ابن عـبدالمطلب صلى الله عليـه وسلم.. شعب اليـمن وسيدنا رسول الله لم يكن يتـصور أو يتوقع أنه بسبب ذلك الوصف أصـبحنا من غـير عنوان.. كم هى الحـروب الأهليـة والقبليـة التى شهدتها اليمن من دون سبب مـقنع؟ وكم هى الخسائر البشرية والمادية التى تكبدتها اليمن من تلك الحروب والصراعات؟ وأين اليمانيون من الحكمة؟

- ذات يوم كنا فى زيارة لمنزل أمين.. بالصـدفة شـدنى أمين من يدى وجرنى مسافة بعيدة عن الحضور سمير شاهد هذا الموقف ورأيت الغيرة فى عينيه.. التزمت الصمت وسمعت أمين يحدثنى عن ضرورة اقناع دنيا بالعيش معهم بدلاً من استقـلالها فوعدته خيراً والحديث لم يتجاوز الخمس دقائق.. عدت الى سمـير وربت بيدى على كتفه فى مـحـاولة منى لازالة توتره.. قلـت له ضـاحكة بينمـا ناولتـه أحـد الأطفال:

خذ يا أخى وتعلم كيف تربى أولادك.

كان سـمير لبـيبا فى فـهم حديثى وقد زالت منه الغـيرة رغم أنى كنت أود أن تستـمر غـيرته علىَّ حتـى أشعر بأهمـيتى فى حـياته..

همست فى أذنه بما حدثنـى عنه أمين فرد علىَّ بابتسامة هادئة ومـعبرة وواثقة:

معه حق ولابد من فعل ذلك.. لا عليك.. عفواً.

قلت له بتعجب وكأنى لا أعرف دوافعها:

عفواً من ماذا يا حبيبى؟

أجابنى بثقة:

ما بلاش اعتباط - هزار - أنت تعرفى ما أقصده.

رديت عليه:

لكنى سعيدة قبل أن تقول عفواً ويا ليتك لم تقلها.

رد:

أنت طماعة وأنانية أكثر من اللازم..

رديت عليه:

ومن حقى أن أكـون كذلك ما دام الأمـر يعنينى وحبيـبى وشريك عمرى..

أخبرت فيفى بموقف سمير فضحكت من قلبها وقالت لى:

أنت على فكرة من يوم خلعت النـقاب أصبـحت انسانة ثانـية فى تصرفـاتك مع أمين على الخـصوص رغم أن الجمـيع يعرف حـقيـقة العلاقة التى تربطنا جميعاً بأمين..

حاولت أن أسألها لكنها قاطعتنى:



أما سلمى فتعرف أنك تحـبين أمين كأخ وصديق ومثل أعلى وهى لاتشعر بالغيرة من ذلك.

ـ قمنا بزيارة عائلـة سامح الضابط المعتقل بتـهمة الانفصاليـة والتآمر ضد الوطن وظللنا لمدة شـهر نزورهم يوم ونغيب يوم حتى أفـرجوا عنه فى منتصف العام ١٩٩٥م ولم يكن سعـيداً بالافراج عنه لأنه كان يريد أن يقدم للمحاكـمة حتى يكشف زيف المنتصر كمـا أخبرنا، وعرفنا منه كـيف أمضى الشـهور العـشرة مـتنقـلاً من معـتقل لآخـر ومن زنزانة لأخـرى.. وممارسات التـعذيب مـثل عدم الـسمـاح له بالنوم الكافى لأيام.. وتركه معظم الوقت ينام فى العراء ووسط البرد القارس أو الحر الشديد.. والضـرب والتهديد للحصـول على اعترافـات بتهم باطلة.. وحدثنا عن تخصيص أحد زملائه وأصدقائه من الضباط للاشراف على تعذيبه وكيف أنه حاول الامتناع عن تنفيذ الأوامر فأصدروا أمراً باعتقاله ولكنهم أفرجوا عنه بعد أسبوعين نتيجة وساطة أبناء قبيلته والتى حملت مـعهـا مطلب الأفراج عنى أو تـقديمى لمحـاكمـة عادلة.. وأمـام تلك الوساطة أفرجوا عنه والتزموا الصمت عن طلبهم الخاص بى.

وأخبرنا أنه يود هجرة الوطن وقد طلب مساعدتنا ولم يكن أمامى سوى صديقتى زينب التى رحبت بذلك وفعلا غادر سامح الوطن بعد إطلاق سراحه بشهـرين حيث كانت رحلة سفره مؤلمة وقاسـية خاصة أنه كان مـن الممنوعين عن السفـر والحركـة وتحت المراقبة الأمـنية..



استـدان مبالغ كـبيرة حـتى وصل الحدود باتجاه دولة عـربية ثم لدولة أوروبية.. وعـرفنا فيما بعـد أنه دفع الالاف لمجموعة الرقـابة الأمنية حتى يتجاهلوه كما دفع مثلـها لمسؤولين أمنيين رافقوه حتى الحدود.. وأخبرنا فى أحدى رسائله عن سفـره ولو فكر بالكتابة عنها لأصبحت رواية وربما تتـحول لفيلم سـينمائى أو مـسلسل تلفزيـونى.. وما أن استـقر حتى لحـقته عائلتـه بعد ثلاثة أشهـر وأوكل شقتـه الى احدى أخواته والأرملة وأم لأربعـة أطفال. وكانت سعـادتنا كبيرة بالتـعرف على شقيقته وإقامة علاقة صداقة جيدة معها..

وفى بلاد المهجر التـحق سامح بالجامعة لنيل شهـادة الدكتوراه.. بالتوفيق انشاء الله..

● تلاقى مـصالح زيـنب وسامح ولدت لدى الكـثيـر من الأفكار والتساؤلات ووجدتنى أضعه فى اطار واحـد فقط - لا أدعى بصحتها - وهى أن التلاقى الإنسانى هو الأساس لكـل بناء اجتماعى سليم.. ووجدت من رسـائل سامح إلينا كـيف أنه يتواصل مع زينـب كأنهم أصدقاء أعزاء وقدماء؟ وكيف إنه شعر بدماثة أخلاقها عندما زارها مع عائلته للتعرف عليها وتعاملها معه وقبوله لرجائه منها بأن تقبل أخوته وصداقته؟ وكيف أنهما على تواصل مستمر عبر الأثير؟

واعترف أنى أشـتقت إلى رؤية صديقتى زينب وتقـديم الشكر لها على ما قـدمته لى ولكنى لم أقرر بعـد تلبية طلبهـا بزيارتى لها على

نفقـتها الخاصـة لأسباب عائليـة ومادية كمـا أنى كنت أتوقع زيارتها للوطن مع الأيام.. متى؟ لا نعـرف وقد سررت كثيـرا عندما دعتنى والدتها إلى زفاف أحد أحفادها وقد كرمتنى بشكل جيد عندما قدمتنى لأولادها وأحفادها وأقاربها بأنى بمثابة أبنتها التى لم تلدها..

● انتشرت ظـواهر اختطاف الديبلوماسيين الأجـانب العاملين فى اليمن وأيضا السياح.. والسلطة تفاوضهم وتلبى مطالبهم بالكامل.. مطالبهم مادية ووظيفية.. (٩٠٪) من الخاطفين كما تصفهم الصحف الأهلية والحـزبية هم من قـبائل عـديدة تشعـر بالغبن عليهـا من قبل السلطة وهم أيضا من الضباط والجنود والموظفين التابعين للسلطة التى لم تف بوعودها معـهم فى تلبية استحقـاقاتهم الخاصة واستحـقاقات قبائلهم.

ويدور لغط بين الـناس من أن تلك العـمليــات- الخطف- تقف وراءها السلطة بهـدف الابتزاز الســياسى والاقـتصـادى من جنسـيات المخطوفين، على اعتبـار إن العملية برمتـها مخططة و٩٩٪ فيها تمت بسلام وتحت هذا الغطاء سلكت منظمـات وجماعات أصـولية إرهابية يعتقـد أنها جزء من السلطة أيضـا، ونفذت عمليات اخـتطاف سياح أجانب، ما أوقع عددا من القتلى والجرحى.

تأثرت سمعة اليـمن سياسياً وانعكس ذلك على الحيـاة الاقتصادية نتيـجة لعزوف بـعض الدول عن ارسال رعاياها للسـياحـة إلى اليمن

تحت مبرر أنها غير آمنه.

تضاربت الآراء فى دراسة دوافع تلك الظاهرة وغالبية تلك الآراء كانت تلقى باللوم على السلطة وتتهمها بتشجيع تلك الظاهرة بهدف تحقيق مكاسب سياسية خاصة وتكتيكية مؤلمة. وتشير تلك الآراء إلى أنه سيأتى يوماً لتقف تلك الظاهرة عندما تريد السلطة ذلك.

هل يعقل هذا؟.. يارب استر والطف.

● اتفقنا على وضع حجر الأساس لمسكننا الجديد والمشترك مع شركة أمين واكتشفنا أنه قد تم البسط عليها من قبل أحد القادة العسكريين المغاوير الذى حاول أن يبسط عليها مع مجموعة بقع.. بذلت وساطات لحل الاشكالية بهدوء وأنتهت بتغريمنا مبلغ نصف مليون ريال لحضرة الضابط مقابل ما يسمونها بـ «الحفاظة».. فى أى عرف أو تقاليد يكافأ الظالم من المظلوم؟! فقط فى عهد الحكمة اليمانية كما أعتقد.. المبلغ أثر على ميزانيتنا المخططة ولكننا صممنا على الاستمرار.. فكرت وفيفى ببيع ما نملك من ذهب لأن شقتنا لم تجد من يشتريها ولكن أمين تطوع بقرضنا مبلغ مليون ريال حتى نبيع شقتنا.. دفعنا ثلاثة ملايين ونصف حتى أنجزنا الدار المكونة من دورين وكل دور يحوى شقتين مترابطة مع بعض وحديقة جميلة.. حصلنا على عرض سعر لشقتنا لم يتجاوز أكثر من مليونين ومائتى ألف رغم طلبنا المخطط ما بين ٢,٥ - ٣ ملايين ريال.. دفعنا المليون



لأمين رغم تمنعه وطلبـه منا بتأجيل دفعـه حتى تستقـر أوضاعنا لكننا رفـضنا ذلك مع جـزيل الشكر له.. عـمى أبو سـمـير سـاعـدنا بـ ٣٠٠٠٠٠ ريال وعـائلة سـعيـد بـ ٢٠٠٠٠٠ ريال.. وأقـتـرضت نصف مليون ريال من صديقتى زينـب رغم أنها أرادتها هدية منها لى ولفيفى وأتفـقت معها على أن أتكفل بدفع مخصص شـهرى لوالدتها كمـا أتفقنا قـبل سفـرها وهذا الاتفاق سـاعدنا على تخفـيف بعض الأعباء المالية.. الحمد لله أن كل شيء تحقق وبعد تعب نفسى ومادى لا يحتـمل.. سجلنا الفـيللا بأسمـائنا وأسمـاء أولادنا ووقعنا عـقد شخـصى فيما بينـنا - أنا وسمير من جـهة وفيـفى وسعيد من جـهة أخرى وبحضـور أمين وهارون وسيف وعائلاتهم يحدد طبيـعة الملكية وكيفية الاتفاق إن حدث الاختلاف والتأكيد على رفض بيعها تحت أى شكل كان أو ظرف حـفاظا على روح العلاقـة التى تربطنا ببعض.. وحددنا الـورثة بالأولاد فقط.. الاتفـاقية الخـاصة كـانت من فكرتى ومقترحى خوفاً من القادم.

● بعد انتـقالنا للسكن الجـديد سمعنا أن العـقيد المغـوار صاحب الحفاظة قد تسلم مبالغ مالية كبيرة مقابل رفع يده الظالمة عن الأراضى التى بسط عليهـا من دون وجه حق.. وسمـعنا أن بعض ملاك تلك الأراضى تقدموا بشكوى إلـى الجهات المسؤولة بما فيـها الرئاسة ولكن من دون جواب ولم يكن أمامهم سوى الرضـوخ لمفهوم الحفاظة التى

أنتشرت كالـنار ولسعت الكثير من البشر البـسطاء وبلغ الأمر أن أحد الضباط المغاوير استولى على فيلا لأحد الأفراد وقام بتأجيرها لشركة أجنبـية مـقابل ٣٠٠٠ دولار أمـريكى شهـرياً وعندما حـاول المالك وأقاربه اخراجه بقـوة القانون الضعيف رفض كون الفـيللا حقه وحده فقط.. وحاولوا الكثـير للتوسط فاشتـرط دفع مبلغ مليون دولار و٨ قطع أراضى كتعويض له.. مهزلة ما بعدها مهزلة.. السلطة التزمت الصمت كعـادتها وكأنها تستحسـن خيار التعويض للمعـتدى كما أن قرارات القضاء الذى يقع تحت مسؤوليتها الجميع لا يعنيها ما دام الامر يتعلق بحقوق مواطن لا ينتمى لها والسلطة هنا تشرع وتقنن الظلم.. وهى السلطة التـى تدعى بالحداثـة والعدالة والمـساواة والديمقـراطيـة ومكافحتها للفساد..

وحدثني آمين ذات يوم عن شخصيات عسـكرية وسياسية متنفذة سيطرت على مؤسسات عامة ونقابية وجبال وأراضى وبحار من دون مسوغـات قانونية وحقـوقية من دون وجه حق إلا لأنهم مـنتصرون وما تحت أيديهم غنائم مشروعـه. ووصل الأمر الى حد أن بعضهم قامـوا بتسويات مـبانى عامة وخـاصة من الاساس بهـدف الغاء أى شواهد تبطل حق المدعين محاولين تصديق أنفسهم بأن الحق لا يعود لأصحابه ولو بعد مئة عـام كما يقول المثل: الحق لا يموت ولو بعد مئة عام.

أحد الضباط برتبة عميد نط على مدينة عدن وسكانها كالعفريت أو القضـاء المستعجل (عـزرائيل) ووصل لدائرة الأراضي والإسكان بمحافظة عدن وطلب بطريقة عـسكرية آمرة (كأنه يخاطب جنوده أو اتباعه) مـن مدير الدائرة أن يسجل له قطعة أرض بمنطقـة المملاح- وهى منطقة مخصصة لإنتاج مادة الملح وغير صالحة للسكن أو للبناء فحـاول المدير اقناع العميـد الزائر والهائج بأن المنطقـة غير صـالحة للاسكان او للاستـثمـار لأنها مملوحة. . فـرد عليه العـميد بلهـجة واثقة:

ونحن ما عاد نطالبكم بقيمـة الملح حقنا من يوم انتهت الحرب. . وماعادش بنا حيل على متابعتكم لأننا نعرف أن حبال الحكومة طويلة وفاتر- يعنى ناقص ومش تمام أو جيد- والله ماشفنا بحياتنا مثل هذه الوقاحة والهمجية).

على كل حال. . دوام الحال من المحال. . .

● وهناك مـؤسسـات من قبل مـثل هؤلاء الأفـراد وتحويلهـا إلى مؤسسـات خاصة بهم أو تحويلهـا إلى سكن ومن ثم بيعها أو بيـعها كمؤسسة من دون مراعاة ملكيـة المجتمع لها. . وأعتبر هؤلاء الأفراد أن أفعالهم تلك تنبع من حقوقاً تاريخية بينما الحقيقة تقول أنها مكافأة لهم على مـشاركتـهم فى الحرب وصنع النصـر. . وأى نصر مـزعوم على وطن. . لماذا كل هذا يا ناس؟

ومن يتحمل مسؤولية ذلك؟ وما ذنب بسطاء الناس من همجية الأقوياء؟

● كنت ذات يوم صيفى فى زيارة عادية لعائلة عبدالقادر ولأنى كنت أتحاور مع الجميع فقد كان بعضهم يفضفض لى بأسراره.. ولهذا فقد أصر أحد أبناء عبدالقادر وترتيبه الثالث ويدعى سالم على مرافقتى الى الدار وطبعا قبل الانتقال للمنزل الجديد رغم عدم حلول موعد حضور عمه سمير.. وعرفت حينها أنه يريد أن يقول لى شيئا لا يريد أن يعرفه الآخرون.. فلبيت طلبه وفى الطريق ظل يحكى لى عن علاقته بفتاة جارتهم منذ كانوا صغاراً حتى أصبح جميع سكان الحارة يعرفون حكايتهم وأقرارهم بتلك العلاقة المتينة.. تقدم لخطبتها قبل سنوات طويلة وقبل أهلها الخطوبة.. وعاملوه كابناً لهم..

ولأن ظروفهم المادية لم تتحسن فقد حال ذلك دون جمعهم تحت سقف واحد فهو لم يوفق فى الحصول على وظيفة رغم مرور أكثر من ثلاث سنوات على تخرجه من الجامعة كما أن خطيبته أيضا مثله لم توفق.. وهو يشعر بأنه حمل ثقيل على والده وأيضا على عائلة خطيبته وحبيبته.. مما ولد لديه هو وخطيبته الشعور باليأس من استمرار علاقتهما.. ففكرا بطريقة الزواج العرفى ولكنهما عجزا عن التنفيذ لأنهم خافوا من مواجهة عائلاتهما.. وأضاف

يقول:

حالتى ليست الوحيدة.. هناك المئات وربما الالاف بسبب رداءة الأوضاع الاقتصادية التى قادت إلى المزيد من الأيادى العاطلة والشابة والمؤهلة وبينما كان يتحدث كنت أسترجع حكايتى مع سمير وحكاية فيفى مع سعيد على الرغم من اختلاف الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتزمت معه الصمت فى محاولة متعمدة منى لجرة الى المزيد من الفضفضة لعلنى أخفف عنه بعض الأحزان؛ فيواصل حديثه:

أعرف شباباً كثيراً مثل حالنا وعندما ضاقت بهم السبل اختاروا طريق الزواج العرفى، وبعضهم فلح وهجر الوطن ونسى كل شىء حتى حبهم.. وبعضهم أصيبوا بحالات نفسية يصعب علاجها فى ظل الأوضاع الحالية.. تصدقى أن هناك بعض من هؤلاء يعيشون فى الشوارع وعلى التسول والسرقات والرذيلة.. بنات مثل الزهور وفى عمر الزهور ضاقت بهن الحياة فاتجهن الى الرذيلة والاتجار باجسادهن وبالمخدرات.. اللعنة.. هذه المخدرات والله ما عرفناها إلا بعد الوحدة الله لا سامح من كان السبب..

لم أحتمل ما سمعته فرجوته أن يتوقف عن الحديث فاعتذر لى وقبلت اعتذاره لأنه بصراحة كان يحاول وصف حكايات بعض أصدقائه وما طرأ على حياتهم بينما كنت أتقزز من سماعها.

ويقول لى:

مرة تقدمت بطلب إلى أحدى المؤسسات العامة فرفضونى لكونى انفصالى وحاولت أبلاغهم بأنى لم أنتم إلى الحزب الاشتراكى اليمنى المتهم بالانفصالية ولا إلى أى حزب ففشلت فى أقناعهم رغم مؤهلى ودرجة النجاح التى حققتها - جيد جداً - فى الهندسة المدنية.. بصراحة لم أكن حينها ولا قبلها أفكر بالحزبية والسياسة ولم أكن أعرف عن الاشتراكى إلا كونه كان حاكماً متشدداً على الجنوب وهذا لم يكن يهمنى حين كانوا خريجو الجامعة فى عهده ينالون الوظيفة بعد التخرج مباشرة.. ترحمت على تلك الأيام أى أيام الحزب الاشتراكى وكم تمنيت عودتها ولو كان أكثر تشدداً.. عرضوا علىَّ بعض الزملاء عضوية الحزب الحاكم التى قد تساعدنى فى الحصول على الوظيفة.. ففرحت وتقدمت بطلب العضوية فوافقوا علىَّ من دون شروط أو سؤالى عن قناعتى ببرامج الحزب لأنى كنت مهتما بالحصول على الوظيفة عن طريق العضوية أو جواز المرور إلى الوظيفة.. لمدة سنة كاملة ظللت عضواً من دون أى نشاط كما فشلت عضويتى فى الحزب للحصول على وظيفة لأن الدولة كما يقول المسؤولين تخطط للاستغناء عن الكثير من الموظفين والعمال بسبب أنها لا تستطيع تحمل فشل المؤسسات العامة التى بيعت ببلاش لبعض المسؤولين والقادة وعائلاتهم وجلهم من المحافظات الشمالية..



بصراحة أصابنى اليأس من كل شىء.. من الحياة والسياسة والوحدة والأحزاب.. ما ذنبنا نحن الشباب ولماذا الحكومة مستمرة فى افتتاح جامعات جديدة؟!

ويضيف:

قال لى أحد زملائى فى الجامعة أنه أراد أن يعمل مدرساً لكون وظيفة التدريس سهلة ولكنه أصيب بخيبة الأمل عندما طلب منه دفع ما يقرب من ١٥٠ ألف ريال «حوالى ألف دولار» حتى يتم تعيينه مدرساً فى منطقة بعيدة عن سكنه.. ولم يكن يملك المبلغ وفشل فى الحصول عليها فأصيب بلوثة عقلية دفعته إلى الشارع وعندما نراه نخجل من أنفسنا وقال لى حكايته قبل الجنون بأيام أحد أصدقائنا.

وبينما هو يتحدث عن الانحلال الأخلاقى للشباب من الذكور والإناث بفعل الأوضاع العامة للبلد وانتشار ظاهرة الفساد فتذكرت كتاب عن تاريخ العرب قبل الاسلام قرأته أثناء دراساتى الجامعية، وهذا الكتاب كان يتحدث كيف كان يعيش العرب قبل الإسلام وأنواع الزيجات التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ومنها:

نكاح الزواق ونكاح الاستبضاع وزواج المتعة، ونكاح تعدد الأزواج ونكاح الخدن، والمضامدة، والبدل، والشغار، وزواج المقت، وزواج السبى وزواج الأخوة بالأخوات والآباء ببناتهم وغيرها.



حتى جاء الإسلام وأرسى تقاليد الزواج الرسمى والشرعى المعروف عنه اليوم.

وقلت فى نفسى هل يمكن أن يعيد التاريخ نفسه؟ ومن المستفيد من انحلال قيم المجتمع اليمنى المسلم؟ ولماذا عدن ومدن الجنوب التى يريدون تغيير قيمها؟ ومن هؤلاء الذين يسعون لتغيير ذلك؟

وما أن وصلنا إلى سكننا الجديد استقبلتنا فيفى وسعيد وطلبت منهما الاتصال بسمير وإبلاغه بعودتى للبيت برفقة ابن شقيقه.. وقمت بتغيير ملابسى والعودة إلى صالة الضيوف المشتركة ووجدت سعيد وفيفى يستمعون بإنصات مركز إلى حديث ابن عبدالقادر الذى كان مندمجا فى الحديث وكأنه يتنفس لأول مرة بينما لم أكن أرغب فى استدراره بالحديث لما يتضمنه الحديث من حكايات محزنة وتخدش الحياء.. وشردت حينها فى التفكير والتأمل بينما كانت عيونى مركزة نحو فيفى بينما كنت أرضع طفلى واستمر شرودى لأكثر من ثلاثة أرباع الساعة حتى دخل علينا سمير ومعه أمين وسلمى فى زيارة خاطفة لنا وعندما أعددنا لهم الشاى وتعرفوا بسالم ابن عبدالقادر وسمعوا معاناته التى تمنيت أن لا يكررها أمام مسامع أمين لكن ما كل الأمانى تتحقق لأنى كنت أعرف أن أمين حساس وطيب ويحب الخير وتقديم المساعدة لأهله ومعارفه وأصدقائه.. وبعد ساعة أعلن أمين استعداده لمساعدة سالم فى

توظيفه بشركة المقاولات وحاولت شكره لأنى بدأت أحس ومعى سمير أيضا بثقل جمائل أمين وعائلته علينا ولأننا فى الحقيقة نود الحفاظ على علاقتنا بهم، قبل منتصف الليل كنت وفيفى قد أعددنا وجبة عشاء خفيفة وغادرنا أمين وسلمى وبرفقتهم سالم ثم تركنى سمير وفيفى وسعيد بينما كنت منشغلة بتنظيف المطبخ وغرفة الضيوف، شردت مرة أخرى فى التفكير باحوال اليمن بصورة عامة وجنوب اليمن وعدن بصورة خاصة.. فعدن تجتر آلامها وأحزانها.. حتى أصبحت تذرف دموعها على تاريخها الوطنى السياسى التاريخى والجغرافى والثقافى والمدنى الإنسانى.

لقد زكمت الأنوف مع انتشار روائح الفساد ونهب الأراضى ولم تنفع كل الروائح المضادة أو الأدوية المعالجة لأن تلك الأعمال قد تعفنت وأصبح عفنها مقاوم لكل المعالجات الكيماوية والسياسية.. وهى كما يبدوا معالجات عديمة الجدوى لأنها فى الأصل أصبحت فاسدة ومتعفنة فالرموز الحاكمة والمنتصرة أصبحت تنظر للمال العام والمؤسسات بأنها حلال عليهم وحرام على الآخرين.. وبات من العسير على المرء أن يضع توقعاته الخاصة بمستقبل الوطن والشعب..

«النهايـة»

